

مع التكملة المسماة بـ

مباني الخلافة والسياسة الدينية وغاياتها

لحكيم الإسلام العلامة المقرئ محمد طيب القاسمي (١٣١٥ – ١٤٠٣ هـ)

حفيد المؤسس للجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند الإمام محمد قاسم النانوتوي

رحمهما الله تعالى رحمة واسعة

حققه وخرج أحاديثه

أحمد خورشيد الصديقي

خريج دار العلوم ديوبند

وفي آخره

متن العقيدة الطحاوية

للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي المصري الطحاوي رحمه الله تعالى

ت: ٣٢١ هـ

قام بتحقيقه

الشيخ أبو سهل محمد سعد بن الشيخ رحمت الله حفظه الله تعالى

طبعة جديدة ملونة



جمعية البشرى الخيرية

للخدمات الإنسانية والتعليمية (المسجلة)

عزيزي القارئ الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

عن أبي سعيد ﵁ قال: قال النبي ﷺ: من لم يشكر الناس لم يشكر الله. (جامع الترمذي)

فنشكرك على اقتنائك كتابنا هذا، الذي بذلنا جهدًا كثيرًا بتوفيق الله ﷻ، كي نخرجه على الصورة الفائقة، فدائمًا نحاول جهدنا في إخراج كتبنا بنهج دقيق متقن، مع مراجعة دقيقة للكتاب مرة بعد أخرى.

ومع هذا، فالإنسان محدق بالضعف والعجز مهما بلغ من الدقة، كما قال الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾. (النساء: ٢٨)

فأخي العزيز! إن ظهر لك خطأ مطبعيٌّ أثناء قراءتك للكتاب أو كانت عندك اقتراحات أو ملاحظات، فدوّنها وأرسلها لنا، وبهذا تكون قد شاركتنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا في السير نحوَ الأفضل.

جزاكم الله تعالى خيرًا

Postal Address: 9/2, sector 17, Korangi Industrial Area, Opp: Muhammadia Masjid, Bilal Colony, Karachi.

اسم الكتاب : شرح العقيدة الطحاوية

التأليف : لحكيم الإسلام العلامة المقرئ محمد طيب القاسمي رحمه الله تعالى

رقم التسجيل : RO-336-2020 (دائرة الأوقاف، السند، باكستان)

سنة الطباعة : ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م

عليك بملاحظة قائمة الأسعار



جمعية البشرى الخيرية

للخدمات الإنسانية والتعليمية (المسجلة)

AL-BUSHRA

Welfare And Educational Trust (Regd.)

9/2, sector 17, Korangi Industrial Area,
Opp: Muhammadia Masjid, Bilal Colony, Karachi.

☎ 021-35121955-6, 0321-2196170

0334-2212230, 0302-2534504, 0314-2676577, 0346-2190910

info@maktaba-tul-bushra.com.pk

www.maktaba-tul-bushra.com.pk www.albushra.org.pk

يطلب من البشرى كراتشي، باكستان. ومن جميع المكتبات المشهورة أيضًا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الإمام أبا جعفر أحمد بن محمد الطحاوي رحمه الله قد خلف مؤلفات عظيمة النفع للغاية في علوم الرواية والدراية، منها: «العقيدة» المشهورة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله، وهي مِن أهمّ الكتب المصنَّفة في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة، ولذا اعتنى علماء الأمة بها اعتناء بليغا، ووضعوا عليها شروحا وحواشي وتعليقات.

ومن المعتنين بالكتاب: العلامة المقرئ محمد طيب القاسمي رحمه الله الرئيس السابق للجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، فقد ألّف عليه شرحًا قيمًا نافعًا، بأسلوبه الرصين المحكم، وكانت الحاجة ماسّة إلى خدمته، فقام الأخ الفاضل أحمد خورشيد الصدِّيقي، فحقّقه وخرّجَ أحاديثه وعنْونَ لمباحثه المهمة.

والمحقق المذكور – حفظه الله تعالى – قام بتنضيد هذا الكتاب وتصحيحه، ثم أذن لـ«البشرى» في الطبع، فراجعت لجنة التصحيح الكتابَ مرة أخرى، تحت إشراف الشيخ الأستاذ محمد بن عرفان – حفظه الله تعالى – المشرف العام لقسم التصحيح بـ«البشرى».

وأسماء أعضاء اللجنة كما يلي:

١ – الأستاذ / حسين أحمد القاضي حفظه الله خريج جامعة دار العلوم كراتشي.

٢ – الأستاذ / صداقت علي حفظه الله خريج جامعة دار العلوم كراتشي، والمتخصص في الفقه بها.

٣ – الأستاذ / محمد عمران حفظه الله خريج الجامعة الفاروقية شاه فيصل تاؤن كراتشي.

٤ – الأستاذ / مبين الرحمن حفظه الله خريج جامعة دار العلوم كراتشي، والمتخصص في الفقه بالجامعة الإسلامية الطيبة.

وقد قام بتنسيق الكتاب في هذه الصورة الرائعة: الأستاذ محمد طائف – حفظه الله تعالى – خرّيج الجامعة الفاروقية شاه فيصل تاؤن كراتشي.

وقد شاركَنا في ذلك كله بالرأي والإفادة:

١ - فضيلة الشيخ / يوسف يامين حفظه الله المشرف العام لـ«البشرى» والأستاذ بالمدرسة العثمانية.

٢ - فضيلة الشيخ / بلال أحمد كلام حفظه الله الأستاذ بمدرسة ابن عباس ﷺ.

٣ - فضيلة الشيخ / عمر فاروق حفظه الله الأستاذ للحديث النبوي بمدرسة ابن عباس ﷺ.

٤ - فضيلة الشيخ/ محمد سلمان حسن حفظه الله الأستاذ للحديث النبوي بمدرسة ابن عباس ﷺ.

وإن «البشرى» - التي هدَفها الأساسي تسهيل إيصال الكتب الدراسية إلى طلاب العلم ورُوّادِه في صورةٍ تناسب العصرَ الراهنَ - قد بذلتْ كل ما تستطيع من جهد وإمكانات لإخراج هذا الكتاب في أبهى صورة وأجملها، تأملُ من القرّاء أن يوجّهوا ما ظهر لهم من ملاحظة أو خطأ أو خلل قد وقع في هذه الطبعة؛ لاستدراكه في الطبعات اللاحقة. وهذا من التعاون على البر والتقوى.

البشرى

كراتشي، باكستان

* * * *

تقديم عظيم

من العلامة المحدث الفقيه الأصولي الشيخ نعمة الله الأعظمي

أستاذ الحديث بالجامعة الإسلاميه دار العلوم ديوبند

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين، وفي مقدمتهم سيدنا محمد المصطفى، وعلى آله وصحبه وتابعيه ومن اقتفى.

فإن «العقيدة الطحاوية» للإمام الحافظ الفقيه المفسّر المجتهد أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ابن سلمة الأزدي الطحاوي ﵀، مِن أهمّ الكتب المصنَّفة في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة، وأشهرِها وأقدمِها وأعظمِها قدرًا عند العلماء، فمنذ أن ظهرتْ هذه العقيدة لقيتْ قبولًا عظيمًا عند مدارس أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية وحتى السلفية، وكلّ منهم يعتبره مفصحًا عن عقيدته، ويجرّ نصوص الكتاب إلى مذهبه؛ لذا وجدتْ شروحات كثيرة عليه من المدرستين: الأشعرية والسلفية.

يقول العلامة الناقد تاج الدين السبكي ﵀ في كتابه «مُعِيد النِّعَم ومبيد النِّقَم» (ص: ٢٥) متحدثًا عن اعتقاد أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة: «وهذه المذاهب الأربعة - ولله الحمد والمنة - في العقائد يد واحدة، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم، وإلا فجمهورها على الحق، يقرّون عقيدة أبي جعفر الطحاوي، التي تلقّاها العلماء سلفًا وخلفًا بالقبول، ويدينون الله برأي شيخ السنة أبي الحسن الأشعري الذي لم يعارضه إلا مبتدع».

فنظرًا إلى منزلة الكتاب العظيمة نالت هذه العقيدة شهرةً واسعةً وإعجابًا كبيرًا جدًّا عند أهل السنة على اختلاف مذاهبهم الفقهية، وكثرت شروحات العلماء عليه. ومن أشهر شروح هذا الكتاب: شرح الإمام سراج الدين الغزنوي الحنفي الهندي المتوفى سنة ٧٧٣ هـ، وهو مطبوع، وشرح الإمام المتفنن العلامة عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي المتوفى سنة ١٢٨٩ هـ، وهو أيضًا مطبوع.

ومن أهمّ الشروح المطبوعة للكتاب أيضًا: شرح الإمام الفقيه أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي المتوفى سنة ٧٨٦ هـ المسمّى «شرح عقيدة أهل السنة والجماعة»، وكذلك شرح العلامة كافي حسن أفندي الأقحصاري المتوفى سنة ١٠٢٥ هـ، المسمّى «نور اليقين في أصول الدين»، وكذلك شرح العلامة نجم الدين منكوبرس بن يلنقج عبد الله التركي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ، المسمّى «النور اللامع والبرهان

الساطع»، وشرح الشيخ سعيد فودة من المعاصرين. وهذه الشروحات من الأشاعرة والماتريدية، وأما شروحات العقيدة الطحاوية من المدرسة السلفية، فهي أيضًا كثيرة، وأهمها: شرح العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله المتوفى سنة ٧٩٢ هـ.

وكذلك وضعَ على هذا الكتاب حواشي نافعة وتعليقات ماتعة جدًّا العلامةُ الجليل المتكلم البارع والمقرئ محمد طيب، حفيد الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمهما الله الرئيس الأسبق للجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، من علماء الماتريدية.

وقد طبعت «العقيدة الطحاوية» مع تعليقات العلامة محمد طيب طبعات عدّة في الهند، ولكنها لم تكن مخدومة خدمة علمية جيدة تتناسب مع مستوى الطباعة في العصر الحديث، فتوجهت همّة الأخ الفاضل الشابّ أحمد خورشيد الصديقي إلى خدمةِ هذا الكتاب، تحقيقِه، والتعليقِ عليه بما يكمل مقاصد الكتاب؛ لتيسير الاستفادة منه، وهو يستحقّ بهذا العملِ الثناء والشكر من طلبة العلم. جزاه الله خيرًا، وأجزل مثوبة العلامة محمد طيب، ومثوبة مصنف «العقيدة» الإمام الطحاوي رحمهما الله.

نعمة الله الأعظمي

أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند

٢٣ من شعبان المعظم ١٤٣٧ هـ

* * * *

كلمات مباركات

للشيخ النحرير العالم الرباني مولانا رياست علي ظفر البجنوري حفظه الله تعالى

أستاذ السنة النبوية والأدب العربي بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبيّ بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن متن الإمام الطحاوي في العقيدة المعروفة بـ«العقيدة الطحاوية» غنيّ عن أن أعرِّف به أو يعرِّف به أحد، فلقد حاز مرتبة القبول ومكانة الاعتبار والاعتماد عند جميع أهل السنّة قاطبةً منذ أقدم عصورها إلى يومنا هذا، ومن أكبر الحجج على ذلك: اهتمام مصنِّفِي الأمّة ومؤلِّفِيها بشرح ذلك المتن الجامع، وتسهيله، والتعليق عليه، وجعله منظومةً، إلى غير ذلك، حسب ما اقتضته أزمانهم، فجزى الله أولئك الصفوة البررة عن سائر الأمّة خير جزاء في الدنيا والآخرة.

وسلوكًا لمنهج أولئك الكرام، وتلبيةً لحاجة طلّاب جامعتنا العزيزة/ الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند - حماها الله من الشرور والفتن - بدأ الشيخ العلامة المقرئ محمد طيب القاسمي [المتوفّى سنة ١٩٨٣م] في التعليق عليه، وأكمله في مدة لا تتجاوز شهرَين، مع ما كان عليه من أعباء إدارة الجامعة، ولكن علّق فأتقن التعليق، وحشّى فأحسن تحشيته، وقد كان في حياته، وأيام إدارته للجامعة - التي امتدّت بعون الله تعالى إلى نصف قرن - ناشرًا للعقيدة الصحيحة الصافية: عقيدةِ أهل السنة والجماعة، وداعيًا إليها في شبه القارة الهندية بل في العالَـم أجمعِه، فجزى الله خيرًا على ما بذلت به نفسه من ثمين أيامه ونفائس لحظاته لخدمة هذا الدين الحنيف وعقيدته القويمة.

لقد كان تعليقه هذا على متن الطحاوي امتاز من بين أخواتها باختصار، مع إيراد أدلّة من الوحيَين، وتمثيل بأمثلة بديهية بمسائل عويصة، والاحتجاج بالبديهيات التي هي أقرب إلى الذهن البَشَري، وغير ذلك، إلا أن الطبعة التي تجلى فيها تعليقه لم تكن تروق الناظرين، ولم تكن تجذب اهتمام مُولِعي الكتب والمؤلفات؛ فكان الكتاب في حاجة ملمّة إلى مَن يُلبسه لباس الجِدَّة والمعاصرة، ويخرِّج له أحاديثه، ويعنْوِن لمباحثه الـمهمّة، ثم يفهْرِس لـمحتوياته.

فجزى الله التلميذ الطالب أحمد خورشيد الصدِّيقي بالخيرات على قيامه بهذا العمل تحت إشراف عالمينِ من علماء أهل المدينة المنورة، وكان يحقّ له مثل هذا العمل؛ لما أنه انتهل من منهلَي علوم النبوة العظيمين، درس في جامعتنا العزيزة، ثم ارتوى علمًا من علماء المدينة.

بارك الله في علمه وعمله، ونفع به الأمّة، وجعل عمله هذا ذُخرًا له ولوالديه في يوم المعاد. اللهم آمين.

رياست علي غُفِرَ له

١٥/ جمادى الثانية/ ١٤٣٧ هـ

* * * *

توثيق وثيق

من العلامة المفسّر المحدّث الفقيه العالم الرباني المقرئ محمد عبد الله سليم

مؤسّس معهد تعليم الإسلام شكاگو، أمريكا

حفظه الله تعالى ومتّعه بالصحة والعافية

الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة صمدًا كما يليق بشأنه وكما يحبه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد، فإن المحقّق لكتاب «شرح العقيدة الطحاوية» الذي يعتدّ من أهمّ المراجع في علم التوحيد والعقيدة، عزيزي المفتخر الشيخ مولانا أحمد خورشيد، أثار حيرتي حيث إنه طلب مني أن أكتب رأيي عن ما قام به من عمل التحقيق. يا للعجب! أين أنا قليل الزاد من هذا الكتاب العظيم وما قام به عليه من التحقيق! أين الثرى من الثريا!

ومن حسن حظّي أن حياتي قد سُنِحت لها فرص طيبة عديدة لم أكن أتوقّعها، وقد اعتبرتُ الطلبات بتلك المناسبات ثروة قيمة وسعادة عظيمة، فلم أرفض إجابتَها والقيامَ بما طُلِب مني؛ زعمًا أن التقاعس عنها يمكن أن يؤدي إلى الإساءةِ إلى السعادة والكفرِ بها.

فمن تلك الفرص الطيبة: أني حظيت مرةً بإمامة صلاة الجنازة في الحرم المكي أمام بيت الله، كما أني سعدت بإمامة صلاة في المسجد الأقصى مجيبًا لطلب إمامه. اللّهم اجعل هذه السعادات ذخرًا للآخرة!

وإني أعتقد أن هذا الطلب أيضًا من تلك الطلبات السعيدة، فأشكر عليه المحقق الموقر ووالده المكرم الحافظ خورشيد أنور الصديقي المقيم بالمدينة المنورة، زادها الله شرفًا وكرامة! ولا جرم أنه هو منبع هذه المودّة والمحبّة، وإني أرى هذا الطلب من نفسي المتواضعة من ثمار كرمه وفيضه.

ومن المعلوم لدى كل واحدٍ أن العقيدة هي البوصلة الملاحية لسفَر الحياة، يهتدي بها كل امرئ إلي جهة سفره اللامتناهي، فإن وافق المرء جهة صحيحة، يقطع مراحل الدنيا والبرزخ والآخرة حتى يصل إلى الغاية المنشودة، أما من واصل سفره إلى جهات غير مستقيمة، فقد ضلّ منزله المطلوب، ودخل فيمن خسر الدنيا والآخرة. فلم يخلُ عهد من العهود إلا وقد بذل العلماء الربانيون عنايتهم الفائقة

في هذا الأمر الخطير، فقاموا بتصنيف كتب بديعة محققّة للغاية في هذا الباب، كما أنهم أرشدوا الناس بمواعظهم ونصائحهم التي ألقوها في مجالس عامّة وخاصّة.

ولا يختلف اثنان في أن «العقيدة الطحاوية» ظلّ ممتازًا بأسمى الدرجات من بين سائر الكتب؛ فإنه مؤلَّف لِمحدّث وفقيه شهير من المائة الثالثة الهجرية، الإمام الطحاوي. ويمكن أن يقال: إنه مأخذ للكتب المؤلّفة بعده؛ فإنه موثوق به ومشتمل على معظم المباحث العقدية مع كونه وجيزًا، ولذا قام العلماء بشرحه في عصور مختلفة.

ويوجد لديّ أربعة شروح له الآن:

١- «شرح عقيدة الإمام الطحاوي» لأبي حفص سراج الدين عمر بن إسحاق الغزنوي الهندي المولود سنة ٧٠٤هـ، وقام بتحقيقِه الشيخ حازم الكيلاني الحنفي، والدكتور محمد عبد القادر نصار.

٢- «شرح العقيدة الطحاوية» للعلامة علي بن محمد بن العز الأذرعي الحنفي (ت: ٧٣٣هـ)، حققه جماعة من العلماء، وقام بتخريجِ أحاديثِه ناصر الدين الألباني.

٣- «شرح العقيدة الطحاوية» المسمى بـ«بيان السنة والجماعة» للعلامة الفقيه عبد الغني الغنيمي الميداني الدمشقي، وتوجَّه محمد مطيع الحافظ ومحمد رياض الصالح إلى تخريجه وتحقيقه.

٤- «إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية» للشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي.

وأخذت مني الحيرة على أن كتبًا للعقائد، بما فيها «شرح العقائد النسفية» و«شرح العقائد الجلالية»، كانت داخلة في المقرر الدراسي للمدارس العربية الإسلامية في شبه القارة الهندية، ولكن لم يعتنِ القائمون عليها بـ«العقيدة الطحاوية» عناية مناسبة، أما الآن فهم يلتزمون بتدريسه في جميع المدارس بحمد لله.

وأما هذا الشرح الذي أتحدث عنه، فليس هنا مجال للفكر والحديث أن الحاجة - حيث إن الشروح الأخرى متوفّرة - لم تدعُ إلى الشرح الجديد الذي التمس بإعداده أعضاءُ مجلس الشورى من حكيم الإسلام الشيخ المقرئ محمد طيب - قدس الله سره -، فأجاب طلبهم بتأليفه. فإن العلم سيل دافع، يسيل متدفّقًا بالخير والنفع دائمًا، فلا يجعل عمل أحد من المتقدمين أو المتأخرين مستغنيًا عن عمل الآخر.

وهذه حقيقة غير مريبة أن الأسرة القاسمية أنعم الله عليها بملكة وبصيرة خاصّة في باب العقائد، وتشهد به عدلًا جميعُ كتب الشيخ مولانا محمد قاسم النانوتوي مؤسّس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند. ولذا لقب عن استحقاقه بـ«حجة الإسلام»، ثم ورثه نسبًا وعلمًا الشيخ المقرئ محمد طيب، واعتبر أمينًا وشارحًا للعلوم القاسمية، ومواعظه ومجالسه ومؤلّفاته كلها كانت مصبوغة بلونها.

لم أكن أتوقّع أن هذه السعادة قدّرها الله تعالى عند الأزل لصغير السنّ - لكن ذي المواهب الفائقة - عزيزي وابن عزيزي الحافظ مولانا المفتي أحمد خورشيد، إنه عمل يتطلّب جهودًا جبارةً، لا يعرفها معرفةً إلا من خاض في هذه المعركة، وقد أعجبني ما قام به هذا الشابّ الصالح؛ فإنه أخرجه وحقق شرح حكيم الإسلام على أحسن وجه يمكن، وإني أرى أنه أدّى على أحسن الوجه وأكمله حقّ هذا الكتاب الذي كان دَينًا على طلبة العلم في ديار شبه القارة الهندية. جزى الله تعالى صاحب الكتاب وشارحه ومحقّقه أعلى الجزاء وأرفعه، على سعيهم المشكور، ووفّقني للاستفادة من مثل هذا الكتاب.

وقد قرأت تحقيق هذا الشرح حرفًا حرفًا، وبعد ذلك كتبت ما كتبت حسب ما طلبه المحقّق، أرجو الله أن يتقبله.

وفي الأخير أقترح لمولانا أحمد أن يلحق بالشرح ترجمةً مختصرةً لحياة حكيم الإسلام، وتعريفًا وجيزًا لنفسه؛ فإن القارئ يحتاج إليه أيضًا.

محمد عبد الله سليم

أيلجن، أيلي ناي

الولايات المتحدة الأمريكية

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف موجز للقائم بخدمة التحقيق لهذا السِّفْر المبارك

الاسم: هو أحمد بن خورشيد بن خليل الرحمن الصديقي.

حفظ القرآن والدراسة الابتدائية: ولد بالمدينة المنورة عام (١٤١٤هـ)، وبدأ حفظ القرآن الكريم في إحدى الدور هناك عند الشيخ عبد الله البنغالي، ثم التحق بحلقة الشيخ العكوف على القرآن عبد المالك بن عبد الرشيد الراعي -حفظه الله- في المسجد النبوي الشريف لإتقان الحفظ والتجويد.

وتلقى تعليمه الابتدائي عند عديد من المشايخ بالمدينة المنورة وتعلم منهم النحو والصرف والإنشاء والفقه وأصوله، حفظهم الله أجمعين وجعلهم في حفظه ورعايته.

التخرج والتدريس: وفي عام (١٤٣٥هـ) تخرج بمرتبة الفضيلة من الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند حائزا المركز الثاني، وحصل على إجازات من أساتذة ومحدثي المرحلة العليا، منهم الشيخ المحدث المفتي سعيد أحمد البالنبوري، والشيخ المحدث عبد الحق الأعظمي، والشيخ العلامة رياست علي البجنوري، والشيخ الهمام بحر العلوم نعمة الله الأعظمي وغيرهم. ثم التحق بقسم الإفتاء التابع للجامعة نفسها للتخصص في الفقه والإفتاء، وتخرج منه عام (١٤٣٦هـ) حائزا المركز الأول. وفي عام (١٤٣٩هـ) حصل على الماجستير في دراسات القرآن والسنة من الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا بتقدير ممتاز. ولله الحمد. وبعد الفراغ من التخصص في الفقه رجع إلى المدينة المنورة، وعمل كمدرس للصفوف التمهيدية في مدرسة أهلية، ونال شرف تدريس القرآن بالمسجد النبوي الشريف.

الإجازات: نال إجازةً في القرآن الكريم عن الشيخ المقرئ الكبير بشير أحمد صديق -حفظه الله- مدرس القراءات في المسجد النبوي الشريف منذ حوالي نصف قرن، وإجازةً من الشيخ المقرئ أستاذ القراء الحافظ شفيق الرحمن محمد سليمان مدرس القرآن الكريم في المدينة المنورة، وإجازةً من الشيخ القارئ الدكتور عادل خان -رحمه الله-، وإجازةً من الشيخ المحقق أبي سهل سعد بن الشيخ رحمة الله -حفظه الباريء-، وإجازةً من الشيخ المقرئ هاني محمد عوض الغزِّي -حفظه الباريء- .

ونال إجازاتٍ في الحديث الشريف من محدثي وأساتذة دار العلوم ديوبند، ومن كل من العلامة الهمام كبير علماء الهند وعمدتهم الشيخ محمد سالم القاسمي نجل الشيخ حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب القاسمي، والشيخ المسند محدث الديار الهندية افتخار أحمد الكاندهلوي، والشيخ الكبير رشيد أحمد الأعظمي نجل الشيخ المحدث الجليل حبيب الرحمن الأعظمي، ومن محدث السند العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله زور جمالي شيخ الحديث بجامعة مظهر العلوم بالسند، ومن المحدث الشيخ الدكتور أبو الليث الخيرآبادي، ومن المحدث الشيخ محمد وائل الحنبلي.

تحرير: محمد بن خورشيد الصديقي

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح من صلحت به عقيدة البشرية واستنارت بنور هديه وهدايته الإنسانية واستضاءت بسيرته العطِرَة وسننه التي هي الأقوم واهتدت بسلوك صراطه المستقيم، من أتم الله به نعمته على الكون ومنّ به وببعثته على عباده كلهم طرًّا أجمعين، سيد الخليقة وصفوة الأولياء وقدوة الأصفياء وسيد المرسلين وإمام الأنبياء، رحمة الله المهداة ونعمة الله المسداة، سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله، صلى الله وسلم وبارك وأنعم وأنزل أزكى تحياته عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عظيم المن والإكرام، جليل الرحمة والإنعام، الذي له من الإفضال على العباد ما لو أمرهم بشكره حقَّ الشكر لعجزوا عن آخرهم، وملّوا عن القيام بشكره حقَّ القيام. أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة تنجينا وتزحزحنا عن العذاب والبلايا يوم التدافع والزحام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبدُه ورسولُه وصفيُّه من خلقه وإمامُ أنبيائه وصفوةُ أوليائه وقدوةُ المصطَفَين الكرام، صلى الله وسلم وبارك وأنعم عليه وعلى صحبه الغرّ الميامين وأزواجه أمهات المؤمنين وذرياته الطيبين النخبة من الأنام.

أما بعد! فقد ألّف العلامة المقرئ محمد طيب القاسمي ؒ الرئيس السابق للجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، هذا الكتابَ، عقبَ قرار صادر من الهيئة التنفيذية للجامعة، بتأليف كتاب في العقائد، سهل العبارة، واضح المراد، للطلاب المبتدئين، يشمل أدلةَ العقائد وبعضَ تفصيلها في موضع يحتاج فيه إلى التفصيل؛ ليكون لهم عونًا لمعرفة الأدلة الشرعية للعقائد الإسلامية التي تخلو منها عامة ما أُلِّف في العقائد، ومرتقًى إلى فهم الكتب الكلامية والعقدية الطويلة والمعقدة.

ألّف ؒ هذا الكتاب في مدة وجيزة، ما يقارب شهرين فصاعدا، كما صرح بذلك هو بنفسه في تقدمته، وسلك مسلك الاختصار في بيان الأدلة، وشَرَح العقائد شرحًا يناسب وضع الطلاب الذين لهم أول عهد بعلم الكلام والعقائد، ووضع كتابه هذا على الوضوح واليسر بحيث أمكن الانتفاع به لكل طالب مبتدئ، ولم يُدخِل المؤلف فيه من الدلائل العقلية ما يصعب فهمه للطلاب المبتدئين في الفن، ولم يلمّ بإشكالات فلسفية ومنطقية ما يعصر العقل وقوة الفهم.

زاد المؤلف ؒ في مقدمته - فأجاد - كلمة تعريفية عن أهل السنة والجماعة وعن الطوائف الزائغة، وما يفرّق بين هؤلاء وأولئك، شارحًا منهج أهل السنة في تلقّي العقائد والأحكام من الوحيَينِ المعصومَينِ المحفوظَينِ، والاستفادة مِن حَمَلَتهما وناقليهما إلينا من الرعيل الأول لهذه الأمة، رضوان الله عليهم أجمعين، مراعيًا في كل ذلك أذهان المبتدئين ودرك الشارعين في علم جديد.

وإلى جانب ذلك أضاف المؤلف العلّام في مقدمة الكتاب تراجمَ الأئمةِ: الإمامِ الأعظمِ أبي حنيفة والإمامِ أبي يوسف والإمامِ محمد والإمامِ أبي جعفر الطحاوي ، منتقيًا من المصادر الصافية ومن الأخبار المنتقدة التي لم تتكدّر بدسّ ودخيلة؛ إذ أن غالب ما يؤثر في تراجم أولئك الأئمة في كتب التواريخ لم تخلُ من دسّ واختلاق واصطناع ما يُغطّي الحق ويلمّع الكذب في شأنهم. وكتب نُبَذًا تعريفيةً عن مآثرهم وفضائلهم.

وإلى جانب ذلك وثّق من مناقبهم ما قد ضُعِّفت أو وُهِّنت لا على سبيل التحقيق، وزوَّر خلال الترجمة ما يروى وينقل للجرح فيهم من مثالب واضحة الكذب والبهتان؛ ليصبح الطلاب على علم واطلاع على صحيح سيرهم وصافي حياتهم وزاكي مساعيهم، ولئلا يغترّوا في عقيدتهم، حتى يكونوا على ثقة تامّة بشخصياتهم التي عوَّل عليها الإمام الطحاوي في بيان العقائد حيث يقول:

«هذا ذكر بيان عقائد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملّة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به لرب العالمين».

طُبع هذا المؤلَّف الشريف أول مرة إثر فراغ من تأليفه، ثم طبع مع زيادات من المؤلِّف على وجه التكملة، مثل المقدمة الشاملة لترجمة الأئمة وإيضاح منهج أهل السنة والجماعة وغير ذلك، ثم لم يمض كثير من الزمن إلا وقد أعيد الطبعة الأخيرة بالطباعة بالكمبيوتر، وكان ذلك آخرَ عملٍ على هذا المؤلَّف، ثم تتابعت الطبعات للكتاب حسب ما اقتضته حاجة الطلاب، من غير إضافةٍ فيه وتخريجٍ عليه وتصحيحٍ لما كان فيه من الأخطاء المطبعية، كحال غالب الكتب الدراسية الدينية في شبه القارّة الهندية.

وفي عام ١٤٣٢هـ شرعت في التخريج لأحاديث الكتاب بأمر وإشراف الأستاذين الشيخين / الدكتور إلياس عبد الغني والشيخ أبي سهل محمد سعد رحمت الله، ولم يكن ذاك العمل أخذ من الزمن كثيرًا، ولكن المقدّمة التي أضيفت إلى الكتاب في طبعاته المتأخرة كانت أحوج إلى عمل التخريج والتحقيق والتعليق في مواضع تحتاج إليه، فشرعت في ذلك العمل بإشراف فضيلتيهما، حتى منّ الله على العبد بإتمامه.

منهج التحقيق والتخريج

تحقيق نص الكتاب:

- اعتمدتُ في تحقيق الكتاب على النسخة التي هي الموجودة الآن في المكتبات الهندية؛ إذ هي الأجدُّ باعتبار الإضافات المزادة في الطبعات المتأخرة، ورمزت لها بـ (ج). وعندي نسخة أخرى قديمة مختصرة، أخالها من الطبعة الأولى، رمزت لها بـ (ق).
- وأخذت عند اختلاف النسخ بما هو أقرب إلى الصحة بحسب قواعد النحو والإملاء، من غير تعيين أحد النسخ أصلا؛ لعدم وجه التفاضل بينها.
- وضعت في الكتاب المتنَ الذي حققه الشيخ سعد رحمت الله على عشر مخطوطات.
- زدت في المتن إضافات المقرئ محمد طيب ﷺ بين القوسين.
- لم أشرح اختلاف النسخ في المتن إلا في موضع مست الحاجة فيه إلى ذلك.
- ألحقت المتن المحقق في آخر الكتاب بأكمله؛ كي يحفظ من أراد حفظه.

زياداتي في الكتاب:

- أضفت في بداية الكتاب ترجمةً موجزةً للمؤلف.
- لقد ترجم المؤلف ﷺ للأئمة الأعلام أثناء التعليق على أسمائهم في المتن، فصلت تلك التراجم من التعليق، ووضعتها في أول الكتاب كمقدّمة له؛ حتى يكون كل شيء في موقعه.
- هذَّبتُ بعض الكلمات في شتى المواضع، وكذلك أضفت بعض الكلمات في غضون عبارة المؤلف مميَّزةً بكونها بين المعقوفين [ ]؛ ليتضح المراد، وينجلي الإبهام.
- عنونتُ المسائل والمباحث؛ كي تسهل من الكتاب الاستفادة للقارئين، واستفدتُ في العنونة من الفهرس الذي وضع على نسخ الكتاب القديمة والجديدة، ومن عناوين شرح ابن أبي العز للعقيدة الطحاوية (طبعة مؤسسة الرسالة)، وجعلت العناوين بين المعقوفين [ ] حتى لا تختلط إضافاتي بأصل الكتاب.

- أضفت في تعليقاتي استدراكات الشيخ المحقق عبد الله سليم على حواشي الكتاب، شاكرًا إياه على عظيم اهتمامه بمراجعة التحقيق بدقة، وميَّزتُها بحرف السين هكذا (س).

عملي في تراجم الأعيان:

- خرَّجتُ تراجم الأئمة: أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد والطحاوي ﷺ، والروايات الواردة فيها، وأحلتُها إلى مصادرها الأصلية قدر المستطاع.
- حاولت تسهيل العبارة بوضع علامات الترقيم، وتقسيم الكلام إلى متعدد القطعات؛ ليفهم الطالب / القارئ كل قطعة من الكلام على حدة، ثم يرتقي إلى فهم القطعة التالية، فيرسخ في ذهنه ما يريد المؤلف ﷺ ترسيخه في أذهان القارئين.
- لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب، إلا فيما مست إليه الحاجة.

منهج تخريج الأحاديث:

خرَّجتُ الأحاديث التي ذُكرت في الكتاب تخريجا مختصرا، مع بيان حكمه نقلا من كتب المحدثين السالفين، الذين لهم كلام مسموع موثوق به في السلف والخلف، وسلكت في التخريج الخطط التالية.

- ضبطت لفظ الحديث من المصدر الأصل المنقول منه.
- إذا كان الحديث الوارد في الكتاب مُخرَّجا في الصحيحين أو أحدهما مع غيرهما: اكتفيت بذكر موضعه من الصحيحين برقمه، ولم أذكر مما سواهما؛ اختصارا في التخريج.
- وإن كان الحديث من السنن الأربعة: اقتصرت على ذكر موضعه منها، ولم أتجاوزها إلى غيرها.
- لم ألتزم بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، عند ذكر موضعه من دواوين السنة إلا في الكتب الستة، أما فيما عدا ذلك: فاكتفيت بذكر رقم الحديث.
- وإن كان المؤلف ﷺ أحال إلى أحد دواوين السنة: اقتصرت هنالك على ذكر موضع الحديث من ذلك الكتاب، وخرجته تخريجا مختصرا كما نصصت على ذلك في أعلاه.

الشكر والتقدير

وأتقدّم بجزيل الشكر ووافر التقدير إلى المشرفَين على هذا العمل، الشيخين الأستاذين/ الدكتور إلياس عبد الغني، والشيخ أبي سهل محمد سعد رحمت الله -حفظهما الله تعالى ورعاهما-؛ لما لهما عليَّ من أيادٍ بيضاء: بالتعليم السديد، وإرادة كل الخير.

كذلك لا أنسى المساهمة الهائلة للأخ الفاضل عبد الرحمن أحمد علي في إعداد وتصميم هذا المؤلَّف، فأشكره سائلا المولى عَزَّوَجَلَّ أن يتغمدنا وإياه بمنه وعفوه.

وأشكر من صميم القلب أخي العزيز محمدًا الصديقي وأختي الصغيرة، اللذَينِ لهما يَدُ عَونٍ ومساعدةٍ في هذا العمل المتواضع.

وكُلِّي أنا شكرٌ لأبويَّ الكريمين -أخلد الله ظلهما عليَّ بخير وصحة وعافية- الذين لهما عليَّ من المنِّ ما لو استفرغت لشكره حياتي كلَّها ما استوفتني وما ساعدتني.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبل برحمته ومحض كرمه هذا العمل المتواضع الصغير، ويجعله ذُخرًا لي في عاقبتي، ويتقبلني لخدمة شريعته في الذين يغرسهم لها. اللهم آمين.

أحمد خورشيد الصدِّيقي

عصر يوم السبت ٢٩/ ٣/ ١٤٣٧هـ

****

ترجمة موجزة للمؤلف (للشارح)(١)

اسمه ولقبه:

هو العالم الهندي الكبير الذي انتهت إليه رئاسة الخطابة الدينية وعلم أسرار الشريعة وحِكَم مسائل الدين في العهد الأخير، حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب الصديقي(٢) القاسمي.

نسبه ومولده:

هو ابن الحافظ(٣) فخر الإسلام محمد أحمد بن الإمام حجة الإسلام محمد قاسم النانوتوي رحمهما الله الذي كان رئيسَ الطائفة المؤمنة والكتيبة الربانية التي أسّستْ جامعة ديوبند الشهيرة، والذي ينتهي نسبه إلى سيدنا خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق، رضي الله عنه وأرضاه. وُلد الشيخ رحمه الله في شهر محرم عامَ ١٣١٥هـ / مايو ١٨٩٧م بمدينة ديوبند بمديرية سهارنفور الواقعة بشمال الهند.

دراسته وتعلّمه:

بدأ يتعلّم في الكُتّاب وهو ابن سبع سنين، وانتهى من حفظ القرآن الكريم مع إتقان التجويد والقراءات في ظرف سنتين، وانتسب إلى القسم الفارسي والأردي بجامعة ديوبند، ثم انتسب فيها لتلقي الدراسات العليا إلى القسم العربي المخصص لعلوم الشريعة الإسلامية، فتخرَّج منه عالـمًا متضلعًا عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م وهو ابن نحو ٢٢ سنة فقط.

شيوخه وأساتذته:

وكان من بين الشيوخ الأجلّاء الذين قرأ عليهم المؤلف في جامعة ديوبند واستفاد منهم:

١ - الشيخ العلامة محمود حسن الديوبندي المعروف بـ«شيخ الهند» المتوفى ١٣٣٩هـ، رحمه الله.

---

(١) الترجمة مأخوذة، مع بعض تعديلات، من مقدمة الشيخ الأديب نور عالم خليل الأميني - حفظه الله - الذي وضعها في مقدمة تعريبه لكتاب المؤلف «علمائے دیوبند کا دینی رخ اور مسلکی مزاج» أي علماء ديوبند، اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي.

(٢) عامة المترجمين للشيخ حكيم الإسلام لا يُثبتون له نسبة الصديقي، وإني أثبتُّ ذلك لما رأيت المؤلف أثبته هو نفسه في آخر رسالته «الشجرة الطيبة»، التي هي محفوظة في مكتبة دار العلوم ديوبند في قسم الأنساب بالمكتبة الأردية.

(٣) اشتهرت كلمة «حافظ» لقبًا للشيخ محمد أحمد طوال حياته، رحمه الله.

٢- الشيخ خليل أحمد الأنصاري السهارنفوري المدني المتوفى ١٣٤٦هـ، رحمه الله.

٣- المفتي الأكبر بجامعة ديوبند الشيخ عزيز الرحمن العثماني الديوبندي المتوفى ١٣٤٧هـ، رحمه الله.

٤- المحدث الكبير الشيخ العلامة أنور شاه الكشميري المتوفى ١٣٥٢هـ، رحمه الله.

٥- الشيخ حبيب الرحمن العثماني الديوبندي الرئيس الأسبق لجامعة ديوبند المتوفى ١٣٤٨هـ، رحمه الله.

٦- الشيخ العلامة شبير أحمد العثماني الديوبندي المتوفى ١٣٦٩هـ، رحمه الله.

٧- العالم الرباني الشيخ السيد أصغر حسين الديوبندي المتوفى ١٣٦٤هـ، رحمه الله.

٨- الشيخ إعزاز علي الأمروهوي المعروف بـ«شيخ الأدب» المتوفى ١٣٧٤هـ، رحمه الله.

٩- الشيخ محمد إبراهيم البلياوي المتوفى ١٣٨٧هـ، رحمه الله.

١٠- الشيخ غلام رسول الهزاروي المتوفى ١٣٣٧هـ، رحمه الله.

١١- الشيخ محمد ياسين الديوبندي المتوفى ١٣٥٥هـ، رحمه الله.

١٢- الشيخ المقرئ عبد الوحيد، رحمه الله.

حياته العلمية:

وبعد تخرّجه من دار العلوم ديوبند عُيِّنَ مُدرِّسًا فيها، فدرّس شتى العلوم والفنون عن جدارة وأهلية، ثم عُيِّن نائب رئيس لدار العلوم عام ١٣٤١هـ، ثم عُيِّن رئيسا مساعدا للجامعة بعد وفاة الشيخ حبيب الرحمن العثماني الديوبندي عام ١٣٤٨ لمدة شهرين فصاعدا، ثم عُيِّن رئيسا مستقلًّا في ٢١/ شوال/ ١٣٤٨هـ، ٢١/ فبراير/ ١٩٣٠م. ومضى يرأس الجامعة نحو ستين عامًا، وخدم الجامعة وأهلها خدمة تفوق الوصف، فجزاه الله عنا وعن جميع المسلمين خير جزاء.

خصائصه:

من أجلّ خصائصه: تضلّعه في علم أسرار الشريعة، وَلَيَلمسنّ ذلك كلٌّ من طالع كتابا ألّفه، أو قرأ خطابةً له ألقاها، ولتلك الميزة لُقِّب بـ«حكيم الإسلام».

ومن خصائصه: الخطابة، فكأنه ميسَّر لها، يسّر الله له إقناعَ القلوب وتطمين الأفئدة، كان بخطابته يمتلك مشاعر المستمعين، ويسطو على ما في قلوبهم من عُقَد الشبهات والوساوس، فيحلها واحدة تلو

الأخرى، وكان يتكلم ارتجالا دون أن يخونه التعبير أو تنقصه المعلومات.

ومن خصائصه: التنظيم، فلم يشهد تاريخ جامعة ديوبند مثل تنظيمه وإدارته، ومن أجلى مظاهره الاحتفال المئوي للجامعة.

مؤلفاته وآثاره:

ألّف ﷺ مؤلفات كثيرة في مختلف الموضوعات الإسلامية، تشهد بغزارة علمه، ووفرة اطلاعه، وتعمقه في الكتاب والسنة، وتشبعه بأسرار الشريعة، منها:

١ - التشبه في الإسلام
٢ - أسباب تقدم الأمم وانحطاطها
٣ - المقامات المقدسة
٤ - الدين والسياسة
٥ - مبادئ الدعوة الإسلامية
٦ - المساواة الإسلامية
٧ - الإسلام والعلوم
٨ - الاجتهاد والتقليد
٩ - خطبات حكيم الإسلام
١٠ - ڈاڑھی کا فلسفہ (حِكمة اللحية)
١١ - آفتابِ نبوت (شمس النبوة)

وفاته:

استأثرت به رحمة الله تعالى يوم الأحد ٦/ شوال/ ١٤٠٣هـ، ١٧/ يوليو/ ١٩٨٣م، عن عمر يناهز ٨٨ عامًا، رحمه الله رحمة واسعة.

* * * *

كلمة المؤلف (الشارح)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد، فإن مجلس الشورى لدار العلوم بديوبند حين اتخذ خطوات هامة لإصلاح النظام التعليمي وإدخال التعديلات على المنهج الدراسي، قد قرّر في الجلسة المنعقدة في شعبان سنةَ ١٣٩٠هـ زيادةَ بعض المتون على المنهج، منها «عقيدة الطحاوي»، وهي رسالة تتجلى في مرآتها العقائد الإسلامية النزيهة للسلف الصالح، إلا أنها في غاية الإيجاز والإجمال بحيث يصح القول عنها: «إنها فهرس موجز للعقائد»، فكلفني المجلس بتوضيح ما تحتويه الرسالة واستخراج مآخذه من الكتاب والسنة.

وكان أكبر الدواعي إلى ذلك أن متون العقائد تذخر في الغالب بالدلائل العقلية، ولكنها باستثناء مطوَّلات هذا الفن تكاد تخلو عن الدلائل السمعية، وذلك ما أدّى إلا إلى إبعاد أذهان الطلبة عن الدلائل السمعية وعدم اطلاعهم على مآخذ العقائد من القرآن والحديث، مع أن الدلائل السمعية هي الأساس الحقيقي والمصدر الأصيل للعقائد.

ونظرًا إلى ذلك جعلت أكبر اهتمامي في تحشية هذه الرسالة إلى تعيين وإثبات المآخذ لكل عقيدة من الكتاب والسنة، مع اعترافي بعدم تضلعي في اللغة العربية وإتقان أساليبها، لذلك لا أثق بصحة تعبيري وأسلوبي، فربما يكون فيها ما يسمى خطأً أو نقائص تعبيرية، وبخاصة إذا كانت الحالة قد فرضت عليّ الاستعجالَ وإتمامَ هذا الواجب في مدة يسيرة لا تكفي لمثل هذا العمل العلمي العظيم، فقد أتممت هذه الحاشية في شهر ونصف على الأكثر، ولا شك أن هذه المدة غيرُ كافية وقليلةٌ بالنسبة إلى أهمية الخدمة المفوَّضة.

وقد تجرّأت على تحشية الرسالة بالعربية مع ضعف استعدادي فيها وعدم ممارستي لها؛ نظرًا إلى أن الغرض ليس تحسينَ البيان وتنميقَ العبارات، وإنما هو توفير الدلائل السمعية للدارسين، فلم أقصر ما أمكنني في الغرض الأصيل، وحيث أني لا أدّعي صحة البيان أرجو العلماء أن يتكرموا مشكورين بإطلاعي على أخطاء وزلّات إن وجدوها في الحاشية، والله يجازيهم على ذلك أحسن الجزاء.

قد طالت بعض الإيضاحات - دون قصد - عن بعض المسائل العويصة والمواضع المغلقة، ففصلتها عن الحاشية، وجعلتها «تتمة» سوف تطبع وتلحق[1] بالرسالة في الطبعة القادمة، إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.

محمّد طيِّب

مدير دار العلوم ديوبند

الثاني من محرم الحرام، سنة ١٣٩٢هـ

(١) لم تطبع تلك التتمات في الطبعات المتأخرة، - لعلها لعدم إتمامها لم تطبع -، وإنما أضيف إلى الكتاب فيما بعد بعض الإضافات من ترجمة الأعلام وشرح منهج أهل السنة والجماعة والتعريف بالفرق الضالّة. وليست «التتمة» كتابا آخر للمؤلف، كما يظهر ذلك في قول المؤلف: «وتفصيله في التتمة».

* * * *

[ترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي[1]]

[اسمه وكنيته ونسبه]

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن مرزبان، من أبناء أحرار الفارس.[2]

[مولده ووفاته]

ولد في سنة ٧٠ هـ، وهو الأصح،[3] وفيه أقوال أخر، وهو أكبر سنا من الإمام مالك؛ لأنه ولد في

---

(١) قال ابن كثير: هو الإمام أبو حنيفة، واسمه النعمان بن ثابت، التيميّ مولاهم، الكوفي، فقيه العراق، وأحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام، وأحد أركان العلماء، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، وهو أقدمهم وفاة؛ لأنه أدرك عصر الصحابة، ورأى أنس بن مالك، قيل: وغيره. وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة. فالله أعلم. «البداية والنهاية» ١٣/ ٤١٦.

(٢) ذكر عبد الرشيد النعماني - نقلًا عن «نهاية السول في رجال الستة الأصول» لبرهان الدين الطرابلسي الحلبي - روايةً عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال فيما رُوِيَ عنه: «أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن المرزبان، من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقع علينا رقٌّ قط». «مكانة الإمام أبي حنيفة» ص: ٦١.

(٣) جنح إلى هذا القولِ العلامةُ الكوثريُّ في «تأنيب الخطيب» ص: ٣٨ - ٣٩، فبعد ما عدّ أقوالا في عام ميلاد الإمام الأعظم قال: والأكثرون على أن أبا حنيفة ولد سنة ثمانين [راجع «وفيات الأعيان» ٥/ ٤٠٥، «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه» للذهبي ص:١٣، «الانتقاء» ص: ١٨٨، و«مناقب الإمام الأعظم» للموفق المكي، ١/ ٥. (أحمد)]؛ ترجيحًا منهم لأحدث التواريخ المروية في المواليد وأقدمها في الوفيات؛ أخذًا بالأحوط في الحكم بالاتصال أو بالانقطاع، لكن هذا إذا لم يوجد ما يؤيد إحدى الروايات، وهنا أمور تخدش ما اختاره الأكثرون، منها: ما فعله الحافظ أبو عبد الله محمد بن مَخْلَد العطار (المتوفى ٣٣١ هـ) في «جزئه» الذي سماه: «ما رواه الأكابر عن مالك»، حيث عدّ حماد بن أبي حنيفة من هؤلاء الأكابر، فساق حديثا بطريق حماد بن أبي حنيفة عن مالك. وحماد هذا وإن توفي قبل مالك بنحو ثلاث سنين لكن عدُّه من الأكابر بالنظر إلى مالك لا يتمّ إلا إذا كان ميلاده قبل ميلاد مالك أيضا، فيجب أن يكون ميلاد أبي حنيفة قبل سنة ثمانين بمدة لا تقلّ عن عشر سنين؛ ليصح أن يكون ميلاد حمادٍ ابنِه قبل ميلاد مالك. وابن مخلد من الحفاظ البارعين ومن شيوخ الدارقطني، فلا يحيد عن التحقيق فيما يكتب...

ومنها: أن العقيلي روى في ترجمة حماد بن أبي سليمان ما يفيد أن إبراهيم بن يزيد النخعي لما مات اجتمع خمسة من أهل الكوفة، فيهم عمر بن قيس الماصِر وأبو حنيفة، فجمعوا نحو أربعين ألف درهم، ثم أعطوه حماد بن أبي سليمان؛ ليستعين به ويتفرغ لرياسة الجماعة في العلم، وكانت وفاة إبراهيم سنة خمس وتسعين (٩٥هـ)، ولو كان ميلاد =

[سنة] ٩٥ هـ.[1] ووفاةُ أبي حنيفة في سنة ١٥٠ هـ.[2]

[ثبوت رؤيتِه للصحابة وروايتِه عنهم]

حج البيتَ مع أبيه في [سنة] ٨٧ هـ،[3] ولقي عبد الله بن الحارث الصحابي، ورَوَى عنه. وقال ابن حجر العسقلاني وغيره من كبار المحدثين: ....

= أبي حنيفة سنة ثمانين لكانت سنّه عند وفاة النخعي خمس عشرة سنة، ومَن يكون في مثل هذه السنَة لا يتصور منه أن يهتمّ هذا الاهتمام بمن يخلف النخعي. فبالنظر إلى مشاطرة أبي حنيفة هؤلاء في ذلك لا بدّ أن تكون سنه أكبر من هذه السنّ. ومنها: أنه قد تضافرت الروايات على أن أبا حنيفة قبل انصرافه إلى الفقه كان جدليًّا يشتغل بعلم الكلام، حتى هبط البصرة نحو عشرين مرة؛ ليناظر القدرية وغيرهم، ثم انصرف إلى الفقه، ومن تكون سنّه عند وفاة النخعي كما ذكرناه [أي ١٥ سنة] لا يمكن له الاشتغال الطويل بالجدل قبل انصرافه إلى الفقه، فيترجح لهذه الأسباب وغيرها أن ميلاده قبل سنة ثمانين، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ

(١) انظر «طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق الشيرازي ص: ٦٨.

(٢) انظر «الانتقاء» ص: ١٨٨، و«النجوم الزاهرة» ٢/ ١٧.

(٣) روى الصيمري عن أبي حنيفة قال: حججْت مع أبي سنة ست وتسعين (٩٦ هـ)، ولي ست عشرة سنة، فإذا أنا بشيخ قد اجْتمع الناس عليه، فقلت لأبي: من هذا الرجل؟ فقال: هذا رجل قد صحب محمدا ﷺ، يقال له: عبد الله ابن الحارث بن جزء. فقلت لأبي: أي شيء عنده؟ قال: أحاديث سمعها من النبي ﷺ. فقلت: قدِّمني إليه حتى أسمع منه. فتقدم بين يدي فجعل يفرج عني الناس حتى دنوت منه، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب. «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» ص: ١٨.

نقل ابن حجر المكي الهيتمي في «الخيرات الحسان» ص: ٤٦ جرحا وتكذيبا لهذه الرواية، ونصه: «واعترض بأنه مات سنة ست وثمانين بمصر .... وأما ما جاء عن أبي حنيفة من أنه حج مع أبيه سنة ست وتسعين [فيكون عمره حينئذ ستة عشر عاما حسب ما نقله الجمهور أنه ولد سنة ثمانين، (أحمد)] وأنه رأى عبد الله هذا يدرس بالمسجد الحرام وسمع منه حديثا، فرده جماعة، منهم الشيخ قاسم الحنفي من مشايخ مشايخنا، بأن سند ذلك فيه قلب وتحريف، وفيه كذاب اتفاقا، وبأن ابن جزء مات بمصر ولأبي حنيفة ست سنين، وبأن عبد الله بن جزء لم يدخل الكوفة في تلك المدة». وكذلك حكم الإمام الذهبي على هذه القصة بالاختلاق والوضع، انظر: «سير اعلام النبلاء» ٣/ ٣٨٧.

ولكن جنح الشيخ طيب القاسمي إلى أن لا يحكم عليها بالوضع، فإنه بعد ما استقر في سنة ميلاد أبي حنيفة أنه ولد سنة سبعين، وهو الأصح، وحجّ وله ست عشرة سنة، أمكن لقاء أبي حنيفة لعبد الله بن الحارث بن جزء ﷺ في سنة ٨٦ هـ، فلا يؤثر في الرواية ما اعترضوا به «بأن أبا حنيفة حجَّ أول حجه حين كان ابن ست عشرة سنة، وذلك =

إنه رأى أنس بن مالك[١] ولقي بعض الصحابة، بل على قول صاحب «الدر المختار»: رأى عشرين صحابيًّا.[٢] وفي «الإكمال»[٣] أنه زار ستة وعشرين صحابيًّا، وفي مسكنه الكوفة جاء عبد الله بن مسعود. وفي الروايات الوحدانيات بينه وبين رسول الله ﷺ واسطة واحدة،[٤] وهذه الفضيلة غير حاصلة لمن بعده،[٥] بل لكثير من معاصريه.

= في سنة ٩٦ هـ؛ تعويلًا على ما اختاره معظم المؤرخين من أن سنة ميلاده ٨٠»، فما في الرواية من التصريح بسنة ست وتسعين مدرج من أحد الرواة؛ اعتمادًا منه على ما اشتهر من تاريخ ميلاده، مع أنه قد صرح الإمام العيني رحمه الله أن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه توفّي بمصر عام ثمان وثمانين، (انظر «مغاني الأخيار» ٣/ ١٢٤)، فلا يبعد إذن لقاءُ الإمام أبي حنيفة له رضي الله عنه وسماعُه منه الحديثَ.

وبناءً على هذا التحقيق يجب أن يكون تاريخ حج الإمام سنة ٨٦ هـ؛ لأنه العام السادس عشر من عمره، وقد حج الإمام فيه، لا سنة سبع وثمانين، كما في الأصل. وقال الجعابي فيما روى عنه الموفق في «مناقب الإمام الأعظم» ١/ ٢٦»: ومات عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي سنة تسع وتسعين (٩٩)، إذن لا يبعد لقاء أبي حنيفة له ولو سُلِّم أنه من مواليد العام الثمانين. وقد ذهبَ إلى ثبوت لقاءِ أبي حنيفة لعبد الله بن الحارث رضي الله عنه وروايتِه عنه ابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم» ١/ ٢٠١، ح: ٢١٦.

(١) انظر «البداية والنهاية» ١٠/ ١١٤، «مناقب الإمام أبي حنيفة» للذهبي، ص: ١٤، و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣٨٧.

(٢) يقول الإمام الحصكفي في «الدر المختار» ١/ ١٤: وأدرك بالسِّنِّ نحو عشرين صحابيا، كما بسط في «أوائل الضياء». ويقول ابن عابدين شارحا في «رد المحتار» ١/ ١٦١ - ١٦٢: (قوله: وأدرك بالسنّ) أي وُجد في زمنهم، وإن لم يرهم كلهم. (قوله: كما بسط في «أوائل الضياء») فقال: هم: ابن نفيل، وواثلة، وعبد الله بن عامر، وابن أبي أوفى، وابن جزء، وعتبة، والمقداد، وابن بسر، وابن ثعلبة، وسهل بن سعد، وأنس، وعبد الرحمن بن يزيد، ومحمود بن لَبِيد، ومحمود بن الرَّبيع، وأبو أمامة، وأبو الطفيل، فهؤلاء ثمانية عشر صحابيًّا، وربّما أدرك غيرهم ممن لم أظفر به، ملخصًا. وزاد في «تنوير الصحيفة»: عمرو بن حريث وعمرو بن سلمة وابن عباس وسهل بن منيف، ثم قال: وغير هؤلاء من أماثل الصحابة رضي الله عنهم... فبالنظر إلى قول العلامة الحصكفي رحمه الله هذا لا يصح دعوى الرؤية لهم، بل المعنى أنه عاصرهم وأدرك زمنهم.

(٣) لم أجده فيما طبع من «الإكمال»، وعَدَّ العلامة ابن عابدين الشامي الصحابةَ الذين رآهم الإمامُ أبو حنيفة اثنين وعشرين صحابيا، كما مر أعلاه.

(٤) ذكرها العلامة العيني في «مغاني الأخيار» ٣/ ١٢٢ - ١٢٥، والموفق المكي في «مناقب الإمام الأعظم» ١/ ٢٧ - ٣٧.

(٥) في الأصل: «بعدهم». والصحيح ما أثبت.

قال مجد الدين الفيروزآبادي: إن «أبا حنيفة» كان لقبا لعشرين فقيها، ولكن اشتهر لأفقههم نعمان ابن ثابت الكوفي.(١)

[ذكر المبشِّرات لإمامة أبي حنيفة]

وإنه رأى في صباه أنه ينبش قبر النبي ﷺ ويخرج منه عظامه، فعبَّر محمد بن سيرين أن الرائي يحفظ وينشر سنن النبي ﷺ في العالم.(٢) وقال جلال الدين السيوطي:(٣) هو مصداق هذا الحديث «لو كان العلم بالثريا لناله(٤) رجل من أبناء فارس».

[تلاميذه]

واستفاد منه رجال كثيرون، وتلاميذه زائدون على أربعة آلاف.(٥)

قال الحافظ ابن حجر المكي: إن الإمام مالكًا تلمذ على أبي حنيفة،(٦) وكلما حضر [الإمام أبو حنيفة]

(١) انظر: «القاموس المحيط» ١/ ٨٠٢.

(٢) انظر «تاريخ بغداد» ١٥/ ٤٥٩.

(٣) راجع «تبييض الصحيفة» ص: ٢٠.

(٤) ونصّ الإمام السيوطي في «تبييض الصحيفة» ص: ٢٠: قد بشر به النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في «الحلية» [٦/ ٦٤]: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان العلم [منوطا] بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس». وأخرج الشيرازي في «الألقاب» عن قيس بن سعد بن عبادة ﷺ قال: «لو كان العلم معلقا بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس». [قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٥٠: رواه أبو يعلى والبزار والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح.] وحديث أبي هريرة أصله في صحيحي «البخاري» [في ك: التفسير، ب: قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٣)، ح: (٤٨٩٧)]، و«مسلم» [في ك: فضائل الصحابة، ب: فضل فارس، ح: (٦٤٩٨)] بلفظ: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء». وفي لفظ «مسلم» [في ك: فضائل الصحابة، ب: فضل فارس، ح: (٦٤٩٧)]: «لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس - أو قال: من أبناء فارس - حتى يتناوله».

(٥) يقول عبد القادر القرشي: ولم أر أحدا تتبع طبَقاتِ أصحابنا، وهم أُمم لا يحصون، فقد ذُكِر في «كتاب التعليم» أنه رَوَى عن أبي حنيفة ﷺ ونقلَ مذهبه نحوٌ من أربعة آلاف نفر. «الجواهر المضيئة» ١/ ٣. وذكر العلامة العيني أسماء بعضهم، انظر «مغاني الأخيار» ٣/ ١٢٩ - ١٣٤. وقال الذهبي في «مناقب الإمام»، ص: ٢٠: روى عنه من المحدثين والفقهاء عدة لا يحصون ... وخلائق.

(٦) قال العلامة العيني: مالك بن أنس كان يسأله ويأخذ بقوله ويسمع منه متنكرًا. «مغاني الأخيار» ٣/ ١٣٠، وانظر =

المدينة المنورة استفاد مالكٌ وتذاكر معه، ومرة واحدة تذاكر إلى آخر الليل،(١) فسأل الناس عن هذا، فقال مالك: إن أبا حنيفة لو أراد أن يدعي أن عمود الخشبة من ذهبٍ لقدر عليه.(٢)

واستفاد مالك من كتبه ومسائله المستخرجة كثيرا،(٣) حتى قيل: إنه استفاد ستين ألف مسألة.(٤)

[شيوخه]

ومشايخ أبي حنيفة أربعة آلاف،(٥) بعضهم صاحب رسول الله ﷺ، ولكن أكثرهم تابعون أو تابعوهم. والأستاذ الخاص منهم حمّادٌ تلميذ إبراهيم النخعي،(٦) وكان أبو حنيفة يلازم صحبته، ويجلس أمامه في الدرس، ويتولى منصب الإفتاء في غيبوبته، ويصدقه الأستاذ في أكثر فتاواه بعد القدوم،(٧) حتى كان أبو حنيفة أحب التلامذة [إليه]. وسأل إسماعيل بن حماد أباه مرةً: من أحب الناس عندك؟ فقال: أبو حنيفة.

= «الخيرات الحسان» ص: ١٦.

(١) رواه الصيمري في «أخبار أبي حنيفة» ص: ٨١.

(٢) قال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلًا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته. انظر «مناقب الإمام أبي حنيفة» للذهبي، ص: ٣١، و«منازل الأئمة الأربعة» ص: ١٧٣.

(٣) «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» ص: ٨١.

(٤) انظر «تأنيب الخطيب» للكوثري، ص: ١٢. وروى الموفق المكي في «مناقب الإمام الأعظم ١/ ٩٦» عن الإمام مالك: أنه سئل: كم قال أبو حنيفة في الإسلام؟ قال: ستين ألفا. يعني مسائل.

(٥) انظر «مناقب الإمام الأعظم» للموفق ١/ ٣٨، «مغاني الأخيار» ٣/ ١٢٦، و«الخيرات الحسان» ص: ٥٠.

(٦) قال الذهبي في «مناقب الإمام» ص: ١٩: **شيوخ أبي حنيفة وأصحابه**: تفقّه بحماد بن أبي سليمان صاحب إبراهيم النخعي وبغيره، وقال: اختلفت إلى حماد خمس عشرة سنة. وفي رواية أخرى عنه قال: صحبتُه عشرة أعوامٍ أحفظ قوله وأسمع مسائله.

(٧) روى الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ١٥/ ٤٥٧ عن زفر بن هذيل: أن أبا حنيفة كان يجلس عند حماد بن أبي سليمان، فجاءه (أي حمادا) في تلك الليلة نعيُ قرابة له قد مات بالبصرة وترك مالًا وليس له وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه، فما هو إلا أن خرج حتى وردت عليّ مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين ثم قدم، فعرضتُ عليه المسائل، وكانت نحوا من ستين مسألة، فوافقني في أربعين، وخالفني في عشرين، فآليت على نفسي أن لا أفارقه حتى يموت، فلم أفارقه حتى مات. وروى الموفق المكي في «مناقب الإمام الأعظم» ١/ ٥٨ عن محمد بن مالك عن أبي حنيفة قال: لزمت حمادا لزوما ما أعلم أن أحدا لزم أحدا مثل ما لزمته.

[ثناء الأئمة عليه، وما روي في حفظه وذكائه]

وكان أبو حنيفة أذكى الناس[١] وأعلمهم في زمانه.[٢] قال يزيد بن هارون وأبو بكر بن عياش: كان أبو حنيفة أعظم الناس وأذكاهم.[٣] وقال خارجة بن مصعب: لقيت من العلماء أكثر من ألف، ولكن ما رأيت أحدا مثله.[٤] واستخف رجل أبا حنيفة عند عبد الله بن مبارك، فقال: هات مثله، وإلا فاتركني ولا تُمِلّني؛ لأني رأيت الأكابر أصاغر في مجلسه، وما رأيتني حقيرا في مجلس أحد مثل ما رأيت في مجلسه.[٥] وقال سفيان الثوري: لا يخالف أبا حنيفة إلا من يساويه في علمه، ومن هو؟[٦]

وقال سفيان بن عيينة: كان أعلم الناس في زمانه ابن عباس ثم الشعبي ثم أبو حنيفة، وما رأيت مثل أبي حنيفة.[٧]

وقال عبد الله بن المبارك: أبو حنيفة أمير المؤمنين في الحديث. وقام عبد الله مرة على قبره وقال: ترك حماد وإبراهيم خلفهما عند الموت، ولكن ما تركت خلفك، ثم بكى بكاء شديدا[٨] وقال: لا تقولوا لأقواله الرأي، بل هي التفسير [للحديث].[٩]

وقال أبو علقمة: عرضت على أبي حنيفة الأحاديث التي سمعتها من الأساتذة، فبيّن أحوال كل راوٍ، وقال: فلان قابل للأخذ وفلان قابل للترك. فالآن أتأسف على أنني لِمَ لَمْ أعرض الأحاديث كلها عليه.

---

(١) يقول علي بن عاصم فيما روى عنه الذهبي في «مناقب الإمام» ص: ٣٢: لو وُزِن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم. وعن مكي بن إبراهيم قال: كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه.

(٢) يقول قيس بن الرَّبيع: كان أبو حنيفة ورعًا تقيًّا مفضَّلًا على إخوانه. انظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ١٨.

(٣) قال يزيد بن هارون: ما رأيت أحدا أورع ولا أعقل من أبي حنيفة. «الخيرات الحسان» ص: ٨٩. قال أبو بكر بن عياش: أبو حنيفة أفضل أهل زمانه. «تاريخ بغداد» ١٥/ ٤٥٩.

(٤) انظر «تاريخ بغداد» ١٥/ ٤٩٨، و«مناقب الإمام الأعظم» للموفق ٢/ ٤٩.

(٥) رواه موفق الدين المكي في «مناقب الإمام الأعظم» ٢/ ٥٢.

(٦) انظر «الخيرات الحسان» ص: ٦٧.

(٧) رواه البغدادي باختلاف لفظ واختصار، انظر «تاريخ بغداد» ٥/ ٣٣٨، والموفق في «مناقب الإمام الأعظم» ٢/ ٦٤.

(٨) انظر «أخبار أبي حنيفة» للصيمري، ص: ٨٦، و «مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ٢/ ٢٠١.

(٩) انظر «مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ٢/ ٥١، و«فضائل أبي حنيفة» لابن أبي العوّام، ص: ١٠٢.

وقال زهير بن معاوية: مجلس يوم عند أبي حنيفة أنفع من مجلس شهر عندي.[١]

والإمام الشافعي لما سأل الإمام مالكا عن أبي حنيفة قال: هو أعجب الناس، ما رأيت مثله.[٢] وقال وكيع: يا ليت، حصل لي عُشر من فقه أبي حنيفة! وقال: لا نفع من سماع الحديث بغير الفقه، ولا فقاهة لكم حتى تجلسوا عند أصحاب أبي حنيفة. وقال الزهري والأعمش وكبار المحدثين لأبي حنيفة: نحن الصيادلة وأنتم الأطباء.[٣] وقال أبو يوسف بعد وفاة أبي حنيفة: لو حصل لي مجلس واحد عند أبي حنيفة لأعطيت نصف مالي، والمال عنده عشرون مائة ألف.[٤] وقال الإمام الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.[٥] وقال الإمام جعفر الصادق: أبو حنيفة أفقه من فقهاء الكوفة.[٦]

[مكانته في الحديث رواية وحفظا]

والحافظ الذهبي عدَّه من حفاظ الحديث في طبقة خامسة،[٧] و«الحافظ» في [مصطلح] الحديث يقال للمحدث الذي يحفظ مائةَ ألفِ روايةٍ فصاعدًا مع الإسناد والمتن.[٨] والإمام البخاري كان حافظًا لستّ مائة ألف رواية،[٩] مع أن المشايخ والأساتيذ له في الحديث ألفٌ،[١٠] ....

---

(١) انظر «أخبار أبي حنيفة» للصيمري، ص: ٨٤، «مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ٢/ ٦٥ و«الانتقاء» ص: ٢٠٨.

(٢) انظر « الخيرات الحسان » ص: ٦٦.

(٣) رواه ابن أبي العوام عن الأعمش، انظر «فضائل أبي حنيفة» ص: ١٠٢، وسبط ابن الجوزي في «الانتصار والترجيح» ص: ١٠.

(٤) انظر «الجواهر المضيئة» ٢/ ٤٥٩.

(٥) انظر «الانتقاء» ص: ٢١٠، «تهذيب الكمال» للمزي، ٢٩/ ٤٣٣، «تذكرة الحفاظ» ١/ ١٦٨.

(٦) انظر «الجواهر المضيئة» ١/ ٤٥٨.

(٧) انظر «تذكرة الحفاظ» ١/ ١٦٨.

(٨) قال الإمام علي بن سلطان القاري: (الحافظ): هو من أحاط علمه بمائة ألف حديث. «شرح شرح نخبة الفكر» ١/ ١٢١.

(٩) روى المزي عن الإمام البخاري قال: أخرجت هذا الكتاب - يعني «الصحيح» - من زهاء ست مائة ألف حديث. «تهذيب الكمال» ٢٤/ ٤٤٢ - ٤٤٩.

(١٠) انظر «تاريخ بغداد» ٢/ ٣٢٩، و «تهذيب الكمال» ٢٤/ ٤٤٥.

ولأبي حنيفة أربعةُ آلاف أستاذ،[١] فكيف لا يكون مائة ألف روايةٍ محفوظةً عنده!؟

ولذا اعتمد عليه من أئمةِ الحديثِ يزيد بن هارون، وأبو بكر بن عياش، وابن أبي ليلى، ومسيب، وابن شريك، ويحيى بن معين، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وأبو علقمة، وعمرو بن علاء، وعلي بن المديني، وإسحاق بن راهويه، وأبو داود السجستاني، والإمام الأوزاعي، والقاضي فضيل بن عياض، وعطاء بن أبي رباح، وابن جريج، والعلامة ابن الأثير الجزري، ووكيع بن الجراح، وعمرو بن دينار المكي، والحافظ ابن عبد البر المالكي، وغيرهم ﷺ.[٢]

وكذا سائر أصحاب كتب الأحاديث تلاميذ له بالواسطة، كما خرّج الحافظ ابن حجر وصاحب «مجمع البحار» رواياتِ «الترمذي» و«النسائي»[٣] عن أبي حنيفة، وصاحبُ «الخلاصة» خرّج لـ«النسائي» و«جزء البخاري» و«الشمائل» للترمذي رواياتٍ متعددةً عنه، ولـ«مسند أبي داود الطيالسي» روايةً، ولـ«معجم الطبراني» روايتين،[٤] ولـ«مستدرك الحاكم» في الجزء الثاني روايةً وفي الجزء الثالث روايةً.[٥]

والدارقطني مع تعصبه على الإمام الأعظم قد خرّج الروايات عنه في ثلاثة وثلاثين موضعًا من طرقه.[٦] قال الحافظ الذهبي: تلاميذ الإمام قسمان: ١ - أصحاب الحديث ٢ - وأصحاب الفقه.

---

(١) انظر «مغاني الأخيار» ٣/ ١٢٦.

(٢) انظر «إكمال تهذيب الكمال» لعلاء الدين الحنفي، ١٢/ ٥٦ - ٥٧، «الطبقات السنية» ١/ ٢٧ - ٣٠، و«مناقب الإمام» للذهبي ص: ٢٠.

(٣) راجع «السنن الكبرى» للنسائي، رقم الحديث: ٧٣٠١.

(٤) راجع «المعجم الصغير»، رقم الحديث: ١٠٤، ١٧٢، و«المعجم الأوسط» رقم الحديث: ١٦٠٢، ١٦٠٥، ٢٠٢٠، ٣١٦١، ٣٣١٤، ٣٧٢٣، ٣٩٤٣، ٤٠٧٩، ٤٤٨٩، ٤٤٩٠، ٤٤٩٢، ٤٧٧٧، ٥٢٣٩، ٧١٤٢، و«المعجم الكبير» (٤/ ٩٦)، (٤/ ٢٦٣)، (٤/ ٢٧٢)، (٧/ ١١٣)، (٧/ ١٢٠)، (٨/ ٢٤)، (٩/ ٢٥٧)، (٩/ ٣٣٥)، (٩/ ٣٣٩)، (٩/ ٣٥٧)، (١٠/ ١٢٧)، (١٠/ ٤٢)، (١٠/ ١٧٤)، (١٧/ ٢٤٤)، (٢٣/ ٣٠)، (٢٤/ ٣٦٠).

(٥) راجع «المستدرك على الصحيحين» رقم الحديث : ٢٣٢٧، ٥٠٧٠، ٥٤٩٧.

(٦) انظر «الإمام أبو حنيفة النعمان محدثا في كتب المحدثين» لمحمد نور سويد، ص: ٧٠ - ٨٩.

قال الحافظ ابن حجر [المكي] عن بعض الأئمة: إن تلاميذه أكثر من تلاميذ الأئمة العظام كلِّهم.[١] وقد روى عن الإمام الأعظم مسنده خمسُ مائة من تلاميذه، والأربعون من تلاميذه بلغوا درجة الاجتهاد، وحضروا في مجلس الإفتاء وتدوين الفقه الذي جرى في خمس وعشرين أو ثلاثين سنةً،[٢] ورُتِّبت فيها خمسون ألفا بعد اثنتي عشرة مائة ألف مسألة.[٣] وفُوِّض منصب القضاء والإفتاء إلى تلاميذه في كل بلد، فلذا شاع واشتهر فقهه.

[ردّ ما طعن به الحاسدون الإمامَ الأعظمَ من قلّة الحديث[٤]]

فلا تلتفتوا إلى أقوال الحاسدين المعاندين الذين يقولون: إن أبا حنيفة قليل في الحديث والحفظ والعربية، وعقيدتُه عقيدةُ المرجئة، ويُكثر القياس والاستحسان والحيل. لأن العناد والحسد من لوازم الكمال والفضل. كما نقل الإمام البخاري عن أستاذه الحميدي:[٥] أن أبا حنيفة تعلّم من الحلاق في موسم الحج أربع سنن،[٦] فعُلم بذلك أنه قليل في الحديث، مع أن فقهه شاع في الثُّلثين من الأمة الإسلامية، ولا يكون الدرك الكامل والمعرفة التامة بالفقه بدون الكمال في الحديث؛ لأن كل فقيه محدث، ولا عكس.

وإذا كانت المسائل المستخرجة لأبي حنيفة كثيرةً فتكون أحاديثه كثيرةً، فلا يصح أن يقال: إنه قليل المعرفة بالحديث. بل ثبت أنه كثير المعرفة بالحديث، ولكن الإمام قد كان مشتغلا في [علم] ......

---

(١) راجع «الخيرات الحسان» ص: ٥٣ - ٦٥.

(٢) انظر «فقه أهل العراق وحديثهم» للكوثري، ص: ٥٥.

(٣) انظر مقدمة «النكت الطريفة» للكوثري.

(٤) قال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ٢/ ١٠٨٠: ونقموا أيضا على أبي حنيفة الإرجاء، ومن أهل العلم من يُنسَب إلى الإرجاء كثير، لم يُعْنَ أحد بنقل قبيح ما قيل فيه كما عُنُوا بذلك في أبي حنيفة لإمامته، وكان أيضًا مع هذا يُحسَد، ويُنسَب إليه ما ليس فيه، ويختلق عليه ما لا يليق به، وقد أثنى عليه جماعة من العلماء وفضَّلوه.

(٥) انظر «التاريخ الأوسط» ٢/ ٣٧.

(٦) في الأصل: «أربع سنن»، وليس كذلك فيما رواه الإمام البخاري في «التاريخ الأوسط» (٢/ ٣٧)، بل ذكر فيه أنه أخذ من الحجام ثلاث سنن.

الكلام والحديث،[1] ولما رأى أن احتياج المسلمين إلى المسائل الفقهية أشدّ اشتغل كلّيًّا بالفقه، وقال لتلاميذه: أعينوني؛ لأن الناس جعلوني صراطا يمشون عليه، فالذمة عليَّ.

ثم الأحاديث نوعان: **أحدهما**: ما تستنبط عنه الأحكام، **وثانيهما**: ما لا تتعلق به الأحكام، فوظيفةُ الفقيه الاشتغالُ بالأُولى، وتلك قليلة جدا،[2] فلا تكون قلة الروايات عيبا على الإطلاق.

على أن الشيخين أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وإن امتازا رتبةً بين الصحابة في مرافقته ﷺ، وعليًّا المرتضى صاحبَ النبي ﷺ ليلا ونهارا أربعا وعشرين سنةً، ما كانوا مكثرين في الحديث؛ لأن أبا بكر الصديق مع مزيته وفضله على الصحابة كان يخشى كثرة التحديث، وروي عن عمر الفاروق خمس مائة وخمس وأربعون روايةً، و عن علي خمس مائة وست وثمانون روايةً، وعن ابن مسعود ثمانُ مائة وثمانٌ وأربعون، [رضوان الله تعالى عليهم أجمعين]. فروايات الخلفاء الراشدين وأجِلّة الصحابة أقل من روايات أبي هريرة، وأنس، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وعبد الله بن العباس، وعائشة [رضي الله عنهم]؛ لأن كلَّ واحد منهم مكثر في الحديث. فالحاصل أن الإمام الأعظم ليس مقلًّا في الحديث حقيقةً، وإن سُلِّم فليس هذا بعيب.

وأما قلة الحفظ فاتهام محض من جهة الدارقطني، والجواب على ما قال العلامة العيني: أن الدارقطني قبِلَ[3] روايات الإمام في «سننه»؛ فعُلم منه أنه اعتمد على حفظ أبي حنيفة، وهذا الاتهام خطأ. والحافظ الذهبي قد عدّه من حفاظ الحديث.[4] وقال شعبة: هو أمير المؤمنين في الحديث.

وأيضًا شرائط قبول الروايات عنده أشد من شرائط سائر المحدثين، منها: أن الراوي يحفظ الرواية من وقت سماعها إلى وقت أدائها إلى الغير.[5] فكيف يكون سيئ الحفظ!؟ فهذا اتهام محض.

---

(١) روى الخطيب البغدادي عن زفر بن الهذيل قال: سمعت أبا حنيفة يقول: كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغًا يشار إليّ فيه بالأصابع. «تاريخ بغداد» ١٥/ ٤٥٦، وانظر «تهذيب الكمال» ٢٩/ ٤٢٦، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ٣٩٧.

(٢) انظر «النكت على كتاب ابن الصلاح» لابن حجر، ١/ ٢٩٩-٣٠٠.

(٣) انظر «الإمام أبو حنيفة النعمان محدثا في كتب المحدثين» لمحمد نور سويد، ص: ٧٠ - ٨٩.

(٤) انظر «تذكرة الحفاظ» ١/ ١٦٨.

(٥) انظر «فضائل أبي حنيفة» لابن أبي العوّام، ص: ١٢٥.

[ردّ ما يؤثر من طعنه بالضعف في العربية، واللحن]

وهكذا لا يصح قول الحاسدين: «إنه ضعيف في العربية»؛ لأن مسكنه العراق، وهو مركز للنحو [وعلوم العربية] بل لأئمة النحو.(١) والصحابة الكبار قدموا إلى العراق.(٢) والإمام تعلم الفصاحة والبلاغة هنا، ولذا قال أبو بكر الرازي: أشعار أبي حنيفة ألطف وأفصح من أشعار الشافعي.(٣) والظاهر أن الأشعار الفصيحة لا تكون بدون الفصاحة والبلاغة.

وأبو سعيد السيرافي وأبو علي الفارسي(٤) وابن الجني، من علماء العربية والبلاغة، لما شرحوا في كتبهم ألفاظ أبي حنيفة تعجبوا من براعته وبلاغته.(٥) وكان سفيان الثوري والأوزاعي في المغالطة، لكن بعد ظهور الحال أظهروا التأسف والندامة.(٦)

[ردّ ما يؤثر من رميه بالإرجاء، وفساد الاعتقاد]

وأما كونه على عقيدة المرجئة فنقول: إن الإرجاء نوعان:

١ - إرجاء السنة، وهو ممدوح ومنسوب إليه، كما قال صاحب «الدراسات»: وأهل السنة هم المرجئة المرحومة خلافًا للخوارج والمعتزلة.

٢ - وإرجاء البدعة، وهو مذموم، وقائله هم الجماعة المسماة بـ«المرجئة» الملعونة: الخوارج والمعتزلة، لا يصح نسبة الإمام الأعظم إليه.(٧)

---

(١) انظر «تأنيب الخطيب»، ص: ٤٦ - ٤٧.

(٢) قال العجلي في «معرفة الثقات» ٢/ ٤٤٨: نزل الكوفةَ ألف وخمس مائة من أصحاب النبي ﷺ.

(٣) نقله الكردري في «مناقب الإمام الأعظم» ١/ ٥٩.

(٤) في الأصل: «القاري»، والصحيح ما أثبت. وانظر قصته في «مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ٢/ ١٣٨.

(٥) انظر «تأنيب الخطيب»، ص: ٤٦.

(٦) انظر «مناقب أبي حنيفة» للذهبي، ص: ٣٤، «أخبار أبي حنيفة» للصيمري، ص: ٧٣ - ٧٦، و«مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ١/ ٨٩، ٢/ ١٢، ولثناء الأوزاعي عليه: «مناقب أبي حنيفة» للذهبي، ص: ١١٨، و«مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ٢/ ٢٧، ٢٨.

(٧) انظر للتروي في هذا المبحث «تأنيبَ الخطيب» ص: ٧٤ - ٧٥ - ٧٦، و«تاريخَ المذاهب الإسلامية» لأبي زهرة، ص: ١١٩ - ١٢٤.

[ردّ ما نقموا به على الإمام لقوله بالاستحسان]

والاستحسان أيضا يذكر في قدحه، مع أن الاستحسان قياس خفي، لا يدركه إلا من كان عالما ماهرا، حتى إن الإمام مالكا يقول: إن للعلم عشر حصص، وتسع منها في الاستحسان.[١] قال الإمام محمد: نسلك مع أبي حنيفة في القياس، ونتذاكر معه، ولكن إذا قال من الاستحسان عجزنا.[٢] وهذا من كمال حذاقته لا من نقصان علمه.

[ردّ ما نسب إلى الإمام من تجويز الحيل في الدين]

والحيل نوعان: ١ - شرعي[٣] ٢ - وغير شرعي.[٤]

ونسب الإمام البخاري الحيل الغير الشرعية إلى الأحناف،[٥] ولكنه غير صحيح، كما عدّه الحافظ الذهبي من أغلاطه المنسوبة إلى أبي حنيفة، وجعل عدم الاطلاع إلى مذهبه سببًا لذلك.

[تأليفات الإمام]

وتأليفات أبي حنيفة كثيرة. وفي «عقود الجمان»: إن الإمام رتَّب مجموعا في الفقه. والعلامة الكوثري ذكر في حاشية «بلوغ الأماني»: إن للإمام كتبا متعددة، والمسانيد المنسوبة إلى الإمام إحدى وعشرون، ونسب بعض العلماء «كتاب الآثار» لأبي يوسف ومحمد وزفر، إلى الإمام أيضًا.

ومن تصانيفه:

١ - كتاب الرأي، كما ذكره ابن أبي العوام.

٢ - وكتاب اختلاف الصحابة، كما ذكره أبو عاصم العامري ومسعود بن شيبة.

---

(١) انظر «الموافقات» للشاطبي: ٢/ ٥٢٣، ٥/ ١٩٨، و«الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم، ٦/ ١٦.

(٢) انظر «مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ١/ ٩٠.

(٣) وهو: ما يتوصل به إلى الحق، أو يتخلص به عن المضرة.

(٤) وهو: ما يتوصل به إلى الباطل أو إبطال الحق بعد الثبوت. والاحتيال المكروه: ما كان وسيلةً إلى الإعراض عن المندوب.

(٥) انظر «صحيح البخاري»، في ك: الحيل، ب: في الهبة والشفعة.

٣- وكتاب الجامع، كما ذكره العباس بن مصعب

٤- وكتاب السير

٥- وكتاب الأوسط

٦- والفقه الأوسط

٧- وكتاب الرد على القدرية

٨- ورسالة الإمام إلى عثمان [البتي] في الإرجاء

٩- وكتاب العالم والمتعلم

١٠- والفقه الأكبر

١١- والمكاتيب للوصايا.

ولكن تصانيفه لا توجد الآن إلا الكتب الثلاثة الأخيرة، كما لا توجد من تصانيف غيره من علماء الحديث والفقه في عصره، خصوصًا للأوزاعي، وسفيان الثوري، وحماد بن سلمة، وهشيم، ومعمر، وجرير بن عبد الحميد، وعبد الله بن المبارك، وغيرهم.

[نبذة مما روي في شدة تعبده واجتهاده في القربات]

وكان أبو حنيفة مع هذا زاهدا عابدا، كما قال سفيان بن عيينة: أكثر الصلاة في زماننا أبو حنيفة.[١] وقال أبو عاصم: يقال لأبي حنيفة لكثرة الصلاة: وتدا.[٢] وقال أسد بن عمرو: إن أبا حنيفة يختم القرآن في صلاة من الليل، وفي مكان توفي ختم القرآن سبعة آلاف مرة.[٣] كذا قال مكي بن إبراهيم ومسعر بن كدام[٤] وأبو معاذ خالد بن سليمان.

[فائدة] ومكي بن إبراهيم تلميذ لأبي حنيفة وأستاذ للبخاري الذي يروي إحدى عشرة رواية[٥] ...

(١) انظر «مناقب أبي حنيفة» للذهبي، ص: ١٧.

(٢) انظر المصدر السابق، ص: ٢٢، و«مناقب أبي حنيفة» للموفق المكي، ١/ ٢٣٣.

(٣) انظر «مناقب أبي حنيفة» للذهبي، ص: ٢٤، و«مناقب أبي حنيفة» للموفق المكي، ١/ ٢٣٥.

(٤) انظر «مناقب أبي حنيفة» للذهبي، ص: ٢٤.

(٥) انظر مقدمة «لامع الدراري» للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ﷫.

من اثنين وعشرين من ثلاثيات البخاري، وتسع منها مروية من راو آخر من الأحناف،[١] فبقيت روايتان رواهما البخاري من غير الأحناف. وقال خارجة بن مصعب: ختم القرآن في بيت الله أربعةُ رجال: عثمان بن عفان، تميم الداري، سعيد بن جبير، أبو حنيفة.[٢]

وقال قاسم بن معن: تلا أبو حنيفة آيةَ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ (القمر: ٤٦)، فكررها في الليل كلها، وبكى مسلسلا حتى أصبح.[٣] وقال أبو مطيع: رأيت أبا حنيفة وسفيان[٤] الثوري يطوفان البيت في الليل كلها.[٥] وكان أبو حنيفة جوادا معطيا مستغنيا، يعطي الفقراء والمساكين والعلماء كل صنف من المال، ولا يأخذ من بيت المال شيئا.[٦] كما ذكر أبو يوسف[٧] أن الخليفة أراد أن يعطيه ثلاثين [ألف] درهم، فلم يأخذ وقال معتذرا: إني غريب في بغداد، وإن شئت فأدخِل هذه العطية في بيت المال مني. فرضي الخليفة بذلك، ولكن بعد وفاة الإمام علم أنه اجتنب من مال بيت المال بالحيلة الجميلة.

---

(١) ستًّا منها روى الإمام البخاري عن أبي عاصم النبيل، وثلاثًا عن محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري. انظر المصدر السابق.

(٢) انظر «مناقب أبي حنيفة» للموفق المكي، ١/ ٢٣٧، وفي «مناقب أبي حنيفة» للذهبي، ص ٢٢: ختم القرآن... في ركعة.

(٣) انظر «مناقب أبي حنيفة» للذهبي، ص: ٢٣.

(٤) في الأصل: «وأبا سفيان»، والصحيح ما أثبت.

(٥) انظر «مناقب أبي حيفة» للموفق المكي، ١/ ٢٣٤ – ٢٤٨.

(٦) انظر «الخيرات الحسان» ص: ١١٢.

(٧) رواه الخطيب عن يوسف السمتي، لا عن أبي يوسف. انظر «تاريخ بغداد» ١٥/ ٤٨٧. ونقله ابن حجر الهيثمي من غير ذكر راو. انظر «الخيرات الحسان» ص: ١١٢.

* * * *

[ترجمة الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري]

[اسمه، نسبه ومولده]

[هو] الحافظ المتقن المجتهد المطلق،[١] يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بَحِير[٢] بن معاوية.[٣] وُلد في ٩٣ هـ.[٤]

---

(١) أي مجتهد مطلق صاحب ملكةٍ كاملةٍ في الفقه والنباهة وفرط البصر، والتمكنِ من الاستنباط المستقل به من أدلته، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والثوري والأوزاعي ﷺ، لا كما زُعم من كونه مجتهدا في المذهب، خالف إمامه في بعض الأحكام ولكن قلده في قواعد الأصول.

(٢) وقيل: هو «بُجَير» بضم الباء وفتح الجيم، راجع «الطبقات» لابن سعد، ٧/ ٢٣٨، «أسد الغابة» ٢/ ٤٢١، و«أخبار القضاة» ٣/ ٢٥٤.

(٣) قال ابن عبد البر: هو يعقوب بن إبراهيم بن حَبيب بن خُنيس بن سعد ابن حَبْتة الأنصاري، وسعد ابن حَبْتة يُعْرف بأُمِّه في الأنصار، وأمُّه حبتة بنت مالك من بني عمرو بن عوف، وهو سعد بن عوف بن بحير بن معاوية بن سُلْمَى بن بخيلة، حليف لبني عمرو بن عوف الأنصاريّ، له صحبة. «الانتقاء» ص: ٣٣٠، وانظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٥٨، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان، ٦/ ٣٧٨، والأصح أن خنيسًا أخو حبيب لا أبوه. انظر «حسن التقاضي في سيرة أبي يوسف القاضي» ص: ٥.

(٤) اتفق غالب المترجمين للإمام أبي يوسف ﷺ على أن ميلاده سنة مائة وثلاثة عشر. راجع «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه» للذهبي، ص: ٥٨، «مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ٢/ ٢٠٩، «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٧٩. ولكن ارتأى الشيخ طيب القاسمي والشيخ الكوثري رجحان القول بأن ميلاده سنة ثلاث وتسعين. وبسط الشيخ الكوثري في «حسن التقاضي»، ص: ٥ - ٦ في ذلك بسطا حسنا، أنقلُ نصَّه فيما يلي:

قال: وأما ميلاد أبي يوسف فقد رووا عن الطحاوي أنه سنة ١١٣هـ، وعليه جرى الأكثرون، لكن ذكر المؤرخ الفقيه أبو القاسم علي بن محمد السمناني (المتوفى سنة: ٤٩٩ هـ) في «روضة القضاة»، - وهي كتاب مفيد في القضاء -: توفي أبو يوسف وله تسعة وثمانون سنة، على خلاف في ذلك. ومثله في «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري، وإليه يجنح صاحب «أخبار الأول» ومؤلف «روضات الجنات» تقريبًا، فيكون ميلاده سنة ٩٣ هـ، بالنظر إلى أن وفاته سنة ١٨٢ هـ في التحقيق، وبين التاريخين تفاوت عظيم كما ترى...

ومن الدليل على وجاهة هذه الملاحظة ما ذكره الحافظ أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار (المتوفى ٣٣١ هـ) في «جزئه» المشهور الذي سماه «ما رواه الأكابر عن مالك»: حدثنا محمد بن هارون: حدثنا أبو موسى الأنصاري قال: قال لي أبو يوسف القاضي: إن طال بالناس الزمن رجعوا إلى فتى من أهل المدينة، يعني مالكًا. وهو في ضمن المجموعة رقم: ٩٨، =

وسعد بن بحير الذي هو من أجداده كان صحابيًّا، يتمنى المشاركة في غزوة أُحُد، ولكن لَـمَّا عُرض مع رافع بن خديج وابن عمر على النبي ﷺ قال: «أنتم صغيرون»، ثم حضر [من بعدُ]، وشهد غزوة الخندق وغزوات أخر.[1]

قال ابن عبد البر في «الاستيعاب»:[2] لَـمَّا رأى النبي ﷺ أن سعدا مع صغر سنه قاتل الكفار بالشجاعة، تعجب وقال: «من أنت؟» فقال: سعد. فدعا له بالخير والبركة وقال: «ادنُ مني». فدنا منه، فوضع رسول الله ﷺ يده على رأسه،[3] - فكان أبو يوسف يقول: نشاهد بركات يد النبي ﷺ -،[4] ثم بعد ذلك أقام سعد بالكوفة، وتوفي هناك، وصلى زيد بن أرقم عليه.[5] وكان أبو يوسف أكبر من الإمام مالك سنتين فقط، فلذا يعامل معه معاملة المعاصرة.

[نبذة من أحواله]

قال [الإمام أبو يوسف]: حضرت أولًا[6] في مجلس ابن أبي ليلى، وكان قاضيًا في عهد الأمويين والعباسيين،[7] وكان عارفًا لقضايا القاضي شريح الذي ولي القضاءَ ....

= في ظاهرية دمشق، وعليه سماعات كثير من الحفاظ. ولو لم يكن أبو يوسف أكبر سنًّا من مالك وأقرانه، لَـمَا صحَّ أن يقول عنه مثل هذا القول، [أي لم يكن ليطلق على الإمام مالك كلمة «الفتى». (أحمد)]، وكذلك نجد أبا يوسف يعامل مالكًا معاملة الأقران في كثير من الأحوال، وهذا ما كان يصح منه، لولا أنه من أقرانه أو أنه أكبر منه سنا، وهذا ما يستأنس به على اختلاف الروايتين المتباعدتين كل التباعد. على أن مواليد الأسلاف فيها اختلاف كبير واضطراب عظيم؛ لتأخر تدوين كتب الوفيات... هذا ما عنّ لي في هذا البحث، وللقارئ الكريم أن يختار ما يطمئن إليه قلبه.

وقد تكررت عبارة في الأصل في هذا الموضع خطأ، أسقطتها من هذه النسخة.

(١) انظر «معرفة الصحابة» لأبي نعيم، ٣/ ١١٨٠، «الاستيعاب» ٢/ ٢٨٨. و«مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٣٧، و«مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ٢/ ٢٠٩، ٢١٠.

(٢) راجع ٢/ ٢٨٨.

(٣) انظر « الاستيعاب » ٢/ ٢٨٨، «الانتقاء» ص: ٣٣٠، و«أسد الغابة» ٢/ ٤٢١.

(٤) انظر «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» للذهبي، ص: ٩٧.

(٥) انظر «الطبقات الكبرى» ٦/ ٥٢، «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» ص: ٩٨، و«الجواهر المضيئة» ٢/ ٥٠٩.

(٦) انظر «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٧٩، وانظر «طبقات الفقهاء» ص: ١٣٤.

(٧) كان قاضي الكوفة. انظر «طبقات الفقهاء» ص: ٨٤.

في خلافة عمرَ وعليٍّ ﷺ إلى عهد الحجاج، وعالـمًا بقضاياه، ولكن إذا كان يضيق صدره ولا ينشرح له مسألة، يرجع إلى أبي حنيفة، فقلت[1] [في نفسي]: إن أحضرْ مجلسه!؟ وازداد اشتياقي إليه، ولكن ما كنت أستطيع ذلك لأجل ابن أبي ليلى،[2] حتى اضطر في مسألة،[3] فجعلتها وسيلة إلى حضور مجلسه، وصرت من الحاضرين في مجلسه.

ثم لما علم أبي منعني، وقال: إن أبا حنيفة غنيٌّ ومستغنٍ عن الكسب، وأنت مفلس، فعليك الكسب. فتركت مجلسه، واشتغلت بالمعاش مطيعًا لوالدي، فسألني أبو حنيفة عن سببه، فكشفت له عن حقيقة الأمر، فسكت، ولما ذهب تلاميذه أعطاني صرة فيها مائة درهم، وقال: اصرف [هذا] في حاجة أهل بيتك، فإذا أُنفِقتْ فقلْ لي. فصرت أحضر مجلسه فارغ القلب، وبعد أيام أعطاني صرة أخرى من غير سؤال مني، وهكذا كان يعطيني كأنه واقف بأحوالي.[4]

وفي رواية: قال: لما سكت والدي عن المنع جاءت والدتي إلى مجلسه وأخرجتني بالجبر والإكراه، فقال لها أبو حنيفة: يا صالحة، لا تبالي؛ فإنه يأكل فالوذجا ولوزا لأجل العلم. فذهبتْ غضبى، ولكن لما وُلّيت منصب قاضي القضاة دعاني هارون الرشيد الخليفة، وأحضر على المائدة فالوذةً ولوزًا، فقال هارون: كُل، فإنه لا يأتي كلَّ يوم هكذا. فقلت: ما هذا؟ فقال: لوز وفالوذة. فضحكتُ، فسأل عن ...

---

(١) القائل هو الإمام أبو يوسف.

(٢) لِـما كان في نفسه شيء غير حسن لأبي حنيفة، قال العلامة العيني: محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى قاضي الكوفة، كان يأخذ بقوله [أي بقول الإمام أبي حنيفة] مع عداوته إياه. «مغاني الأخيار» ٣/ ١٣٠.

(٣) روى الموفق عن أبي عبد الله بن مندة عن الحارثي بسنده إلى أبي يوسف: وكان يمنعني الحياء منه [أي من الإتيان لمجلس أبي حنيفة]، فوقع بيني وبينه سبب ثقل عليه، فاغتنمت ذلك واحتبست عنه واختلفت إلى أبي حنيفة. انظر «مناقب الإمام الأعظم» ٢/ ٢١٣، ٢١٤.

فلا أدري هل اشتبهت القصة على الشيخ أم تلقّاها من مصدر آخر؛ لأن الشيخ جعل الاضطرابَ في مسألةٍ سببَ التحول إلى مجلس أبي حنيفة، والرواية إنما تحكي الاختلاف سببا للتحول، ولعل الشيخ أراد بالاضطراب الاختلافَ.

(٤) انظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٦١، ٦٢، «أخبار أبي حنيفة» للصيمري، ص: ٩٩، و«مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ٢/ ٢١١، ٢١٢.

الضحك؟ فقلت له ما قال أبو حنيفة لوالدتي في الدرس وما بشّرها: بأنه يأكل لوزا وفالوذةً لأجل العلم. فتعجب هارون وتحير.[١]

قال أبو يوسف: إن أحب الأشياء عنده مجلس أبي حنيفة وابن أبي ليلى؛ لأني ما رأيت أفقه من أبي حنيفة وأقضى من ابن أبي ليلى.[٢] وقال: كنت مصاحبا لأبي حنيفة تسعًا وعشرين سنة بحيث أصلي صلاة الفجر معه.[٣] وقال: توفي ولدي، فتركت تجهيزه وتدفينه، وما تركت الحضور في مجلس الدرس لأبي حنيفة.[٤]

[شيوخه]

واستفاد عن المشايخ الكثيرين والمشاهير، منهم: أبان بن عياش، وأبو إسحاق الشيباني، وابن جريج عبد الملك، وحجاج بن أرطاة، وحسن بن دينار، والأعمش، وعبد الرحمن بن ثابت، وعطاء بن السائب، وعطاء بن عجلان، وعمرو بن دينار، وعمرو بن نافع، ونافع مولى ابن عمر، وقيس بن الربيع،

(١) انظر «تاريخ بغداد» ١٦/ ٣٥٩، «مناقب الإمام الأعظم» للموفق، ٢/ ٢١٢ - ٢١٣، «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٨٠. قال الإمام الذهبي في «مناقب الإمام، ص: ٦٢»: وحكي أنّ أمّه هي التي أنكرت عليه، وأنّ أباه مات وهو صغير، وأنها أسلمته عند قصار، فالله أعلم. وكذلك في المراجع السابقة.

ومقتضى ذلك أن قصة منع الوالد وقصة منع الوالدة متعارضتان، ولعل الشيخ طيب القاسمي حاول بقوله: «ولكن لما سكت والدي عن المنع ...» توفيقَهما بإثبات التعاقب: بأن الوالد منعه، ثم لما رأى نهمه بالعلم تركه، وتوفي بعد ذلك، فضاقت به وبأمّه الحال، فأرادت المنع مرة أخرى؛ ليتحمل نفقته بنفسه، ولا يكون سبب ضيق وتوتّر لأمه، والله أعلم. وعلى عكس ذلك حكم الشيخ الكوثري بالاختلاق والوضع على رواية منع الأم؛ لما في سندها محمد بن الحسن بن زياد النقاش المقرئ. انظر «حسن التقاضي» ص: ٨.

(٢) انظر «تاريخ بغداد» ١٦/ ٣٥٩، و«أخبار أبي حنيفة» ص: ١٠٠.

(٣) وذكر الشيخ الكوثري عن «المنية» و«النافع الكبير» قول الإمام أبي يوسف: اختلفت إلى أبي حنيفة تسعًا وعشرين سنة، ما فاتتني صلاة الغداة. وروى الصيمري [في كتابه، ص: ٥٥] عن أبي يوسف قال: شهدته أنا عشرين سنة. وكذلك روى عنه [في ص: ١٠٠] أنه قال: صَحِبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة، لا أفارقه في فطر ولا أضحى إلا من مرض. ثم قال الشيخ الكوثري: ولعل هذه الرواية لمدة الملازمة الكلية، والرواية الأولى للاختلاف إليه في الصباح مع التردد إلى شيوخ آخرين باقي اليوم. انظر «حسن التقاضي» ص: ١٧.

(٤) انظر «أخبار أبي حنيفة» ص: ٥٦، و«حسن التقاضي» ص: ٨.

وليث بن سعد، ومالك بن أنس، ومجاهد بن سعيد، ومحمد بن سعيد، ومحمد بن إسحاق، ومسعر بن كدام، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وغيرهم.[١]

[ثناء الأئمة عليه]

قال هلال بن يحيى: إن أبا يوسف حافظ في التفسير والمغازي وأيام العرب، والفقه له أقل من علومه الأُخر.[٢] قال ابن عبد البر: لا أعلم قاضيا يجري حكمه من الشرق إلى الغرب سوى أبي يوسف، وبقي على منصب قاضي القضاة سبع عشرة سنة.[٣]

وقال في «الانتقاء»:[٤] حافظته قوية جدا حتى إنه يسمع خمسين أو ستين حديثا، ثم يؤدي بعد ذلك بتمامها. وفي «المناقب»[٥] للموفَّق: نُقل عن [الحسين بن] أبي مالك قال: جئنا المحدث أبا معاوية لسماع أحاديث الحجاج بن أرطاة، فقال: أليس عندكم أبو يوسف؟ والعجب! أنكم تركتم أبا يوسف وجئتم إليّ، مع أن الحجاج بن أرطاة إذا أملى الأحاديث لا يكتبها أبو يوسف، ولكن إذا خرجنا من مجلسه فأبو يوسف يمليها لنا عن حفظه.

وقال أبو حنيفة لتلاميذه، وهم ستة وثلاثون: إن كُلًّا منكم يصلح لأن يكون قاضيًا، ولكن أبا يوسف وزفر يصلحان لأن يكونا معلِّمَين للقضاة.[٦] وابتلي أبو يوسف مرةً بشدة المرض، فذهب أبو حنيفة لعيادته، ثم رجع، وقام على الباب متفكرا، وقال: لو مات هذا الشاب لرُفع أكبرُ عالم.[٧]

---

(١) انظر «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٧٨، «مغاني الأخيار» ٣/ ٢٥٠، «رفع الإصر» ١/ ٤٦٨، و«حسن التقاضي» ص: ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩.

(٢) انظر «تاريخ بغداد» ١٦/ ٣٦٤، «أخبار أبي حنيفة» ص: ٩٩، و«مناقب الإمام الأعظم» ٢/ ٢٣٠.

(٣) انظر «منازل الأئمة الأربعة» ص: ١٧٧.

(٤) راجع ص: ٣٣٠.

(٥) راجع «مناقب الإمام الأعظم» ص: ٢/ ٢٣٥، وانظر «أخبار أبي حنيفة» ص: ١٠١.

(٦) انظر «تاريخ بغداد» ١٦/ ٣٦٥، و«مناقب الإمام الأعظم» ص: ٢/ ٢٤٦.

(٧) انظر «تاريخ بغداد» ١٦/ ٣٦٤، «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٨٢، و«مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٦٢.

ونقل ابن أبي العوام عن الإمام الطحاوي ويحيى بن معين: ما رأيت في أصحاب الرأي أثبتَ في الحديث وأحفظَ للحديث وأصحَّ في الرواية مِن أبي يوسف.(١) وقال داود بن رشيد: إن لم يكن لأبي حنيفة تلميذ سوى أبي يوسف كفى به فخرًا، إذا رأيته يبحث في موضوع يخرج من بحر علمه أنهار كثيرة.(٢)

وقال يحيى بن معين: إن أبا يوسف صاحب حديث وصاحب سنة.(٣) وقال محمد بن سماعة: إن أبا يوسف يصلي كل يوم مائتي ركعة، مع أنه قاضي القضاة، يشتغل في أمور القضاء.(٤) ونقل الحارثي بإسناده عن الحسين بن الوليد: أن أبا يوسف إذا تكلم تحير السامعون، وسمعت يوما كلامه في مسألة استوعبها من الجهات كلها، فتحيرت وقلت: كم أُعطِيَ قدرةً على الكلام والفهمَ لمعان دقيقة.(٥)

وعلي بن صالح إذا روى عن أبي يوسف يقول: «حدثنا فقيه الفقهاء وقاضي القضاة وسيد العلماء أبو يوسف».(٦) وعند المحدث بشر بن الوليد ذكر بعض تلاميذه اسما لأبي يوسف بغير ألقابه، فقال: ألا تعظمه؟ وإننا ما رأينا مثله.(٧)

[ردّ ما حُكي من تشاجر أبي يوسف ومحمد والشافعي، وعداوة بعضهم لبعض]

وما ذكره ابن خلكان والعلامة الشامي، وما أورده السيوطي في «تاريخ الخلفاء» من بعض الواقعات عن إيوان الخلافة، والعداوة بين أبي يوسف ومحمد والشافعي، وهكذا قصة مناظرة الشافعي مع أبي يوسف في مكة والمدينة وإيوان الخلافة لهارون، وعداوتهما للشافعي، [كل ذلك] ....

(١) انظر «مناقب الإمام أبي حنيفة» ص: ٦٢، و«رفع الإصر» ص: ٤٦٩.

(٢) انظر «مناقب الإمام الأعظم» ص: ٢/ ٢٣٢.

(٣) انظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٦٣، «رفع الإصر» ص: ٤٧٢، و«طبقات الحفاظ» ١/ ١٢٨.

(٤) انظر «أخبار أبي حنيفة» للصيمري، ص: ٩٩، «مناقب الإمام الأعظم» ص: ٢/ ٢٣١، «العبر في خبر من غبر» ١/ ٢١٩.

(٥) انظر «حسن التقاضي» ص: ٣١.

(٦) انظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ١٠٠.

(٧) انظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ١٠٠، و«حسن التقاضي» ص: ٣١.

ليس بصحيح؛[1] لأن اللقاء بين أبي يوسف والشافعي ليس بثابت،[2] كما قال الحافظ ابن كثير،[3] وإن كان بينهما معاصرة، وتلمذ الشافعي على [الإمام] محمد، واعترف بإحساناته.

[تلاميذه]

تلاميذه المشاهير كثيرون، [منهم] الإمام محمد، والإمام أحمد، ويحيى بن معين شيخ البخاري، وأحمد ابن منيع شيخ البخاري، وعلي بن المديني شيخ البخاري، وأسد بن فرات المدون لمذهب الإمام مالك، وإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، ووكيع بن الجراح، ومحمد بن سلمة، وبشر بن غياث، وجعفر بن يحيى البرمكي، وحسن بن زياد اللؤلؤي، وفضيل بن عياض، والإمام الشافعي بواسطة الإمام محمد.[4]

[ملاحظة] وما نقل في بعض مسانيد الإمام الأعظم: أن الشافعي روى عن أبي يوسف، فالمراد به يوسف بن خالد السمتي، لا أبو يوسف.

---

(١) نقل أبو الفلاح ابن العماد الحنبلي عن ابن الفرات: وقد ذكر بعض الشافعية أن محمد بن الحسن وشى بالإمام الشافعي رحمه الله إلى الخليفة بأنه يدّعي أنه يصلح للخلافة، وكذا أبو يوسف رحمه الله. وهذا بهتان وافتراء عليهما، والعجب منهم كيف نسبوا هذا إليهما مع علمهم بأن هذا لا يليق بالعلماء ولا يقبله عقل عاقل!؟ ثم ساق ابن عبد البر قصةَ خلاص الشافعي من القتل في تهمة جريمة ادعاء الخلافة والخروج على الخليفة، بشفاعة الإمام محمد ومنّته عليه، وقال بعد ذلك: فيجب على كل شافعي إلى يوم القيامة أن يعرف هذا لمحمّد بن الحسن ويدعو له بالمغفرة. «شذرات الذهب» ٢/ ٤١١، ٤١٢.

(٢) قال الإمام ابن كثير: حدثنا أحمد بن سريج: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين دينارا، ثم تدبرتها، فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثًا؛ ردًّا عليه. قلت: هذا كله كان في قدوم الشافعي رحمه الله بغداد في القدمة الأولى، وكان ذلك في سنة أربع وثمانين ومائة (١٨٤ هـ) بعد موت القاضي أبي يوسف رحمه الله بسنتين، فلم يدركه ولا رآه. وما ذكره عبد الله بن محمد البلوي في رحلة الشافعي رضي الله عنه، في مناظرة الشافعي رضي الله عنه أبا يوسف بحضرة الرشيد، وتأليب أبي يوسف عليه، فكلام مكذوب باطل، اختلقه هذا البلوي، قبحه الله! وأبو يوسف رحمه الله كان أجل قدرا وأعلى منزلة مما نسب إليه، وإنما أدرك الشافعي رضي الله عنه في هذه القدمة محمد بن الحسن الشيباني، وأنزله في داره، وأجرى عليه نفقة، وأحسن إليه بالكتب وغير ذلك، رحمهم الله. وكانا يتناظران فيما بينهما كما جرت عادة الفقهاء، هذا على مذهب أهل الحجاز، وهذا على مذهب أهل العراق، وكلاهما بحر لا تكدره الدلاء. «طبقات الشافعيين» ١/ ٤.

(٣) راجع «البداية والنهاية» ١٣/ ٦٢٠.

(٤) انظر «حسن التقاضي» ص: ٢١ - ٢٢ - ٢٣.

[ذكر احتضاره ووفاته]

قال إبراهيم بن الجراح: أتيت لعيادته في مرض الموت، فرأيت في مجلسه أن المباحث العلمية جارية في هذا الوقت أيضًا، فغشي على أبي يوسف ثم أفاق، فقال لي: يا إبراهيم، الرمي راكبًا أفضل أم ماشيًا؟ قلت: ماشيًا، فقال: لا، فقلت: راكبًا، فقال: لا. وزيد عليه في «المناقب» للصيمري:[١] قلت: أفي هذه الحالة أنت مشتغل بالمسائل العلمية؟ فقال: لا حرج، بل عسى أن يكون وسيلة لنجاتي. فقال إبراهيم: لما خرجت وذهبت إلى الباب سمعت أنه توفي. ووفاته في سنة ١٨٢ هـ.[٢]

[مصنفاته]

وله تصانيف كثيرة، قال صاحب «كشف الظنون»: إن أماليه ثلاث مائة مجلد.[٣] وقال شرف الدين ابن عبد العليم القربتي في كتابه «قلائد [عقودِ] العقيان في مناقب أبي حنيفة النعمان»: إن من مناقب أبي يوسف أنه ألَّف كتبا مبسوطةً، منها: «الإملاء» و«الأمالي» و«أدب القاضي» و«المناسك» وغيرها.

ولما وصل الشيخ يحيى الغزّي إلى زبيد سنة ٩٠٨ هـ، رأى أماليه ثلاثَ مائة مجلد محفوظةً في مدرسة غزة من بلاد الشام، ولكن الآن ليست بموجودة، لعلها ضاعت في حرب مشهورة عام ١٠٠٠ هـ.[٤]

ومن تصانيفه:

١ - كتاب الآثار	٢ - كتاب الخراج	٣ - كتاب الصلاة
٤ - كتاب الزكاة	٥ - كتاب الصيام	٦ - كتاب الفرائض
٧ - كتاب البيوع	٨ - كتاب الوصايا	٩ - كتاب الحدود
١٠ - كتاب الوكالة	١١ - كتاب الصيد والذبائح	١٢ - كتاب الغصب

---

(١) المراد به كتابه «أخبار أبي حنيفة وأصحابه»، راجع ص: ١٠١، وانظر «مناقب الإمام الأعظم» ٢/ ٢٢٣.

(٢) انظر «أخبار أبي حنيفة» للصيمري، ص: ٩٧، و«الانتقاء» ص: ٣٣١.

(٣) راجع «كشف الظنون» ١/ ١٦٤.

(٤) انظر «حسن التقاضي» ص: ٣٧.

١٣ - كتاب الاستبراء
١٤ - كتاب اختلاف علماء الأمصار
١٥ - كتاب الرد على مالك بن أنس
١٦ - كتاب الجامع، مشتملا على أربعين كتبًا
١٧ - الرد على سير الأوزاعي
١٨ - اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى
١٩ - مجموعة الأمالي المشتملة على ست وثلاثين كتابا ٢٠ - كتاب المخارج والحيل[1]

(١) انظر «حسن التقاضي» ص: ٣٤ - ٣٥- ٣٦.

* * * *

[ترجمة الإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني]

[اسمه وكنيته]

[هو] الإمام المجتهد أبو عبد الله محمد بن الحسن.

[مولده ووطنه]

ولد في سنة ١٣٢ هـ بواسط من جزيرة خراسان، ثم انتقل أبواه إلى الكوفة.[١]

[نبذة من أحوال تعلمه]

وأخذ محمد في تحصيل العلم، وحضر إلى أبي حنيفة وعُمرُه أربع عشرة سنة، وأقام عنده أربع سنين،[٢] ثم حضر إلى أبي يوسف والأوزاعي وتكمل على أيديهما،[٣] وبعد وفاة أبي حنيفة حضر المدينة المنورة واستفاد من مالك ثلاث سنين.[٤] وقال: إني وجدت من وراثة أبي ثلاثين ألف درهم أو دينار، وصرفت نصفه في طلب اللغة والشعر، والنصف في تحصيل الحديث والفقه.[٥]

[شيوخه]

واستفاد عن مشايخ عصره، والمشاهير منهم: أبو حنيفة، وأبو يوسف، وزفر، وسفيان الثوري، ومسعر بن كدام، والإمام مالك، وضحاك بن عثمان، وسفيان بن عيينة، وطلحة بن عمرو، وأبو عمرو ابن عبد الرحمن الأوزاعي، وعبد الله بن المبارك.[٦]

---

(١) انظر «تاريخ بغداد» ٢/ ٥٦١، «أخبار أبي حنيفة» ص: ١٢٥، و«الجواهر المضيئة» ١/ ٥٢٦.

(٢) انظر «بلوغ الأماني» ص: ٤، وصرح ابن خلكان بإقامة سنتين في «وفيات الأعيان» ٤/ ١٨٤.

(٣) انظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٧٩، و«البداية والنهاية» ١٣/ ٦٧١.

(٤) انظر «تاريخ بغداد» ٢/ ١٧٠، و«مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٨٥.

(٥) انظر «أخبار أبي حنيفة» ص: ١٢٩، و«الجواهر المضيئة» ٢/ ٥٢٩.

(٦) انظر «البداية والنهاية» ١٣/ ٦٧١، «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٧٩، «الجواهر المضيئة» ٢/ ٥٢٦، «مغاني الأخيار» ٣/ ٥٤٠، و«بلوغ الأماني» ص: ٦.

[نبذة مما نقل من نهمه بالعلم وشدة تعبده]

وتولى التدريس وعُمرُه عشرون سنة،[1] واشتغل مدة حياته في خلوة البيت بالتصنيف والتأليف، وقال حفيده: إنه كان يكتب في البيت، وتشتغل معه عشر نسوة في نقله، وحولَه ذخيرة كبيرة من الكتب، وقال لأهل بيته: لا تسألوني عن شيء، بل اطلبوا من وكيلي.[2]

وقال: وما رأيته يتكلم مع عياله إلا بإشارة الحاجب أو الأصابع.[3] وعن محمد بن سلمة: أن محمدًا يدرس ثلث الليل ويصلي ثلثه وينام ثلثه، وكان يبيت أكثر الليل يقظان، فقال قائل: لِمَ لا تنام؟ فقال: لأن عيون المسلمين نامت على اعتمادنا، فكيف أنام؟ ونقل الطحاوي عن أستاذه القاضي ابن أبي عمران: أن محمدا يتلو ثلث القرآن كل يوم.[4]

[ثناء العلماء عليه]

وقال المحدث بكر بن محمد: إن ابن سماعة وعيسى بن أبان تعلما حسن الصلاة من محمد.[5] ونقل المحدث الصيمري[6] عن محمد بن سماعة: أن عيسى بن أبان[7] المحدث كان يصلي معنا صلاة الفجر، ولكن لا يجلس بعد الصلاة في مجلس الإمام محمد، وكان يقول: «إنهم يخالفون الحديث»، فصلى معنا صلاة الفجر في يوم الدرس لمحمد، فقلت له وأصررت عليه بأن يحضر في الدرس، فرضِيَ،......

---

(1) انظر «تاريخ بغداد» ٢/ ٥٦٤.

(2) انظر «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» ص: ١٣٠، و«المناقب» للذهبي، ص: ٨٦.

(3) نقله العلامة الكوثري عن أبي خازم في «بلوغ الأماني» ص: ٥.

(4) انظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٩٤.

(5) انظر «أخبار أبي حنيفة» ص: ١٣٠، و«المناقب» للذهبي، ص: ٩٤.

(6) راجع «أخبار أبي حنيفة» ص: ١٣٠.

(7) أحد الأئمة الأعلام، تفقّه على محمد بن الحسن، وصحبه، وولي قضاء البصرة، ووُصِف بالذكاء والسخاء وسعة العلم، وروى بكار بن قتيبة عن هلال بن يحيى: ما قعد في الإسلام قاضٍ أفقه من عيسى بن أبان في وقته، صنَّف كتاب «الحجة» الكبير والصغير وكتاب «خبر الواحد» وكتاب «الجامع» وكتاب «إثبات القياس» وكتاب «اجتهاد الرأي»، وله كتاب «الحج» وكتاب «الخبر في معرفة عجائب البشر» وكتاب «العلل والشهادات» و«العلل في الفقه»، توفي سنة عشرين ومائتين، وقيل: إحدى وعشرين ومائتين. «تاج التراجم» ص: ٢٢٧.

وسمع الدرس، وبعد الفراغ أذهبته إلى الإمام محمد، وقلت له: إنه يقول: إنكم تخالفون الأحاديث. فقال محمد: يا ابن أخي، أي حديث نخالفه؟ فسأله عيسى بن أبان عن خمسة وعشرين بابا، فأجاب عنها، وبيَّن الأحاديث المنسوخة بالدلائل حتى اطمأن قلبه، وقال خارجا من مجلسه: إنه كان بيني وبين النور حجاب، فارتفع الآن، وعلمت أن في العالم مثل هذا الرجل. ثم لازم مجلسه حتى صار فقيهًا عظيمًا، وهو راوٍ لكتابه «الحجج على أهل المدينة».

وله «الحجج الكبير»[1] للرد على الأقوال القديمة للشافعي، فلأجله أقام الإمام الشافعي في العراق قليلا. وألف [عيسى بن أبان] «الحجج الصغير» للرد على عيسى بن هارون الذي هو رفيق الدرس لمأمون الخليفة، وهو مؤلف للكتاب الذي ذكر فيه أن أبا حنيفة يخالف الأحاديث الصحيحة، فطلب مأمون من العلماء جوابه، [فأجاب بعضهم]، ولكن ما رضي بأجوبتهم إلا بجواب عيسى بن أبان.[2] وألف [عيسى بن أبان «كتابَ خبر الواحد»] كتابا في شروط قبول الأخبار، واختار فيه كثيرا من أصول الإمام محمد، وردَّ على الإمام الشافعي والمريسي.[3] وقال أبو يوسف في شأن محمد لحفظه: إنه سيف صيلم،[4] ولكن عليه شيء من الرَّين لا بد من جلائه، ثم قال بعد ذلك: إنه من أعظم الناس.[5]

ونقل الخطيب[6] عن المجاشع أنه قال: إني حضرت مجلس الإمام مالك وهو يفتي الناس، فجاء محمد وكان صغيرا، وسأله: ما تقول في جنبي ليس له ماء إلا في المسجد؟ فقال مالك: لا يجوز دخوله المسجدَ بغير طهور. فقال محمد: وإن حضرت الصلاة؟ قال مالك: نعم. فسكت محمد، ولكن لم يطمئن قلبه، ثم سأله مالك: ما رأيك فيه؟ فقال: يتيمم الجنبي، ويدخل المسجد، ويأخذ الماء، ثم يغتسل، ويدخل المسجد للصلاة. فقال مالك: من أين أنت؟ قال محمد: مِن هذه. فظن مالك أنه من أهل المدينة،

---

(١) انظر «تاج التراجم» ص: ٢٢٦، و«بلوغ الأماني» ص: ٢٧.

(٢) انظر «أخبار أبي حنيفة» ص: ١٤٧ - ١٤٨، و«تاج التراجم» ص: ٢٢٦.

(٣) انظر «تاج التراجم» ص: ٢٢٧، و«بلوغ الأماني» ص: ٨.

(٤) انظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٦٧، ٦٨، و«أخبار أبي حنيفة» ص: ١٠٤.

(٥) انظر «بلوغ الأماني» ص: ٣٥، وفيه: «من أعلم الناس» دون «أعظم».

(٦) انظر «تاريخ بغداد» ٢/ ٥٦٤ - ٥٦٥.

ثم لما ذهب محمد قالوا لمالك: إنه محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة. فتحير مالك وقال: كيف كذب أنه من أهل المدينة؟ قالوا: إنه أشار إلى الأرض، وأراد أنه من أهل الأرض لا من أهل المدينة. فقال مالك: هذا أعجب من الأول. ثم لما حضر [محمد] عند مالك لقراءة «الموطأ»، وأقام عنده، فقال في حقه: أتاني رجال الشرق والغرب، ولكن ليس لهم عمق في العلم مثل ما لهذا الشابّ.

وقال الشافعي: أعانني الله برجلين: سفيان بن عيينة، ومحمد.(١) وقال مرة: ما رأيت أفصح وأبلغ منه، كأن القرآن نزل على لسانه.(٢) و[قال:] ما رأيت أعقل الناس منه.(٣) وذكر عند الإمام المزني قول محمد، فسأل: من محمد؟ قالوا: محمد بن الحسن. فقال: مرحبا، وهو يملأ الأسماع والقلوب من العلم والعقل، ولا أقول وحدي بل قال الشافعي هكذا.(٤)

ونقل الصيمريّ عن أبي عبيد: أن محمدا إمام في العربية والنحو والحساب،(٥) وقال: [هو] أعلم الناس بكتاب الله.(٦) وقال محمد بن سلام: إني صرفت على نقل كتب الإمام محمد عشرة آلاف، وما كنت أعلمها قبل ذلك، وإلا ما صرفت في غيرها. وسئل عيسى بن أبان أن أبا يوسف أفقه أم محمد؟ فقال: انظروا إلى كتابهما. وذكر الذهبي في «المناقب»:(٧) أن الشافعي احتج في الحديث بمحمد، وفي كتابه «الأم» و«المسند» روى عن أبي يوسف بواسطة محمد.(٨)

[ردّ ما ادّعي من اعتزاله وتجهّمه]

وما قيل: إن الإمام محمد يقول بخلق القرآن، أو هو جهمي، كما زعم البخاري أن الإمام أبا حنيفة

---

(١) انظر «الجواهر المضيئة» ١/ ٥٢٧.
(٢) انظر «أخبار أبي حنيفة» ص: ١٢٨، و«مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٨٠.
(٣) انظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٨٧.
(٤) انظر «أخبار أبي حنيفة» ص: ١٢٩.
(٥) انظر: «الجواهر المضيئة» ١/ ٤٣ - ٤٤، و«تاج التراجم» ص: ٢٣٨.
(٦) انظر «مناقب الإمام» للذهبي، ص: ٨٠.
(٧) راجع ص: ٩٣.
(٨) راجع «الأم» (٤/ ٢٥٢)، و(٤/ ٤٦١)، و(٥/ ٢٦٨)، و(٧/ ٤٦٢). و«المسند» (٣/ ١٨) و(٣/ ٢١٧).

والإمام محمدًا جهميان أو مرجئان، فهو كذب صريح وباطل، كما نقل المحدث الصيمري[1] أن محمدًا كان يقول: مذهبي مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف، ومذهبهما مذهب الخلفاء الأربعة.

ونقل الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي في «شرح السنة»:[2] أن الإمام محمدًا قال: لا تصلوا خلف من يقول: إن القرآن مخلوق. وقال أيضًا: نؤمن بالقرآن وبالأحاديث الصحيحة المتعلقة بالصفات من غير تفصيل وتفسير وتشبيه؛ لئلا نخرج من السنة والجماعة، ولئلا نكون مثل جهم خارجًا عن الجماعة.[3]

[تلاميذه]

تلاميذه كبار العلماء،[4] والمشاهير منهم:

١ - الإمام الشافعي.

٢ - وأسد بن الفرات القيرواني.

٣ - وأبو حفص الكبير، الأستاذ في الفقه للإمام البخاري.

٤ - وأبو سليمان موسى بن سليمان الجرجاني، الذي جرت منه سلسلة أصحاب الصحاح من الشرق إلى الغرب.

٥ - وعلي بن معبد، من رواة «الجامع الصغير» و«الكبير»، وأستاذ أصحاب الصحاح الستة.

٦ - ويحيى بن معين، إمام الجرح والتعديل.

٧ - وأبو جعفر، راوي «موطأ الإمام محمد».

٨ - وعلي بن صالح الجرجاني، راوي «الجرجانيات».

٩ - وشعيب بن سليمان الكيساني، راوي «الكيسانيات».

---

(١) راجع «أخبار أبي حنيفة» ص: ١٢٣.

(٢) مراد الشارح بذلك كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، راجع منه: ٢/ ٢٤٢ - ٢٦٥.

(٣) راجع المصدر السابق ٣/ ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٤) انظر «بلوغ الأماني» للكوثري، ص: ٨.

١٠ - وإسماعيل بن توبة القزويني، راوي «السير الكبير».

١١ - وأبو بكر بن إبراهيم المروزي، راوي «النوادر».

١٢ - وسفيان بن سحبان البصري، صاحب «كتاب العلل».

١٣ - وأبو موسى عيسى بن أبان البصري، راوي «الحجج على أهل المدينة»، ومؤلف كتاب «الحجج الصغير» و«الكبير».

[وفاته]

وارتحل من دار الفناء إلى دار القرار سنة ١٨٩ هـ.(١)

[آثاره العلمية]

وترك مصنفات كثيرة،(٢) والمشهور أن مؤلفات الإمام محمد قريب من ألف. وكان يشتغل كل حين في التصنيف، وكان سمينا ولحيما، ومع ذلك كان ذكيًا جدًّا، حتى قيل: إن كل سمين بليد إلا محمدًا.

وضاع أكثر تصانيفه، ولكن بقى بعض منها، [وهي:]

١ - المبسوط: وهو أول مؤلف له، وجمع فيه مسائل أبي يوسف.

٢ - الجامع الصغير: وجمع فيه أقوال أبي حنيفة برواية أبي يوسف، والمسائل فيها خمس مائة وثلاث وثلاثون، وخالف في مائة وسبعين مسألة، والمسائل المذكورة فيها ثلاثة أنواع:

١ - المسائل المختصة بهذا الكتاب، ولا توجد في كتاب آخر.

٢ - المسائل التي صرح فيها بأنها من أبي حنيفة، ولا تصريح في كتاب آخر.

٣ - المسائل التي ذكرت في كتب أخر.

وله أربعون شرحًا، وكان المتقدمون يتدارسونه.

٣ - الجامع الكبير: وفيه أقوال أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر مع الدلائل، وهو أشهر وأصعب من «الجامع الصغير»، ومعانيه دقيقة، وشرحه الفقهاء العظام [عدة شروح]، وذكر منها في «كشف الظنون» ...

---

(١) انظر «البداية والنهاية» ١٣/ ٦٧٣، و«تاج التراجم» ص: ٢٣٨.

(٢) انظر «تاج التراجم» ص: ٢٣٧ - ٢٣٨.

اثنان وأربعون شرحًا، وهو مأخذ لمسائل أصول الفقه، طالعَه العالم النصراني فأسلمَ وقالَ: هذه علوم محمد الصغير، فكيف تكون علوم محمد الكبير [أي رسول الله] ﷺ؟ وإن ادعى مصنف بالنبوة، وأشهد كتابه معجزة له، فلا يستطيع أحد أن يعارضه.

٤ - الزيادات: ذكر فيه المسائل التي بقيت بعد تأليف «الجامع الكبير»، فلذا سمي «زيادات».

٥ - كتاب الحجج على أهل المدينة: صنفه لما رجع من المدينة بعد ما أقام ثلاث سنين عند الإمام، ذكر فيه الأبواب الفقهية، ثم نقل أقوال أهل المدينة، ثم أعقب ذلك بعنوانِ «قال محمد» أقوالَ الإمام أبي حنيفة مع الأحاديث والآثار والقياس، وأثبت أن أقواله راجحة وصحيحة، وأن بعض أعمال أهل المدينة مخالف للأحاديث، والإمام محمد موجد لعلم الخلاف، وهذا الكتاب أول تأليف جمع فيه الأحاديث والآثار من الطرفين، وحوكمَ بينها.

٦ - السير الصغير: صنفه في السير،[1] ولما رآه الإمام الأوزاعي استحسنه، ولكن قال: أين العراقيون من السير!؟ فلما سمعه محمد صنف «السير الكبير».

٧ - السير الكبير: رتبه على ستين جزءًا ضخمًا، وحمله على البغال إلى باب الخليفة، فقدّم هارون الرشيد ابنه للاستقبال، وأمر ابنه أن يأخذ عنه الإجازة والسند، ثم لما علم الأوزاعي مدحَ تحقيقه.

٨ - الموطأ: قرأ محمد على مالك موطأه، ثم روى عنه بطريق خاص، يذكر فيه وجه الأخذ والترك للروايات من الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف.

٩ - الرقيات.

١٠ - الكيسانيات.

١١ - الجرجانيات.

والحاصل أن الإمام محمدا نشر الفقه الحنفي، وخدمه بالتصنيف والتأليف والتدريس.

---

(١) في الأصل: «السيرة»، والصحيح ما أثبت.

* * * *

[ترجمة الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الوراق الطحاوي]

[اسمه، كنيته ونسبه]

[هو] الإمام الفقيه المحدث أبو جعفر الوراق الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة بن مسلمة(١) بن عبد الملك بن سلمة بن سليمان بن جواب(٢) الأزدي ثم الحجري المصري والحنفي.

[مولده ووفاته]

ولد في ٢٣٩ هـ على ما قال ابن عساكر،(٣) وعلى قول ابن خلكان [ولد] في ٢٣٨ هـ،(٤) وذكر السمعاني والحافظ ابن كثير والحافظ بدر الدين: [أنه ولد] في «٢٢٩هـ».(٥) وهو الأصح.(٦) ومات في ٣٢١ هـ، فكان عمره اثنتين وتسعين [٩٢] سنة.(٧)

[نبذة من أحواله]

وهو معاصر لأصحاب الصحاح الستة، وارتحل لطلب العلم ....

(١) «مسلمة» هكذا أثبته السيوطي في «حسن المحاضرة» ١/ ٣٥٠، وغالب مترجميه أثبتوا «سلمة». راجع «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٢٧، «الجواهر المضيئة» ١/ ١٠٢، و«الطبقات السنية» ص: ١٣٦.

(٢) هكذا نقله الكوثري في «الحاوي في سيرة الإمام الطحاوي» ص: ١، عن «الصلة» لمسلمة القرطبي، ونقل عبد القادر محيي الدين الحنفي نسبه عن ابن القاسم، وهو: أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم بن سليمان بن حباب. «الجواهر المضيئة» ١/ ١٠٢، وانظر «لسان الميزان» ١/ ٦٢٠، و«تاج التراجم» ص: ١٠٠.

(٣) انظر «تاريخ ابن عساكر» ٥/ ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٤) انظر «وفيات الأعيان» ١/ ٧١، وذهب إلى ذلك أبو عبد الله الصيمري الحنفي (المتوفى ٤٣٦هـ) في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» ص: ١٦٨، وأبو إسحاق الشيرازي في «طبقات الفقهاء» ١/ ١٤٢.

(٥) انظر «الأنساب» للسمعاني ٤/ ٧٣، و«البداية والنهاية» لابن كثير ١٥/ ٧١، و«البناية شرح الهداية» للعلامة العيني، ٧/ ٤٣٠.

(٦) تبع المؤلف في تصحيح ذلك القول الإمامَ العينيَّ وأحمدَ بن محمد الأدنهوي، انظر «طبقات المفسرين» ١/ ٥٩، وابنَ قطلوبغا «تاج التراجم» ص: ١٠٠، حيث وهّنوا قول من قال بالقول الأول بـ«قيل».

(٧) انظر «الجواهر المضيئة» ١/ ١٠٣.

من مسكنه[١] إلى مصر، وتعلم من خاله المزني تلميذ الشافعي.

[سبب تحوله إلى المذهب الحنفي]

وكان الطحاوي شافعيا، ثم لما جلسَ في مجلس أحمد بن أبي عمران الحنفي القاضي تأثرَ من صحبته وانتقلَ إلى المسلك الحنفي. قال محمد بن أحمد الشروطي:[٢] سألته عن سبب هذا الانتقال؟ فقال: إن خالي المزني كثيرا ما يطالع كتب الأحناف ويستفيد منها، فلذا رغبت إلى مطالعتها، وتأثرت بها، وانتقلت إلى مسلك الأحناف.[٣]

وأيضًا لما نقد القاضي البكارُ بن قتيبة[٤] الحنفيُّ المزنيَّ،[٥] وطالعه الطحاوي، وتأثر، كان هذا سببًا ثانيًا لهذا الانتقال.

[ردّ ما ادُّعي في تحوله إلى المذهب الحنفي من جهة الخصم]

إذا علمت هذا فلا تلتفت إلى الروايات الكاذبة المنقولة في الباب، كما بينه الحافظ ابن حجر العسقلاني في «اللسان»:[٦] «إن المزني شرح مسألة دقيقة عند الطحاوي مرارا، ولكن لم يفهمه الطحاوي، فضاق صدر المزني فوبّخه وزجّره، فملَّ الطحاوي وترك مسلكه وانتقل إلى أحمد قاضي القضاة بمصر واختار مسلك الأحناف»، فهذا كذب محض بوجوه.

الأول: أن الحافظ ابن حجر والحافظ الذهبي قد ذكرا[٧] أن أحمد بن أبي عمران تولى منصب ......

(١) ومسكنه «طحا»، هي قرية من قرى مصر من ضواحي القاهرة بالوجه البحري. «النجوم الزاهرة» ٣/ ٢٣٩.

(٢) في الأصل: «الشروعي»، وذلك خطأ، والصحيح ما أثبتُّ. راجع «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» ١/ ١٣٧، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ١/ ٧١.

(٣) انظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان ١/ ٧١، «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» ١/ ١٣٧، و«الخيرات الحسان» ص: ٦٣.

(٤) في الأصل «عتبة»، والصحيح «قتيبة».

(٥) انظر «الجواهر المضيئة» ١/ ١٦٩.

(٦) انظر «لسان الميزان» ١/ ٦٢٠.

(٧) راجع «لسان الميزان» ١/ ٦٢١، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٣٣٥.

القضاء بمصر بعد وفاة القاضي بكار (المتوفى ٢٧٠هـ)،(١) ووفاة المزني كان قبل ذلك في ٢٦٤هـ،(٢) فكيف يمكن أن يذهب الطحاوي إلى أحمد القاضي بمصر لزجر المزني؟

والثاني: أن الطحاوي كان ذكيا جدا، فكيف لم يفهم مسألة دقيقة؟ مع أن المزني بيَّنها مرة بعد مرة.

والثالث: أن المزني كان تلميذا للإمام الشافعي الشفيق على الطالبين والحريص على إفهامهم، وما كان زاجرًا لهم، حتى إن الربيع المرادي أحد تلاميذه كان بليدا جدا، وبين الإمام الشافعي [له] مسألة أربعين مرة، ولكن لما لم يفهم قال له: عليك أن تأتيني في وقت الفراغ، فلما حضر عنده بيَّن الشافعي بحيث أفهمه، فسرَّ الربيع جدا.(٣) هذا هو خلق الأستاذ، فكيف لا يكون التلميذ هكذا؟ مع أن الأستاذ كان خالا للطحاوي وشفيقا عليه.(٤)

والحقيقة أن الأسلاف كانوا طالبين للحق وهاربين عن الشوائب النفسانية ومصاديقَ «الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها»، فلذا ترى بعض الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة أنهم يسلكون مسلكا أو يأخذون قولا، ثم يكونون مطمئنين بمسلك أو قول آخر، فلا يجدون في أنفسهم حرجا من تسليمه، فهذا التحول من الطحاوي ليس من الأهواء، حاشا لله! بل هم مستغرقون في بحر الخشية والتقوى، وطالبون للآخرة، نافرون عن التعصب والتحزب، فكيف يفتخر العوام كالأنعام بهذا؟ ولا مساغ لنا أن نترك تقليد أئمة الهدى؛(٥) ....

---

(١) انظر «تاريخ مولد العلماء ووفياتهم» ٢/ ٥٨٨.

(٢) انظر «تاريخ مولد العلماء ووفياتهم» ٢/ ٥٧٩.

(٣) انظر «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٢/ ١٣٤.

(٤) يقول العلامة تقي الدين بن عبد القادر التميمي: هذا (أي اختياره المذهب الحنفي لما يرى خاله يديم النظر في كتب أصحاب أبي حنيفة) هو الأليق بشأن هذا الإمام والأحرى به، وأنه لم ينتقل من مذهب إلى مذهب بمجرد الغضب وهوى النفس؛ لأجل كلمة صدرت من أستاذه وخاله في زمن الطلب والتعلم، بل لما استدل به على ترجيح مذهب الإمام الأعظم، وتقدمه في صحة النقل، وإيضاح المعاني بالأدلة القوية، وحسن الاستنباط، من كون خاله المزني مع جلالة قدره ووفور علمه وغزير فهمه كان يديم النظر في كتب أبي حنيفة ويتعلم من طريقته ويمشي على سننه في استخراج الدقائقِ من أماكنها والجواهرِ من معادنها، نفعنا الله ببركة علومهم أجمعين. «الطبقات السنية» ١/ ١٣٧.

(٥) يريد المؤلف ﷀ بهذه الجملة دفع ما يتوهم من أن أمثال الإمام الطحاوي إذا جاز لهم ترك قول إمامهم في مسائل، =

لأن الطحاوي مع أنه مجتهد ومجدد، لكنه مقلد في الأصول للإمام [دون الفروع]، ونحن لا نعلم شيئًا، فكيف يجوز لنا أن نتخذ ديننا هزوًا ولعبًا؟

[ثناء أهل العلم عليه]

وكان الطحاوي بواسطة المزني تلميذا للشافعي، وبواسطتهما للإمام مالك والإمام محمد، ثم بواسطتهم لإمامنا الأعظم أبي حنيفة، فكان من سادات الحنفية. والإمام الطحاوي من المشايخ العظام والجهابذة الكرام، من كبراء مصر واليمن والبصرة والكوفة والشام والحجاز وخراسان وغيرها، وهكذا تلاميذه الكبار كثيرون.(١)

والطحاوي إمام في الحديثِ والفقهِ ومجتهد ومجدد، على ما قال كثير من المشايخ والمحدثين والفقهاء والمشاهير، منهم ابن عساكر،(٢) والشيخ الأندلسي،(٣) والحافظ ابن عبد البر،(٤) والعلامة السمعاني،(٥) والعلامة ابن الجوزي،(٦) والحافظ الذهبي،(٧) ....

= فلنا أن نترك قول الإمام في مسائلَ نرى قولًا آخرَ فيها راجحًا، فقال: نحن ليس لنا علم بالأصول الاجتهادية ولا بالفروع المستخرجة على الوجه المطلوب، فليس لنا إلا التزام بتقليد إمامنا، ولو جعلنا نأخذ بقولٍ نراه راجحًا لأدى ذلك إلى التلاعب بالدين والفوضوية في الأحكام والشريعة، كما يذوقهما اليوم اللامذهبيون - مدعوا التحرر من التقليد -.

(١) انظر «الحاوي» ص: ٣، ٤.

(٢) قال الإمام ابن عساكر: كتب إلي أبو محمد حمزة بن العباس العلوي... وكان ثقة ثبتا فقيها عاقلا لم يخلف مثله، وقال: الطحاوي، وإليه انتهت رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر. «تاريخ دمشق» ٥/ ٣٦٨، ٣٦٩.

(٣) لا أدري من أراد المؤلفُ بالشيخ الأندلسي.

(٤) قال: كان الطحاوي من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم وفقههم مع مشاركته في جميع مذاهب الفقهاء. «لسان الميزان» ١/ ٦٢٠.

(٥) قال: وكان ثقة نبيلا فقيها عاقلا لم يخلف مثله. «الأنساب» ٤/ ٥٣.

(٦) قال: أبو جعفر الطحاوي الفقيه، وكان ثبتًا فهمًا فقيهًا عاقلًا. «تاريخ الملوك والأمم» ١٣/ ٣١٨.

(٧) قال: الطحاوي: الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي. «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٨٠٨.

وقال: الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفقيهها. =

والحافظ ابن كثير،(١) والعلامة اليافعي،(٢) والعلامة السيوطي،(٣) والعلامة العيني،(٤) والمحدث الطبري،(٥) وأبو بكر الخطيب البغدادي،(٦) والحافظ المزي،(٧) وغيرهم.

وإن الطحاوي قد نقده الإمام البيهقي،(٨) والعلامة ابن تيمية،(٩) ....

= «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٢٧.

(١) قال: أبو جعفر الطحاوي الفقيه الحنفي صاحب المصنفات المفيدة والفوائد، وهو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة. «البداية والنهاية» ١٥/ ٧١.

(٢) قال: وفيها توفي أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي الفقيه الحنفي المصري. برع في الفقه والحديث، وصنف التصانيف المفيدة. قال الشيخ أبو إسحاق: انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. «مرآة الجنان» ٢/ ٢١١.

(٣) قال: الطحاوي: الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة ....، وكان ثقة ثبتا فقيها لم يخلف مثله، انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة. «طبقات الحفاظ» ١/ ٣٣٩.

(٤) قال: ثم اخترعت شرحا لكتاب «معاني الآثار المنقولة من كلام سيد الأبرار» تصنيف حجّة الإسلام الجهبذ العلامة الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، أسكنه الله تعالى من الجنان في أحسن المآوي. «مقدمة عمدة القاري» ١/ ٣.

(٥) قال مسلمة بن قاسم القرطبي في «الصلة»: كان ثقة جليل القدر فقيه البدن عالما باختلاف العلماء بصيرا بالتصنيف. انظر «الحاوي» ص: ٨.

(٦) سمى الطحاويَّ فقيها. «تاريخ بغداد» ١٦/ ٣٢٦.

(٧) سماه الحافظ المزي فقيها. انظر «تهذيب الكمال» ٤/ ١٧.

(٨) قال: وحين شرعت في هذا الكتاب، بعث إليّ بعض إخواني من أهل العلم بالحديث بكتاب لأبي جعفر الطحاوي، رحمنا الله وإياه، وشكا فيما كتب إليّ ما رأى فيه من تضعيف أخبار صحيحة عند أهل العلم بالحديث حين خالفها رأيه، وتصحيح أخبار ضعيفة عندهم حين وافقها رأيه، وسألني أن أجيب عما احتجّ به فيما حكم به من التصحيح والتعليل في الأخبار.

فاستخرت الله تعالى في النظر فيه، وإضافة الجواب عنه إلى ما خرجته في هذا الكتاب، ففي كلام الشافعي ﷺ على ما احتج به أو رده من الأخبار جوابٌ عن أكثر ما تكلف هذا الشيخ من تسوية الأخبار على مذهبه، وتضعيف ما لا حيلة له فيه بما لا يضعف به، والاحتجاج بما هو ضعيف عند غيره. «معرفة السنن والآثار» ١/ ٢١٧.

(٩) مثل ما قال: الطحاوي مقصوده أن يجعل ما فعله عثمان موافقا لأصله، وهذا غير ممكن. «مجموع الفتاوى» ٢٤/ ٨٧. وقال: فمن سلك هذه السبيل (أي سبيل قدح الآثار الصحيحة المخالفة لمذهبه) دحضت حججه وظهر عليه نوع من التعصب بغير الحق، كما يفعل ذلك من يجمع الآثار ويتأولها في كثير من المواضع بتأويلات يبين فسادها؛ لتوافق القول =

والحافظ ابن حجر العسقلاني،[١] لكن جرحهم لا يوازن تعديل أولئك المشايخ الكبار.

[مصنفاته]

وتصانيف الطحاوي كثيرة، قال ملّا علي القاري: ١ - أول التأليفات له «شرح معاني الآثار».[٢] وقال العيني: هو راجح على «الجامع» للترمذي و«سنن أبي داود» و«سنن ابن ماجه».[٣] وقال العلامة ابن حزم: بل هو راجح على «الموطأ» للإمام مالك.[٤]

والحاصل أن الخصائص الكبرى لـ«معاني الآثار» ومزاياه العظمى لا تحصى.

٢ - شرح مشكل الآثار
٣ - كتاب أحكام القرآن
٤ - كتاب الشروط الكبير
٥ - الشروط الوسيط
٦ - الشروط الصغير
٧ - كتاب في النحل وأحكامها
٨ - شرح المغني
٩ - نقض كتاب المدلسين
١٠ - اختلاف العلماء
١١ - الرد على عبيد
١٢ - الرد على عيسى بن أبان
١٣ - جزء في الرواية
١٤ - النوادر الفقهية
١٥ - النوادر والحكايات
١٦ - جزء في حكم أرض مكة
١٧ - جزء في قسم الفيء والغنائم
١٨ - كتاب الأشربة
١٩ - كتاب المحاضر والسجلات
٢٠ - كتاب الوصايا
٢١ - كتاب الفرائض

= الذي ينصره، كما يفعله صاحب «شرح الآثار» أبو جعفر، مع أنّه يروي من الآثار أكثر مما يروي البيهقي، لكن البيهقي يُنقي الآثار ويُميِّز بين صحيحها وسقيمها أكثر من الطحاوي. «مجموع الفتاوى» ٢٤/ ١٥٤.

(١) حيث نقل في ترجمته: قال البيهقي في «المعرفة»: «إن علم الحديث لم يكن من صناعته، وإنما أخذ الكلمة بعد الكلمة من أهله، ثم لم يحكمها، وبالله التوفيق». ثم بدأ ينقل ما ينقص من شأن الإمام. راجع «لسان الميزان» ١/ ٦٢٣، ٦٢٤.

(٢) انظر «الجواهر المضيئة» ١/ ١٠٣.

(٣) انظر «الحاوي» ص: ١٠.

(٤) انظر «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ٣/ ١١٥٣.

٢٢ - كتاب التسوية بين «حدثنا» و«أخبرنا»
٢٣ - كتاب صحيح الآثار
٢٤ - مختصر الطحاوي
٢٥ - سنن الشافعي
٢٦ - شرح الجامع الصغير للإمام محمد
٢٧ - شرح الجامع الكبير
٢٨ - أخبار أبي حنيفة وأصحابه
٢٩ - اختلافات الروايات على مذهب الكوفيين
٣٠ - عقيدة الطحاوي.[1]

[شروح العقيدة]

وشروح «عقيدة الطحاوي» كثيرة،[2] منها ما طبع بمصر في مطبعة سلفية، ولكن اسم الشارح غير مكتوب عليه، والأغلب أنه صدر الدين علي بن محمد بن العزّ الأزدي الدمشقي الحنفي المتوفى ٧٤٦ هـ،[3] وهو تلميذ للحافظ عماد الدين ابن كثير. قال صاحب «كشف الظنون»: إن صدر الدين المذكور من أفاضل علماء الأحناف.

---

(١) انظر «الجواهر المضيئة» ١/ ١٠٤، و«الحاوي» ص: ٢١ - ٢٦.
(٢) ذكرها خليفة الحاج في «كشف الظنون» ٢/ ١١٤٣، والأرنؤوط في مقدمة تحقيقه لشرح ابن أبي العز ١/ ٣٦ - ٣٩.
(٣) في الأصل هكذا، وكتب الحاج خليفة صاحب «كشف الظنون» أنه توفي ٧٩٢هـ، «كشف الظنون» ٢/ ١١٤٣. وكذا ذكره الحافظ ابن حجر فيمن مات سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة (٧٩٢ هـ)، «إنباء الغمر» ١/ ٤٠٨، ٤٠٩، وهو الصحيح.

* * * *

[من هم أهل السنة والجماعة؟]

[أهل السنة] هي الجماعة التي قامت على طريقٍ ثبت عن النبي ﷺ وأصحابه، كما روي عن عبد الله بن عمرو[1] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»، رواه الترمذي.[2]

وفي رواية أحمد[3] وأبي داود:[4] «وهي الجماعة». وفي رواية:[5] «من كان على السنة والجماعة». ففيه إشارة إلى أن لقب أهل الحق بـ«أهل السنة والجماعة» مأخوذ من قول النبي ﷺ.

وهذا اللقب مركب من جزئين:

١- منهاج السنة، المراد من «ما أنا». ٢- الذوات القدسية، المراد من «الجماعة».

فمعيار الحق [هو] السنة وأهلها، لا إحداهما فقط؛ لأن الله أنزل كتبا وصحائف، وأرسل معها الأنبياء والرسل، بل عددهم أكثر من [عدد] الكتب والصحائف، فالسنة وأهلها متلازمان، وهذا دين قيم وصراط مستقيم معتدل متوسط بين الإفراط والتفريط، جامع بين الجذب والسلوك والعقل والنقل.

والمراد من الاختلاف اختلاف الأصول لا اختلاف الفروع، وإلا لازداد عدد الفِرَق على ثلاث وسبعين. والمراد من قوله ﷺ: «كلهم في النار»: أنهم يعذَّبون عذابا شديدا لفساد اعتقاداتهم وسوء أعمالهم، بخلاف الفساق من أهل السنة والجماعة؛ فإنهم يعذَّبون لسوء أعمالهم.

ونقل صاحب «المدارك» تحت قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ (الأنعام: ١٥٣) حديثًا، وهو أن رسول الله ﷺ خط خطًّا مستقيمًا،..........

---

(١) في الأصل: «عبد الله بن عمر»، والصحيح ما أثبت.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» في أبواب: الإيمان، ب: ما جاء في افتراق الأمة، ح: (٢٦٤١)، وقال: هذا حديث حسن غريب مفسر. والحديث صحيح بشواهده. انظر «مسند أحمد، ط: الرسالة» ٢٨/ ١٣٥.

(٣) راجع «مسند أحمد»، ح: (١٦٣٩٧).

(٤) راجع «سنن أبي داود» في ك: السنة، ب: شرح السنة، ح: (٤٥٩٧).

(٥) لم أجدها.

فقال: «هذه طريق الرشد والهداية، فاتبعوه». ثم خط ستة خطوط عن جنبيه، فقال: «هذه سبلٌ، على كل سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه، فاجتنبوها».(١)

بيان أهل السنة والجماعة، والفرق الأخرى

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أهل السنة والجماعة: مَن كان فيه عشر خصال:

١ - تفضيل الشيخين (أبي بكر وعمر)

٢ - وتوقير الختنين (عثمان وعلي)

٣ - وتعظيم القبلتين (الكعبة وبيت المقدس)

٤ - والصلاة على الجنازتين (الرجل التقي والفاسق)

٥ - والصلاة خلف الإمامين (الإمام الصالح والفاسق)

٦ - وترك الخروج على الإمامين (السلطان العادل والجائر)

٧ - والمسح على الخفين

٨ - والقول بالتقديرين (الخير والشر)

٩ - والإمساك عن الشهادتين (شهادة الجنة والنار لأحد من المؤمنين إلا الأنبياء والعشرة المبشرة)

١٠ - وأداء الفريضتين (الصلاة والزكاة).(٢)

ولا انحصار فيها، بل هي معظمات الشرائع لأهل السنة والجماعة، وإلا رؤية الله تعالى وأحوال القبر والبرزخ أيضا من شعائرهم، أو يقال: إنها شرائط، وما سواها فمن خصائصهم.

والفرق الضالة المختلفة في الأصول ستةٌ:

١ - الروافض	٢ - الخوارج	٣ - الجبرية
٤ - القدرية	٥ - الجهمية	٦ - المرجئة

---

(١) راجع تفسير النسفي «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» ١/ ٥٤٨، ٥٤٩. والحديث أخرجه الدارمي، ح: (٢٠٨)، النسائي في «السنن الكبرى» ح: (١١١٠٩)، وقال المناوي في «كشف المناهج» ١/ ١٤٢: رجاله ثقات.

(٢) لم أجده.

ثم كل واحدة منها تنشعب على اثنتي عشرة فرقة.

فرق الروافض: علوية، أبدية، شيعية، إسحاقية، زيدية، عباسية، إمامية، تناسخية، نادية، لاغية، واجعة، وابصة.

فرق الخوارج: أزدية، أباحنفية، تغلبية، حارضية، خلقية، كوزية، معتزلة، ميمونية، كنزية، محكمية، أخنسية، شرافية.

فرق الجبرية: مضطرية، أفعالية، معية، معزوية، مجازية، مطمئنية، كسلية، سابقية، حبيبية، خوفية، فكرية، جسلسية.

فرق القدرية: أحمدية، شنوية، كسانية، شيطانية، شريلية، وهمية، رويدية، ناكشية، تبرية، فاسطية، نظامية، منزلية.

فرق الجهمية: مخلوقية، غيرية، واقفية، خيرية، زنادقية، لفظية، رابعية، متراقبية، واردية، فانية، حرقية، معطلية.

فرق المرجئة: تاركية، شانية، رابية، شاكية، بهمية، عملية، منقوحية، شتسنية، أثرية، بدعية، حشوية، مشبهة.

وقال بعض العلماء: إن المعطلة أصل، والجهمية من شعبه، والمشبهة أصل، والمرجئة من شعبه. وعند البعض: الفرق الباطلة اثنتا عشر، ولكل واحدة منها ست شعب.

وبين صاحب «المواقف»:[1] أن الفرق الضالة ثمانية:

١ - المعتزلة	٢ - الجبرية	٣ - المرجئة	٤ - الشيعة
٥ - الخوارج	٦ - المشبهة	٧ - النجارية[2]	٨ - الناجية

ثم لكل واحدة من المعتزلة والخوارج عشرون فرقة، والشيعة ثنتان وعشرون فرقة، وللمرجئة خمس شعب، والمشبهة والناجية متفردان.

---

(١) انظر «كتاب المواقف» لعضد الدين عبد الرحمن الإيجي، ٣/ ٦٥١.

(٢) هكذا في (ج)، وفي (ق): «البخارية»، والصحيح ما أثبت. راجع «كتاب المواقف» ٣/ ٦٥١ - ٧١٠.

الأمور الفارقة بينها

الروافض: يئسوا من روح الله، ويسبون الصحابة، خصوصًا الشيخَين وطلحةَ وزبيرًا إلا عليًّا، ويفضلون فاطمة على عائشة، وينكرون وقوع الطلقات الثلاث بلفظ واحد، وينكرون سنة الإقامة والجماعة للصلاة، ومسح الخفين، والتراويح، ووضع اليد اليمنى على اليسرى في القيام للصلاة، والتعجيل لصلاة المغرب وإفطار الصوم.

الخوارج: يكفرون أهل القبلة بمعصية، ويجوّزون الخروج على السلطان الجائر، ويلعنون عليًّا [كرم الله وجهه]، وينكرون سنة الجماعة والصلاة.

الجبرية يقولون: إن الإنسان مجبور محض كالمدر والحجر، لا اختيار للعبد في الأفعال كلها، فلا يثاب ولا يعاقب، وإن المال محبوب عند الله، وتوفيق الله يكون بعد أفعال العباد. (وينكرون المعراج الجسماني والعهد والميثاق ووجوب صلاة الجنازة).

القدرية يقولون: إن الإنسان فاعل بالاختيار حقيقة، لا دخل فيها لله، ويجوز أن يكون فعل كفرا عند الله، وهو إيمان عند العبد، وتوفيق الله يكون بعد فعل العبد، وينكرون المعراج الجسماني، والعهد والميثاق، ووجوب صلاة الجنازة.

الجهمية يقولون: إن تعلق الإيمان بالجنان فقط لا باللسان بأيّ وجه كان، ويتعلق قبض الأرواح بالله فقط لا بملائكة الموت؛ لأنهم ينكرون ملك الموت، وينكرون عالمَ البرزخ وسؤالَ النكيرين والحوضَ والكوثرَ، ويقولون: إنها تخيلات محضة.

المرجئة يقولون: إن الله خلق آدم على صورته، والعرش مكان لله، والإيمان كافٍ للنجاة، لا نفع لطاعة، ولا ضرر عن معصية، والنساء مثل رياحين الروضة، من شاء أن يتمتع بها فلا حاجة إلى نكاح وغيره.

راجع «كتاب المواقف» ٣/ ٦٥٢ - ٧٢٠، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز ٢/ ٧٩٢ - ٧٩٨.

* * * *



لحكيم الإسلام العلامة المقرئ محمد طيب القاسمي

حفيد المؤسس للجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند الإمام محمد قاسم النانوتوي

رحمهما الله تعالى رحمة واسعة

حققه وخرج أحاديثه

أحمد خورشيد الصديقي

خريج دار العلوم ديوبند

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَقِيهُ عَلَمُ الْأَنَامِ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ أَبُو جَعْفَرٍ الْوَرَّاقُ الطَّحَاوِيُّ الْمِصْرِيُّ: هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ الثَّابِتِ الْكُوفِيِّ وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَيَدِينُونَ بِهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رحمه الله، وَبِهِ قَالَ صَاحِبَاهُ الْإِمَامَانِ الْمَذْكُورَانِ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى: نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ ....

قوله: قال الشيخ الإمام الفقيه علم الأنام ... : هذه العبارة ([من] «الشيخ» إلى «المصري») ليست من الطحاوي؛ لأن مدح النفس مذموم عند علماء الأخلاق، حتى العظماء لا يظهرون أسماءهم في مؤلفاتهم تواضعًا لربهم وهضمًا لأنفسهم؛ فإن من تواضع لله رفعه الله، فهذه مقولة لأحد تلاميذه أو ممن هو بعدهم.

[التوحيد، أوّليته وأولويته]

قوله: نقول في توحيد الله ... : بدأ بالتوحيد؛ لأنه أول ركن من أركان الإسلام وأول أساس من أسس الدين واليقين، وأول ما يجب على المكلف، وأول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام في الأمم كلها قرنا بعد قرن ودهرا بعد دهر، حتى خصه الله ﷻ بشهادة نفسه الكريمة أولا، ثم ثنّى بشهادة ملائكته، ثم ثلّث بشهادة أهل العلم، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨). أعْلَمَ خاتمَ أنبيائه ﷺ بكلمة التوحيد خاصة بقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ﴾ (محمد: ١٩).

ثم ذكر - جل ذكره - أن ما أوحى لجميع أنبيائه ورسله كان هو القول الثابت، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥). فالتوحيد دينُ الأنبياء والمرسلين وطريقُ الأولين والآخرين من أهل الصدق واليقين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وسرُّ تقديم التوحيد على كلٍّ وأوّليّتُه في أصول العقائد ذكرناه في «التتمة».

قوله: بتوفيق الله: متمسكين بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

قوله: إن الله تعالى واحد: لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ (الزمر: ٤)، ولقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦). هذا في الثبوت، وأما في السلب فقال عز اسمه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ (الأنبياء: ٢٢)، وتصوير هذا الفساد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١)، وتصوير عجز الشركاء عن أفعال الألوهية في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ =

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ. قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، ....

= عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الروم: ٤٠). ونفي التعدد هو إثبات للواحد؛ فجميعُ آياتِ ردِّ الشرك دلائلُ على إثبات الوحدانية.

[لا شريك لله سبحانه]

قوله: لا شريك له: لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢)، ولقوله عن يوسف عليه السلام: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ (يوسف: ٣٨)، ثم قال: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩)، ثم قال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٠).

قوله: ولا شيء مثله: لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، أي ليس له مثيل ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا وشأنًا ومقامًا.

[كمال قدرة الله سبحانه، وانتفاء العجز عنه]

قوله: ولا شيء يعجزه: لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (فاطر: ٤٤). ولما كان العجز إما أن ينشأ من الضعف من القيام بما يريده الفاعل، وإما من عدم العلم أو قلته، فنفى اللهُ الأولَ بقوله: «قديرا»، ونفى الثانيَ بقوله: «عليما».

وأيضًا في موضع آخر نفاهما عن نفسه الكريمة بدليل مستقل لكل واحد منهما، فقال في نفي الأول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨)، فإثباتُ القوة والمتانة على الإطلاق نفيُ الضعف على الإطلاق. ونفى الثانيَ بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢). وبعد هذه الإحاطة لا سبيل إليه للجهل من أي جانب، ومتى انتفيا (الجهل والعجز) انتفى الضعف، وبقيت القدرة والقوة على حد لا يتصور فوقه حد، فثبت أن الله تعالى فعّال لما يُريد، لا يعجزه شيء في السماوات والأرض، لا مانعَ لفعْلِه ولا رادَّ لقضائِه.

[نفي الآلهة غير الله]

قوله: ولا إله غيره: لقوله تعالى [حكاية] عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥).

[صفتا القدم والبقاء]

قوله: قديم بلا ابتداء: لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ (الحديد: ٣). أطلقه القرآن، والأوّلية المطلقة التي لا حد لها في الابتداء هي الأزلية، ويطلق عليها اسم «القدم»، لكن جاء الشرع باسم «الأول»، وهو أحسن من «القديم»؛ لأنه يُشعر[1] بأن ما بعده آئل إليه وتابع له، بخلاف «القديم»،[2] وله الأسماء الحسنى.

---

(١) في (ج): «لا يشعر»، والصحيح ما أثبت من (ق)، وإلا لاختلّ المعنى.

(٢) «بخلاف القديم» إذ لا إشعار فيه بذلك المعنى، فكانت كلمةُ «الأول» أدلَّ على المعاني اللائقة بالله ﷻ.

دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ. لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ،

قوله: دائم بلا انتهاء: لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ (الحديد: ٣)، أطلقه القرآن، والآخرية المطلقة التي لا حد لها في الانتهاء هي الأبدية، ويطلق عليها اسم «الدائم»؛ لدوام بقائه، فهو قديم لم يزل، ودائم لا يزال.

قوله: ولا يفنى ولا يبيد: لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ۝ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ۝﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧). ولقوله جل ذكره: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ (القصص: ٨٨). ولأن الوجود عين ذاته، فهو واجب الوجود ممتنع العدم؛ فلا يمكن أن ينفك عنه الوجود ويقرب منه العدم؛ فيجب له البقاء أبدا، ولا يمكن له الفناء آنًا.

[كل ما يحدث في الكون فهو بإرادة الله سبحانه]

قوله: ولا يكون إلا ما يريد: لقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ (هود: ٣٤)، أي يكون ما يريد لا ما يريدون. ولقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا۝﴾ (الأحزاب: ١٧).

[عجز الخلق عن الإحاطة بكنه الله وحقيقته]

قوله: لا تبلغه الأوهام: أي لا تدركه القوة المتخيلة. والمقصود أن المدركات الطبيعية من الوهم والخيال وغيرهما لا تدركه؛ لأنها لا تتجاوز عن الأجسام والمحسوسات المادية، حتى لا تصل إلى الأجسام اللطيفة النورانية من العلويات أيضا؛ لأن النبي ﷺ قال في [وصف] نعماء الجنة: «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».[1] مع أن الجنة من عالم الأجسام من العلويات، فهذه الخطرات والتخيلات لما لم تصل إلى الأجسام النورية من أوائل الغيب، فكيف تصل إلى اللطيف الخبير والنور المطلق المتعال عن الأجسام والأرواح؟ وهو خالقهما وخالق طبائعهما.

فهذا الحديث دليل واضح على عدم بلوغ الأوهام إلى إدراك حقائق الغيب فضلًا عن إدراك ذات الرب - تبارك وتعالى - الذي هو الغيب المطلق. وما أحسن ما قال جنيد رحمه الله فيه:[2] «ما خطر ببالك، فهو هالك، والله أجل من ذلك».

قوله: ولا تدركه الأفهام: لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا۝﴾ (طه: ١١٠). قال في «الصحاح»: توهمت الشيء: ظننته.[3] =

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا [في ك: بدء الخلق، ب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح: (٣٢٤٤)]: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾» (السجدة: ١٧)، ومسلم في ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: صفة الجنة، ح: (٧١٣٢).

(٢) أي في هذا المعنى.

(٣) راجع «الصحاح» (٢/ ٢٩٦).

وَلَا تُشْبِهُهُ الْأَنَامُ. حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، ....

= وفهمت الشيءَ: علمتُه.[1] فإذا نفى الله - سبحانه - إحاطة علم الخلق بالنسبة إلى ذاته الكريمة انتفت إحاطة الفهم أيضا؛ لأن الفهم علم، فما ظنك بالوهم؟

ولأنه لا يمكن في نظر العقل أن يحيط المخلوق بخالقه، سواء كان بالبصر أو بالعلم والفهم؛ لأن الإحاطة الكلية بجميع الأشياء وبجميع ظواهرها وبواطنها وشقوقها وجوانبها وخواصها وعوارضها وآثارها وأفعالها وثمراتها وعواقبها من خصوصيات الألوهية، لا مدخل فيها عقلًا للعباد؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء: ١٢٦)، ولقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ (البروج: ٢٠).

والحاصل أن القوة العاقلة أيضا لا تستطيع أن تدركه فضلا عن القوة الوهمية أو الخيالية.

[تنزيه الله عن مشابهة مخلوقاته]

قوله: ولا يشبهه الأنام: لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). هذا النفي عام في الذوات والصفات وفي الأفعال وفي جميع الشؤون كما مر، فذاته ليست كذواتنا، وصفاته ليست كصفاتنا، وهكذا الأفعال والشؤون وجميع المتشابهات، فهو يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، وهكذا يعرج لا كعروجنا، وينزل لا كنزولنا، ويضحك لا كضحكنا، ويستوي على العرش لا كاستوائنا على عروشنا؛ لأنه ليس كمثلنا، فليس له مثل ولا مثال، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (النحل: ٦٠).

[صفتا الحياة والقيومية]

قوله: حي لا يموت: لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ (الفرقان: ٥٨).

قوله: قيوم لا ينام: لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، لما كانت السِّنة والنوم من أشباه الموت بل من أخواته بنص الحديث،[2] وهو نقصان الحياة، ولا يبقى مع هذا النقصان كمال الحياة الذي هو مدار القيومية، نفى الله عن نفسه السنة والنوم.[3] فهذا النفي بعد قوله: ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ دليل على كمال حياته وكمال قيوميته.

(١) راجع «الصحاح» (٢/ ٥٣).

(٢) لعل الشيخ أراد الحديث الذي أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» عن جابر رضي الله عنه مرفوعا [ح: (٩١٩)، و(٨٨١٦)]: «النوم أخو الموت، ولا ينام أهل الجنة». والبيهقي في «شعب الإيمان» ح: (٤٤١٦)، والبزار في «كشف الأستار» ح: (٣٥١٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٥) ح: (١٨٧٤٠): رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجال «البزار» رجال «الصحيح».

(٣) فإذا انتفيا عنه - جل مجده - انتفى الموت بالطريق الأولى؛ لأنه أبلغ منهما.

خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مَؤُونَةٍ، مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، ....

[الخلق والرزق واحتياج الخلق إلى الله]

قوله: خالق بلا حاجة: لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر: ٦٢). فالخالق هو الله وحده لا غير؛ لأن التخليق من خصوصيات الألوهية، ولا يمكن أن يخلق المخلوق شيئًا؛ لأن الخلق إعطاء الوجود، وهو لا يمكن إلا ممن كان له وجود لذاته، والمخلوق ليس له وجود لذاته، فمن أين يعطيه غيره؟ لقوله تعالى بعد بيان خلق السماوات والأرض وغيرها: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ (لقمان: ١١)، ولقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الروم: ٤٠).

قوله: بلا حاجة: لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٦ - ٥٨)، فنفي الاستطعام نفي الأغراض، أما العبادة التي هي غاية التخليق في القرآن فهي لمصلحة العباد لا لمصلحة المعبود؛[1] لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥). ولما كان الله - جل ذكره - غنيًّا مطلقًا، والخلق محتاجًا إليه وجودًا وعدمًا، فيمتنع أن يحتاج الغني المطلق إلى المحتاج المطلق في حاجته وغرضه، وإلا لزم اجتماع الضدين، وهو محال.

قوله: رازق بلا مؤونة: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨). أشار بقوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ إلى أن الترزيق عليه [ﷻ] يسير، لا مشقة فيه ولا ثقل؛ لأن المشقة والثقل ينشآن عن الضعف، وهو منزه عنه؛ لقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾. ولقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ (الأنعام: ١٤)، أشار بقوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى كمال قوته وقدرته، فلا مجال للضعف إليه بعد هذه القوة، فإذا لم يكن له ضعف فلا تعب ولا مشقة في الترزيق.

[الإماتة والبعث]

قوله: مميت بلا مخافة: لقوله تعالى في قوم صالح لـمَّا أهلكهم وأماتهم: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ (الشمس: ١٤ - ١٥)، ولقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحديد: ٢)؛ فإن كمال القدرة على كل شيء دليلٌ على عدم المخافة من كل شيء إحياءً وإماتةً، ولأن الخوف ينشأ عن العجز، وهو منفي بكمال القدرة المحيطة.

على أنه كان مقام الخوف إذا كان الله لم يملك الموت والحياة، وكان يملكها غيرُه، فيخاف منه في سلب الحياة بأنه يضره أو يخالفه، وإذا لم يكونا في يد غيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٣)، بل هما في يده وقبضته وحده؛ لأنه خالقهما؛ لقوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ (الملك: ٢)، بل هو وحده فاعلُهما أيضا لا غير؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ (ق: ٤٣)، فمن يخاف منه في سلب الحياة؟ وما وجه المخافة له تعالى وتقدس؟ فاحتمال =

(١) هكذا في (ق)، وهو الصحيح، دون ما في (ج): «لمصلحة المعبود والعباد». (س)

بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ. مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ،...

= الخوف عنه باطل بل حق، رده المصنف بقوله: «مميت بلا مخافة»، فآمنّا وأيقنّا أنه يميت بلا مخافةٍ ويحيي بلا طمع.

قوله: باعث بلا مشقة: أما البعث فهو الحياة بعد الممات يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ (الحج: ٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأنعام: ٢٩ - ٣٠).

وأما عدم المشقة في البعث فلقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن: ٧)، أي لا مشقة عليه في البعث والإنباء بالأعمال، ولقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (لقمان: ٢٨)، أي إفناء جميع الكوائن عنده [وكذلك خلقهم وبعثهم] كإفناء [وخلق وبعث] نفس واحدة.

ووجهُ عدم المشقة في البعث عدمُ احتياجه إلى شيء وكمالُ قدرته على كل شيء؛ لكون وجوده ذاتيا كاملا، والصفات على قدر الوجود، فلا بد أن لا يحتاج كل واحد منهما إلى شيء في تأثيرهما وتصرفهما [و] يبقيان على الكمال، فلزم منه أن يكون الإحياء على الله يسيرا بكماله وكمال قدرته، وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحج: ٦)، وإذا انتفى الضعف والعجز بقدرته المحيطة انتفت المشقة؛ لأن الضعف يورثها، والقدرة تأبى عنها. وأيضا إن البعث هو الإعادة، كما في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ (الأنبياء: ١٠٤)، والإعادة أهون من الإيجاد عقلا وطبعا، فمن هو قادر على الإيجاد بلا تعب ولا مشقة؛ - لعدم الاحتياج إلى شيء، والقدرة على كل شيء، - يكون قادرا على الإعادة بالأولى بلا مشقة؛ لأنه أهون من الإيجاد؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾ (الروم: ٢٧).

[اتصاف الرب ﷻ بصفات الكمال أزلا وأبدا]

قوله: ما زال بصفاته قديما: لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الحشر: ٢٢) إلى آخر الركوع. وبيانه أن معنى كلمة «الله» في القرآن: الذات المستجمع لجميع صفاتِ الكمال المسماةِ بالأسماء الحسنى، فلما حملها على اسم الجلالة، وأثبتها لذاته الكريمة،[1] ثبت من ذلك أن معنى كلمة «الله» في اصطلاح القرآن هو مجموع الذات والصفات، لا الذات الخالية عن الصفات، ولا الصفات المنفكة عن الذات، فلاحَ منه أن الصفات ذاتيةٌ له لا حادثةٌ فيه، تعالى وتقدس، فلا يمكن أن تنفك عن الذات في أيّ حين وشأن. فإذا كانت ذاته تعالى قديمة، وهو مجمع عليه عند جميع الأمم والأقوام، فصفاته تعالى أيضا تكون قديمة قائمة بذاته؛ لأنها ذاتية له غير منفكة عنه، فثبت أنه [تعالى] قديمٌ بذاته قديمٌ بصفاته، كما هو أبديٌّ بذاته أبديٌّ بصفاته، بدلالة هذه الآية الكريمة.

---

(١) أي فلما حمل الله تعالى هذه الصفات على اسمه الكريم، وأثبتها له في الآية المذكورة...

لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِئِ، بَلْ لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِيَّةِ وَلَا مَخْلُوقَ، وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَاهُمْ ...

قوله: قبل خلقه: أي الله ﷻ كان موصوفا بهذه الصفات الكمالية قبل خلق الخلق، لم يزدد فيه شيء من هذه الصفات بعد الخلق أو بسبب الخلق، وأيضًا لا ينقص شيء من هذه الصفات بعد فناء الخلق أو بسبب فنائه، فهو قديم بالذات قديم بالصفات ودائم بالذات ودائم بالصفات قبل الخلق وبعد الخلق؛ لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ (الزمر: ٦٢، ٦٣).

وتقريره أنه لما كان خالق كلّ شيء هو الله وحده، كما هو دعوى القرآن، والخالق يتقدم على المخلوق طبعًا، وإلا لم يوجد شيء من الأشياء إذا لم يكن خالقها قبلها، وإن وجدت بلا خالق لزم أنها ليست بحادثةٍ بل مستغنية عن الموجد، وهو محال وخلاف المفروض، فثبت أنه لا بد من تقدم الخالق على المخلوق.

وإذا تقدم [الخالق] تقدم بجميع كمالاته وصفاته؛ لأنها ذاتية له، لا يمكن أن تنفك عنه، فثبت أنه تعالى كما هو مقدمٌ على المخلوق بذاته مقدمٌ عليه بصفاته الذاتية أيضًا، وإلا لزم انفكاكُ الذات عن الصفات والخلوُّ عنها، وهو محال، أو يلزم حدوث الصفات فيه حينًا بعد حين، وهو أشد محالًا، فهو خالق قبل الخلق وخالق بعد الخلق، إلا أنه خالق قبل الخلق بمعنى أنه يقدر على خلقها[1] بقوته وعلمه ومشيئته وإرادته، وخالق حين الخلق بمعنى أنه فعل ما أراد، وخالق بعد الخلق؛ لأن الخلق صفته الذاتية، فلا يمكن أن تنفك عنه.

وهكذا جميع صفاته الكمالية تتعلق بجميع الأشياء الممكنة، سواء كانت معدومة أو موجودة في الخارج، إلا أنها تتعلق بالمعدومات بمعنى القدرة على إيجادها وإنشائها وإحيائها وإماتتها، وبالموجودات تتعلق بمعنى الصنع والجعل، فهو خالق بارئ ربّ حفيظ عليم محيٍ مميت قبل خلق الأشياء بمعنى أنه يعلمها، ويقدر على إنشائها وحفظها وتربيتها وإحيائها وإماتتها، وبعد الخلق أيضًا بمعنى أنه يفعل ما يشاء، ويحفظ كيف يشاء، ويربي حيث يشاء، ويحيي من يشاء، ويميت حين يشاء. كما أن الكاتب في حال الكتابة كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتبا في حال عدم مباشرة الكتابة؛ لأنه كاتب بالقوة، بمعنى أن صفة الكتابة قائمة بنفسه، يعمل بها حيث يشاء، وهو قادر عليه.

قوله: ليس منذ خلق الخلق ... : لأن القرآن نسب هذه الصفات إلى ذاته ﷻ بصيغة الماضي المطلق، وأيضا حملها على اسم الجلالة الذي هو علَم الذات المستجمع لجميع صفات الكمال، حيث قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ =

---

(١) ضمير التأنيث بتقدير «الخلائق» المفهوم من «الخلق».

اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، ....

= شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء: ١٢٦)، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ (النساء: ١٣٣)، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (الكهف: ٤٥)، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ١٣٤)، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ (النساء: ١٣١)؛ لتكون إشارة إلى أن هذه الصفات من الماضي إلى الحال ذاتيةٌ له، محمولةٌ على عَلَم ذاته، قديمةٌ، ومع قدم ذاته موجودةٌ فيه بأسمائها المعلومة قبل خلق الخلق، لا يتوقف وجودها وتسميتها على إيجادِ الخلق وإبرازِه بالأفعال.

فلو كانت هذه الأسماء مستفادة من الخلق حين تعلقت بهذه الصفات أفعاله، لما أطلق القرآن أسماء هذه الصفات على ذاته تعالى قبل تخليقه العالم بصيغة الماضي، ولم تحمل هذه الأسامي على اسم الجلالة الذي هو علَم الذاتِ الواجبِ الوجود أزلًا وأبدًا، والمستجمعِ لجميع صفات الكمال أزلًا وأبدًا، فعلم منه أن أسماء هذه الصفات أيضًا قديمة دائمة، لا يتوقف حملها على اسم الجلالة على إظهار الصفات بالأفعال.

وأيضًا في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (الحشر: ٢٤) حملت هذه الصفات مع الصفات الأخرى، التي في هذا الركوع إلى آخر السورة، على اسم الجلالة، غير مقيدة بزمان، ماضيا كان أو حالا أو مستقبلا، فمعناه أنه خالق بارئ مصور قبل خلق الخلق في الأزل أيضًا، وبعد خلق الخلق في الأبد أيضًا، وإلا لم تحمل هذه الصفات على الذات على الإطلاق بلا قيد زمان ومكان، فثبت أنه تعالى موصوف بهذه الصفات أزلًا وأبدًا.

كما أن الكاتب يطلق عليه اسم الكاتب حين الكتابة، كذلك يطلق عليه هذا الاسم قبل الكتابة أيضًا، فلا يستفاد له اسم الكاتب بفعل الكتابة، بل هو كاتب بقوة الكتابة والقدرة عليها في كل حينٍ، سواء كتب أو لم يكتب. ومزيد التفصيل في «التتمة».

[خلق الله الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارا]

قوله: خلق الخلق بعلمه: لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك: ١٤). وفي نظر العقل والاستدلال: أن كل ما أوتي الخلقُ من العلم والكمال فهو من خالقه؛ لأنه أوجدها وأودع فيها هُداه؛ لقوله تعالى [حكاية عن سيدنا موسى]: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠)، ومن الممتنع أن يكون مُبدِع الكمال عاريًا عنه، بل هو أحق به وأقدم، فلا بد أن يعلم الخالق جميع ما في مخلوقه قبل خلقه، وإلا فأيّ شيء أودع فيه إن كان جاهلا عنه؟ معاذ الله!

قوله: وقدر لهم أقدارا: لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢)، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، ولقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١).

وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا. لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِهِمْ قَبْلَ أَنْ خَلَقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ. وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ. لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ ....

[آجال الخلائق مقدرة]

قوله: وضرب لهم آجالا: لقوله تعالى: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ (الروم: ٨). وأجل الشيء هو مدة عمره المقررة والمقدرة، وثبت بقوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أجلٌ لجميع ما بين السماوات والأرض بالعموم، وانقضاء الأجل هو الموت، فجميع الكوائن من السماء إلى الأرض وما بينهما تفنى وتبيد بتمام أجله المسمى، والقرآن ذكر آجال عدة أشياء من أجزاء العالم بخصوصها أيضًا من الجن والبشر والملك والفلك وغيرها من المحسوسات والمعنويات، لا يسعها هذا المقام، ذكرناها في «التتمة».

[شمول علم الله ﷻ]

قوله: لم يخف عليه شيء ... : ما مر في قوله ﷺ: «خلق الخلق بعلمه»؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك: ١٤).

قوله: وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم: يستفاد من الآية[1] شيئان، **الأول**: أن خالق أفعال الخلق هو الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)، **والثاني**: أن خالق الأشياء يعلمها؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك: ١٤).

فثبت عن مجموع الآيتين أنه تعالى كان خبيرا بأعمال العباد قبل أن يخلقهم، ولأنه هو المودع في مخلوقه ما ظهر منه، فكيف يمكن أن يودع مودعٌ في شيء وديعةً وهو لا يعلم ما أودع فيه؟ وإلا فأيّ شيء أودع فيه إذا كان لا يعلمه؟

[وجوب الامتثال لأمر الله والانتهاء عن منهيه]

قوله: وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ (النحل: ٩٠)، والقرآن مملوء بأوامره ونواهيه، وأوامر الرسل أوامره، ونواهيهم نواهيه.

أشار المصنف بقوله: «وأمرهم بطاعته» إلى أن الإنسان مكلف بالشرائع بعقله وفهمه واختياره، ليس هو جمادا لا يعقل، لا شريعة له ولا منهاج له؛ لأنه ما خُلِق عبثا، ولا يُترَك سُدى، بل خُلِق لطاعة خالقه وعبادة ربه، ولا بد للعبادة من طرقها المرضية عند الله، ولا تتم الطرق إلا بالأمر والنهي، فأمر بطاعته ونهى عن معصيته.

[كل شيء كائن بمشيئته]

قوله: وكل شيء يجري بقدرته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد: لقوله تعالى في الريح مثلا: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى =

(١) أي الآية المذكورة أعلاه، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك: ١٤).

إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي مَنْ يَشَاءُ فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، ....

= بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (ص: ٣٦)، ولقوله تعالى في الشمس: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (يس: ٣٨)، ولقوله تعالى في الفلك: ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ (الحج: ٦٥). وأمثلتها كثيرة في القرآن، وتفصيل حقيقته وسره في «التتمة».

قوله: إلا ما شاء لهم: لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الإنسان: ٣٠). وما أحسن ما قيل فيه:

فما شئتَ كان وإن لم أشأْ وما شئتُ إن لم تشأْ لم يكن

والفرق بين المشيئةِ بشيء والرضاءِ به في «التتمة».[١]

[مسألة الهداية والضلالة]

قوله: يهدي من يشاء: لقوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٣٩)، ولقوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ (الأعراف: ١٥٥)، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥). فهذه النصوص دالة على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكيف يكون في ملكه ما لا يشاء؟ فالهداية والضلالة واللطف والخذلان والعصمة والابتلاء كلها من مشيئة الله. والاحتجاجُ لجواز الكفرِ والفسقِ بكونهما من مشيئة الله، والزعمُ[٢] بأنه من رضاه، فباطلٌ ومغالطةٌ، بيناها في «التتمة» بالتفصيل.

قوله: ويعصم ويعافي فضلا: الفضل: إعطاء ما لا يستحق العبد بنفسه، وإيثار النعمة عليه بما لا يستوجبه بأصل شأنه. فالفضل [المراد في المتن هو]: العطاء والإحسان بحسنى وزيادة، والصيانة عما لا يصان العبد منه من المضرات.

---

(١) قال الإمام ابن الهمام في «المسايرة شرح المسامرة» ص ٥٥: فالرضا ترك الاعتراض على الشيء لإرادة وقوعه، والمحبة إرادة خاصة وهي ما لا يتبعها تَبِعة ولا مؤاخذة، والإرادة أعم، فهي منفكة عنها فيما إذا تعلقت بما يتبعه تَبِعة ومؤاخذة. ومثّل لذلك قائلا: ألا ترى أن المريض يريد تعاطي الدواء، وهو يكره تعاطيه؛ لبشاعة طعمه أو مرارته. وراجع «شرح ابن أبي العز للطحاوية» ١/ ٣٨٩ - ٣٩٢.

(٢) غايةُ حجة من زعم ذلك عدمُ التفريق بين الرضا والإرادة، وذلك باطل، كما مر تقريره عن ابن الهمام في الهامش على شرح «فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن».

وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي مَنْ يَشَاءُ عَدْلًا، وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ. وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ.

آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ، ....

قوله: ويبتلي عدلا: والعدل: البذلُ المساوي من غير ظلم، وعدمُ المنع لشيء من إظهارِ خواصه وآثاره الكائنة في طبعه، وترتُّبِ الثمرات عليها من غير زيادة ونقصان. فالعدل [المراد في المتن هو]: الجزاء بالمثل بغير التعدي، والمنع مما عند الله من الخير؛ لفقدانِ استعداد العبد، أو سلبه عن العبد إذا أفنى استعداده. فالنعمة فضل، والمصيبة عدل.

وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠)، فإصابةُ المصيبات باكتساب العبد إشارةٌ إلى العدل، والعفوُ عما ارتكبه مما يليق به إشارةٌ إلى الفضل. ولقوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ (النساء: ٧٩)، فإصابةُ السيئة والأجرُ المترتب عليها عدلٌ من الله بسبب الكسب من العبد.

قوله: وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله: وتفصيلُ ما في الفضل والعدل وكيفيةُ ظهورهما من الله - جل ذكره - في «التتمة».

[تعالى الله ﷻ عن الضد والند]

قوله: وهو متعال عن الأضداد والأنداد: الضد: [هو] المقابل المعارض، سواء كان مثيلا أو لا. فلا يمكن لأحد أن يعارضه في شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد؛ لقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص).

الند: [هو] المثل المقابل. لا يمكن أن يقابله شيء؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢)، ولقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ (الإخلاص: ٤).

[لا رادّ لقضاء الله، ولا معقب لحكمه]

قوله: لا راد لقضائه: لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٧)، ولقوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٍ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (فاطر: ٢)، ولقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ (الزمر: ٣٨)، ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ (الرعد: ١١).

قوله: ولا معقب لحكمه: لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ (الرعد: ٤١).

قوله: ولا غالب لأمره: لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

قوله: آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلا من عنده: الإيمان: المعرفة الحقة اليقينية بإذعان جازم وتسليم صادق، والإيقان: =

وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى ....

= الاستقرار في القلب، من «قرَّ الماء في الحوض». يعني: نعتقد بها كلها اعتقادا جازما، ونعترف بصميم قلوبنا أن لا ضدّ له ولا ند له.

[رسالة سيدنا محمد ﷺ ونبوته واصطفاؤه واجتباؤه]

قوله: وأن محمدا عبده المصطفى ... : ذكره الله تعالى في كتابه المبين باسميه الكريمين العلَمين له «محمّد» و«أحمدَ»، فقال في الأول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ (محمد: ٢)، وقال في الثاني: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦). وهو ﷺ أوّلُ نقطة الفيض الإلهي في العالم عِلمًا وخُلُقًا وجمالًا ورتبةً وشرفًا وكمالًا، وفردٌ ليس كمثله فرد. بدأ به الكمالات في الخلق؛ لقوله ﷺ: «أوّلُ ما خلق الله نوري»،[1] وختمها به؛ لقوله ﷺ: «وخُتِمَ بي النبيون».[2] فهو أولهم خلقا وآخرهم بعثا. فصلوات الله وسلامه عليه كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون.

قوله: عبده المصطفى: قدّم من كمالاته العبديةَ؛ لأنها أفضل المقامات وأساس جميع الكمالات، فكلما ازداد العبد تحققًا في العبدية ازدادَ كماله وعلتْ درجته، وكان ﷺ على الذروة العليا من هذا الكمال، ولذا ذكره الله - سبحانه - في أشرف المقامات باسم العبد بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ (الإسراء: ١)، وبقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن: ١٩)، وبقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ (النجم: ١٠)، وبقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (البقرة: ٢٣)، وبقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ (الفرقان: ١). =

---

(١) قال العلامة اللكنوي في «الآثار المرفوعة» (ص ٤٣): وقد اشتهر بين القُصّاص حديث «أولُ ما خلق الله نوري»، وهو حديث لم يثبت بهذا المبنى، وإن ورد غيره موافقًا له في المعنى. ومما يشهد له معنًى حديثُ أبي هريرة ﷺ الطويل الوارد في المعراج عند البزار، ح: (٩٥١٨): «وجعلتك أول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٤٢)، ح: (٢٣٥): رجاله موثقون، تابعيُّه مجهول. وكذلك يوافقه معنًى ما أخرجه أحمد، ح: (١٦٦٢٣) و(٢٣٢١٢)، عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال: قلت: يا رسول الله، متى جُعلتَ نبيًّا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»، قال الهيثمي (٨/ ٤١٠): رجاله رجال الصحيح. وكذلك ما أخرجه الترمذي [في أبواب: المناقب، ب: ما جاء في فضل النبي ﷺ، ح: (٣٦٠٩)] عن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله، متى وجبتْ لك النبوّةُ؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد». وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) وهو جزء من حديث أخرجه مسلم [في ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: المساجد ومواضع الصلاة، ح: (١١٦٧)] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا: «فضلت على الأنبياء بستّ، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافّةً، وختم بي النبيون».

وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى. خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، ....

= وبذلك[١] استحق نبينا التقديمَ على جميع البشر في جميع المقامات، واستحق الأفضلية المطلقة على سائر الخلق، والسيادة العامة على ولد آدم في الدنيا والآخرة، وصار سيدًا للأنبياء والمرسلين.

قوله: ونبيه المجتبى: لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، ولقوله تعالى خطابا للنبي ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥).[٢]

قوله: ورسوله المرتضى: لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ (الفتح: ٢٩)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، ولقوله تعالى خطابًا له: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (المائدة: ٦٧).

والاصطفاء والاجتباء والارتضاء متقاربة معنًى، والمقصود هنا بيان انتخابه ﷺ من الله للنبوة والرسالة؛ لأن النبوة والرسالة موهبةٌ من الله، لا اكتسابيةٌ من العبد؛ لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ (الأنعام: ١٢٤)، ولقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص: ٦٨).

[إثبات ختم نبوته وإمامته وسيادته ﷺ]

قوله: خاتم الأنبياء: لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (الأحزاب: ٤٠). وبلغت روايات الحديث في ختم النبوة حدّ التواتر؛[٣] فختم النبوة من ضروريات الدين وأساس تكميله المنصوص عليه في القرآن بقوله عزّ اسمه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣)، يكفر من ينكرها[٤] أو يؤوّلها؛ فإن التأويل في ضروريات الدين لا يعتبر.[٥]

واعلم أن جميع كمالات البشر مندرجة في النبوة، وجميع كمالات النبوة في ختم النبوة، فمن يكون خاتمًا يكون جامعًا لجميع كمالات الأولين والآخرين،[٦] بل منشأ لها لجميع البشر، وهو محمد ﷺ، بنص القرآن. =

(١) أي بكونه ﷺ على الذروة العليا من كمال العبدية استحق السيادة العظمى والأفضلية المطلقة؛ لأن العبدية أساس جميع الكمالات، كما تقدم.

(٢) وجه الاستشهاد بهاتين الآيتين ظاهر؛ فإن النبي ﷺ سمي نبيا أميا، وكذلك خوطب متصفا بصفة النبوة.

(٣) انظر رسالة «ختم النبوة» للفقيه المفتي الشيخ شفيع العثماني، ص: ٢٠٢ – ٢٠٣.

(٤) أي إن من أنكر آية ختم النبوة المذكورة أو الأحاديث الواردة فيه أو يسعى للتأويل فيها، كان كافرًا خارجًا عن دين الإسلام.

(٥) انظر لذلك كتاب العلامة محمد أنور شاه الكشميري «إكفار الملحدين في ضروريات الدين».

(٦) انظر لذلك رسالة الإمام محمد قاسم النانوتوي «تحذير الناس»؛ فإنها أجمع ما كتبت في معاني ختم نبوة سيدنا محمد ﷺ.

....

= وادعى بالخاتمية وحده في جماعة الأنبياء والمرسلين بقوله في الحديث الطويل: «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»،(١) وبقوله: «ختم بي النبيون».(٢) وهو ﷺ بخاتميته كان في جميع الكمالات المقصودة على منتهى حدودها علمًا وعملًا وخلقًا ومقامًا ومرتبةً، أما علمه فهو جامع لجميع علوم الأولين والآخرين؛ لقوله ﷺ: «أوتيت علم الأولين والآخرين».(٣) =

(١) أخرجه البخاري [في ك: المناقب، ب: خاتم النبيين، ح: (٣٥٣٥)] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». ومسلم في ك: الفضائل، ب: ذكر كونه خاتم النبيين، ح: (٥٩٦١).

(٢) هو جزء من حديث أخرجه مسلم [في ك: المساجد، ب: المساجد ومواضع الصلاة، ح: (١١٦٧)] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «فضلتُ على الأنبياء بِستّ، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافّةً، وختم بي النبيون».

(٣) لم أجد الحديث بهذا اللفظ في دواوين السنة، إنما وجدت معناه في عدة أحاديث، منها حديث ابن مسعود ﷺ قال: أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير خمس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤). أخرجه أحمد، ح: (٣٦٥٩ - ٤١٦٧ - ٤٢٥٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٤٧١)، ح: (١٣٩٦٩): رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح.

ومنها حديث ابن عمر ﷺ مرفوعا: «أوتيتُ مفاتيح كل شيء إلا الخمس ...»، أخرجه أحمد ح: (٥٥٧٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٤٧١)، ح: (١٣٩٦٨): رجال أحمد رجال الصحيح. ومنها حديث أبي الدرداء ﷺ قال: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلا ذكّرنا منه علمًا. أخرجه الطبراني، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٤٧٢)، ح (١٣٩٧٣): رجاله رجال الصحيح. وليس معنى هذه الأحاديث أن علمه ﷺ ساوى علم الله تبارك وتعالى، بل المراد منها أنه ﷺ أعلى مرتبةً في الخلق في العلم والمعرفة.

قال العلامة اللكنوي في «الآثار المرفوعة» (١/ ٣٨): والثابت من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هو: من أن الإحاطة والشمول وعلْم كلِّ غيب مختصٌّ بجناب الحق، ولم توهب هذه الصفة من جناب الحق لأحد من الخلق، نعم: علوم نبينا أزيد وأكثر من علوم سائر الأنبياء والرسل، وتعليم ربه الأمورَ الغيبيةَ له بالنسبة إلى تعليمه غيره أكمل، فهو أكمل علمًا وعملًا، وسيد المخلوقات رتبةً وفضلًا.

....

= ولكونه مصدِّقًا لما معهم من شرائع الأنبياء والمرسلين؛ لقوله تعالى خطابًا للأنبياء: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ (آل عمران: ٨١). والتصديقُ لما معهم لا يمكن إلا بالعلم بما معهم.

وأما عمله وأسوته فجامع لجميع حسنات السابقين واللاحقين، ولذا جعلها الله نجاة لكل من كان يرجو الله واليوم الآخر بعد بعثته لجميع الأقوام والأمم؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

وأما خلقه فجامع لجميع مراتب الأخلاق، وهو الـخُلُق العظيم؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). وأما مقامه ورتبته فقد أخذ الله من جميع الأنبياء ميثاقَهم بالإيمانِ به ونصرتِه؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ (آل عمران: ٨١). والمكلَّف بالإيمان يكون من أمة من يكلِّف له بالإيمان، فصار الأنبياء أمةً له ﷺ، وصار هذا النبي المختار نبيًّا لهم؛[1] لقوله ﷺ: «أنا نبيّ الأنبياء»، كما رواه السيوطي في «الخصائص»،[2] فصار سيدًا للأنبياء والمرسلين بمقام الخاتمية.

---

(١) قال الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه «التعظيم والمنة في لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ»: في هذه الآية من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى، وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلًا إليهم، فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته، ويكون قوله: «بعثت إلى الناس كافة» لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضا، ويتبين بذلك معنى قوله ﷺ: «كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الروح والجسد». انظر «الخصائص الكبرى» للسيوطي: (١/ ٧).

(٢) لم أجد في «الخصائص الكبرى» هذه الرواية، وإنما هو مقولة الإمام السيوطي ﵀، حيث قال تلك الكلمة استنتاجًا لما قد بيّنه وفصّله من أن رسالته ﷺ عامة لجميع الخلق، وهذا نص عبارته: «فالنبي ﷺ هو نبي الأنبياء، ولهذا ظهر ذلك في الآخرة: جميع الأنبياء تحت لوائه، وفي الدنيا كذلك: ليلة الاسراء صلى بهم». ولكن نجد بعض الأحاديث يؤيد هذا المعنى، مثل ما رواه الترمذي [في أبواب: المناقب، ب: سلوا الله لي الوسيلة، ح: (٣٦١٣)] عن أبي بن كعب ﵁ مرفوعًا: «إذا كان يوم القيامة كنتُ إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، غيرُ فخرٍ»، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

فالظاهر أن الذي هو إمام الأنبياء، لا بدّ أن يكون نبيًّا لهم، بحيث يجب عليهم الإيمان برسالته والإقرار به؛ لأنه لا يمكن أن يكون غير النبي إمامًا للأنبياء؛ إذ أن عقيدة أهل السنة أن نبيًّا واحدًا أفضل من جميع الأولياء، كما سيأتي بيانه في شرح قوله: «ونقول: نبيّ واحد أفضل من جميع الأولياء».

وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قوله: وإمام الأتقياء: لأنه إمام الأنبياء، أَمَّ جميعَهم في ليلة أُسري به،(١) ومن كان إماما للأنبياء يكون إماما للأتقياء بالأولى؛ لأنه ليس أحد أتقى من النبي، والتقوى من آثار النبوة، لا بالعكس. ولقوله ﷺ: «والله، إني لأخشاكم لله وأتقاكم له».(٢) وأتقى الأتقياء على الإطلاق يكون إمام الأتقياء على الإطلاق.

قوله: وسيد المرسلين: لقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ يومئذ، آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي»، رواه الترمذي.(٣) فسيادته ﷺ على جميع أولاد آدم - ومنهم الأنبياء؛ فإنهم من ولد آدم - تثبت من قوله: «سيد ولد آدم»، وعلى آدم بقوله: «آدم فمن سواه إلا تحت لوائي». والتقييد بيوم القيامة باعتبار ظهور آثار سيادته في ذلك اليوم كل الظهور عيانا على مجموع الأولين والآخرين في وقت واحد، لا أن سيادته مقيدة بيوم دون يوم.

قوله: وحبيب رب العالمين: لقوله ﷺ في تذاكر الصحابة في الأنبياء: «سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله، وهو كذلك، وموسى نجي الله، وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته، وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله، وهو كذلك، ألا، وأنا حبيب الله، ولا فخر ...»، رواه الترمذي.(٤) وأيضًا أنواع المحبوبين وأسباب حبّ الله لهم قد بيّنه [الله تعالى في] =

---

(١) أخرج مسلم [في ك: الإيمان، ب: ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، ح: (٤٣٠)] من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «قد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم ﷺ قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة، فأممتهم...».

(٢) وهو جزء من حديث طويل أخرجه البخاري [في ك: النكاح ، ب: الترغيب في النكاح، ح: (٥٠٦٣)] من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. ومسلم في ك: النكاح، ب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ح: (٣٤٠٣).

(٣) وهو جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي عن أبي سعيد ﷺ مرفوعا، في أبواب تفسير القرآن، ب: سورة بني إسرائيل، ح: (٣١٤٨). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) وهو جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي [في أبواب المناقب، ب: سلوا الله لي الوسيلة، ح: (٣٦١٦)] =

وَكُلُّ دَعْوَةِ نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ فَغَيٌّ وَهَوًى.

= القرآن بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٤)، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: ٤٢)، وبقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ (الصف: ٤).

ولما كان هذه الأوصاف من الإحسان والتوبة والتطهر والتقوى والتوكل والإقساط والصبر والقتال في سبيل الله وأمثالها من كمالات المحبوبية على آخر حدودها مندرجةً في ختم النبوة، لاح منه أنّ خاتمَ الأنبياء محمدًا ﷺ أحبُّ الخلائق إلى الله وأكرمُهم على الله؛ لجامعية جميع هذه الكمالات المقتضية للمحبوبية عند الله، فهو حبيب رب العالمين، بل سيد المحبوبين عنده.

وأيضًا انتقلت هذه الكمالات المقتضية لحب الله في الأمة من النبيّ، فلا يمكن أن يكون النبي عاريًا عنها، بل يكون هو الأصلَ فيها، - والأصلُ يكون أقوى من الفرع، فلا بدّ أن يكون آثارها في الأصل أقوى من آثارها في الفروع، - ورأسَ[1] آثار كمالات المحبوبية عند الله، فتكون محبوبية الأصل أقوى من محبوبية الفروع، ولذا صار حبيبَ رب العالمين وأحبَّ المحبوبين على الإطلاق، فإنه أصل في جميع هذه الكمالات.

[كل من ادعى النبوة بعده ﷺ كاذب]

قوله: وكل دعوة نبوة بعد نبوته فغي وهوى: لأنه لا نبي بعده؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (الأحزاب: ٤٠). =

= عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجبًا! إن الله عَزَّوَجَلَّ اتخذ من خلقه خليلا، اتخذ إبراهيم خليلا. وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى، كلمه تكليما. وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر: آدم اصطفاه الله.

فخرج عليهم فسلم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله، ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفَّع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة، فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين، ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر.

وقال: هذا حديث غريب.

(١) خبر آخر لـ«يكون».

وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى، وَالْمَبْعُوثُ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

= ولقوله ﷺ في حديث طويل: «ختم بي النبيون»،[١] و«ختم بي الرسل»،[٢] وفي رواية: «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». (رواه البخاري ومسلم).

والأحاديث الواردة فيه قد بلغت حدّ التواتر، فمن ادعى النبوة بعد ختم النبوة فهو كاذب دجال، ونبينا ﷺ أخبرنا: «أنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبيّ، وأنا خاتم النبيين، لا نبيّ بعدي».[٣] وأيضًا من قام بدعوة نبوةٍ سابقةٍ بعد ختم النبوة فهو مفترٍ خادعٌ وخارجٌ عن الملة؛ لأنه أنكر وكذّب آيَةَ: ﴿خَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، ومكذِّبُ كلمة واحدة من القرآن خارجٌ عن الإسلام، ولا يعتبر التأويل في ضروريات الدين.

ولأن مقتضى ختم النبوة نسخ الشرائع السابقة، إلا ما أبقى منها نصُّ الكتاب والسنة، ولذا قال ﷺ: «لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي».[٤] فمن دعا إلى نبوة سابقة، دعا إلى الشرائع المنسوخة التي لا يجوز العمل بها، فدعوته إلى عدم الجواز لا إلى الجواز، وأيّ غواية أشدّ منها!؟

[رسالة سيدنا محمد ﷺ شاملة لجميع الخلق]

قوله: وهو المبعوث إلى عامة الجن: لقوله تعالى عن الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ۝﴾ (الأحقاف: ٣١)، ولقوله تعالى في الجن: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا۝﴾ (الجن: ١ - ٢).

قوله: وكافّة الورى: لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨). =

(١) تقدم تخريجه تحت شرح قوله: «خاتم النبيين».

(٢) اللفظ لابن عساكر. انظر «كنز العمال» (١١/ ٤٥٣)، ح: (٣٢١٢٧).

(٣) أخرجه أبو داود - واللفظ له - من حديث ثوبان ﷺ مرفوعا، في ك: الفتن، ب: ذكر الفتن ودلائلها، ح: (٤٢٥٢)، والترمذي في ك: الفتن، ب: لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، ح: (٢٢١٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه البغوي في «شرح السنة» من حديث جابر بن عبد الله ﷺ [ح: (١٢٦)] عن النبيّ ﷺ، أن عمر أتاه فقال: إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»، والبيهقي في «الشعب»، ح: (١٧٤)، واللفظ لهما، والدارمي، ح: (٤٣٥)، والحديث حسن بشواهده، انظر «مجمع الزوائد» (١/ ٤١٩ - ٤٢١).

وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، ....

= ولقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، ولقوله ﷺ: «فضلت على الأنبياء بِستّ، (ومنها)... وأرسلت إلى الخلق كافّةً، وختم بي النبيون».[١]

[القرآن كلام الله تعالى، بدا منه بلا كيفية]

قوله: وإن القرآن كلام الله تعالى: يريد الشيخ أن الكلام صفة من صفات الله تعالى، وهو متكلم يتكلم، والقرآن كلام الله، تكلم به، فهو كلامه بألفاظه، لا ما ألقاه بالمعنى فقط. أما نفس التكلم من الله فلقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)، وأما التكلم بالقرآن فلقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٢). والتلاوة نوع من التكلم، سواء كان جليا أو خفيا، فثبت أن الله تعالى تكلم بالقرآن وآياته، وما ألقاه معنًى. ولقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ (القيامة: ١٨)، والقراءة تتعلق بالمقروء، ولا يكون إلا كلاما.

فالقرآن كلام مقروء من الله، إلا أننا لا نعلم كيفية التكلم، فإنه يتكلّم لا كتكلُّمنا، كما هو يسمع لا كسمْعنا، فإنه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. بل لا مجال لتصور الكيفية في ذاته تعالى وتقدس؛ لأنه منزه من الكيف والكمّ اللذَين هما من خواص الأجسام.

وهذا خلاصة الآيتين، الآية الأولى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية (الشورى: ٥١)، ثبت منه أن الله يتكلم بالوحي، فهو كلام. والآية الثانية: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، ثبت منه أن القرآن وحي، فثبت بمجموع الآيتين أن القرآن كلام الله تعالى، قد تكلم به، وأما ما اعترض عليه الفلاسفة فهو وجوابه في «التتمة».

قوله: منه بدا بلا كيفية قولا: أي بدا هذا الكلام - يعني القرآن - من ذاته تعالى لا من غيره، كما يقول المعتزلة: «إن الله خلق الكلام في محلّ سواه، فبدا ذلك الكلام من ذلك المحلّ»، وهو باطل يكذبه القرآن؛ فإنه نسبَ هذا الكلام المبين إلى ذاته بأنه بدا منه، أو من تنزيله نزل، لا من غيره.

لقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الإسراء: ١٠٥)، أي بدا هذا القرآن منا ومن إنزالنا، لا من محلّ آخر من النبي مثلا، فإنه نذير وبشير بهذا الكلام، لا واضع له، فهو محل النزول لا محل الوضع، فضلًا عن الخلق. ولقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢)، ولقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (الزمر: ١). ولم يقل: تنزيل من محل فلاني أو من شخص فلاني.

وأيضًا بدا بلا كيفية؛ لأن الكيف والكمّ من خواص الأجسام، والله - جل ذكره - بصفاته العليا منزه عن هذه الحوادث، فهو تكلم بهذا القرآن لا كتكلّمنا بالفم واللسان. وأيضًا القرآن بدا قولًا لا تخييلًا في القلب.

(١) تقدم تخريجه تحت شرح قوله: «خاتم النبيين».

وَأَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ.

[الله أنزل القرآن وحيا، وصدقه المؤمنون، وأيقنوا ذلك]

قوله: وأنزله على نبيه وحيا: لقوله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، ولقوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، ولقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢)، والروح: القرآن، كما قال به جمهور المفسرين؛ فإن به حيِيَ الأقوام والأمم. فثبت أنه نزل وحيًا من الله، لا أنه نشأ من العقل والحواس والتخيلات، العياذ بالله.

قوله: وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ... : لأن هذه العقيدة قد تسلسلت من أول يوم النبوة إلى زماننا هذا بسند متصل عن الله - جل مجده - إلى الأمة المرحومة بواسطة النبي المختار ﷺ، وانعقد عليه الإجماع في كل قرن إلى القرون الأخيرة، وأيقنوا أنه كلامُ الله تعالى بلفظه وبمعناه، وكلامٌ قد تكلم الله به، ما ألقاه معنًى فقط، فضلًا عن إلقائه بإدراك عقلي أو بتخييل.

[القرآن ليس بمخلوق]

قوله: وليس بمخلوق: لأن الله تعالى قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)، ولم يقل: «إن الله خلق كلامه لموسى». وقال عزّ اسمه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، ولم يقل: «وخلق كلامَه ربُّه».[1] فكلامه صفة صادرة منه لا مخلوق منه. وأيضًا يقال في العرف: «إن فلانًا يتكلم»، ولا يقال: «إنه يخلق كلامه»، وهذا بديهي واضح لا يحتاج إلى إمعان النظر إذا كانت الفطرة سليمة. ولذا قال إمامنا الأعظم أبو حنيفة رحمه الله في «الفقه الأكبر»:[2] والقرآن كلام الله تعالى، في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي عليه السلام منزَّل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، والقرآن غير مخلوق.

وأحسن ما قال في هذا البابِ الشيخ الإمام عبد العزيز المكي في كتاب «الحيدة»[3] حين ناظر وخاطب بشر المريسي رئيس المعتزلة القائل بأن القرآن مخلوق، وكان هذا في مجلس المأمون، حيث قال الشيخ للبشر: يلزمك واحدة من ثلاث، إما أن تقول: «إن الله خلق كلامه في نفسه تعالى»، وهو محال؛ لأن الله لا يكون محلًّا للحوادث المخلوقة في ذاته ونفسه، تعالى وتقدس، أو تقول: «إن الله خلق كلامه في غيره»، فهو كلامه لا كلام الله، أو تقول: «إن الله خلق كلامه =

(١) الأولى أن يقول: «ولم يقل: وخلق الكلامَ ربُّه».

(٢) انظر «شرح الفقه الأكبر» لملا علي القاري، ص: ٩١ - ٩٤.

(٣) راجع «الحيدة والاعتذار لمن قال بخلق القرآن»، ص: ٧٦ - ٧٧.

فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَى، وَعَابَهُ، وَأَوْعَدَهُ عَذَابَهُ بِسَقَرَ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (المدثر: ٢٦). فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ تَعَالَى بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٢٥)، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُهُ قَوْلُ الْبَشَرِ.

وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، ....

= مستقلًّا من غير ذات ولا شخص، وهو قائم بنفسه على حدة عن ذات وشخص»، وهو أيضًا محال؛ فإن الكلام لا يكون إلا من متكلم، كما لا يكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يُعقَل كلام قائم بنفسه على حدة عن ذات المتكلم - كالإنسان والحيوان - يُتكَلَّم بذاته من غير متكلم يتكلمه، فلما استحال من هذه الجهات الثلاث أن يكون الكلام والقرآن مخلوقا منه بأيّ كيفية، عُلِم أنه صفة الله، والصفات ليست مخلوقة.

[كفر من زعم أن القرآن كلام البشر]

قوله: فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر: لأن الله سماه كلامَ الله لا كلامَ البشر، حيث قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٦)، فمن قال: «إنه كلام البشر»، فهو معارضٌ لهذه الآية ومجادلٌ لها، فلا شك في كفره.

قوله: وقد ذمه الله وعابه ... : دليل آخر على كفر من أنكر كونه كلام الله، وعلى أن القرآن كلام الله لا كلام البشر؛ لأن الله أوعد بالنار كل من قال: «إنه كلام البشر»، فثبت أنه مَن قال: «إنه كلام البشر»، فهو كافر ناريّ مجادل للقرآن.

قوله: ولا يشبهه قول البشر: أي كلامه لا يشبه كلام البشر، كجميع صفاته لا تشبه صفات البشر، فهو يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى ويسمع لا كرؤيتنا وسمعنا، فكذا يتكلّم لا كتكلّمنا.

[كفر من وصف الله تعالى بأوصاف البشر]

قوله: ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر: لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، كما مر تفصيله. فبهذه الآية الكريمة يجري عدم المماثلة في جميع صفاته بنفي التشبيه، بأن هذه الصفات ليست كمعاني صفات البشر، فتشبيهُ ذاته وصفاته بخلقه كفرٌ؛ لأنه إنكار لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾، فإن الله يقول بنفي التشبيه، وهذا المنكر يدّعي إثبات التشبيه، وهذا صريح المعارضة، وهو كفر ظاهر.

وأيضًا: إنكار الصفات أيضًا كفر؛ لأن الله يقول مثبتًا للصفات: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وكذا يقول في مواضع أخر: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٨)، و﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (سبأ: ٢٣)، وغير ذلك من الأسماء الحسنى، والمنكر يدّعي نافيًا لصفاته: أنه ليس بسميع ولا بصير ولا حكيم ولا خبير ولا علي ولا كبير، وهذه المعارضة أشدّ من المعارضة السابقة، فأيّ كفر أشدّ منه!؟

وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ.
وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ ....

قوله: وعن مثل قول الكفار انزجر: أي مثل قولهم في نفي كلامه عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٢٥). ومثل قول اليهود في نفي المتكلم، حيث قالوا: «لا نؤمن بها حتى نسمع كلام الله بآذاننا»، وإذا أُسمِعوا قالوا: «لا نعلم من يتكلم، أهو الله أم غيره؟» وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: ٥٥).

وكان منشأ هذه الأقوال الزائغة نزغة التشبيه بأن زعموا أن معاني صفاته كمعاني صفاتنا، أي كما أننا نسمع كلام المخلوق بآذاننا، كذا يمكن أن نسمع كلامه تعالى بهذه الآذان في هذه الدار، وكما أننا نرى أمثالنا، كيف لا نرى ربنا بهذه الأعين في الدنيا؟ فردّ الله عليهم جميع هذه الأقيسة الفاسدة التي تقاس بها معاني الألوهية على معاني البشرية، وزجرهم على قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ بقوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾.

فنبَّه المصنف ﷺ إلى أنه ينبغي للمؤمن أن ينزجرَ بهذا الزجر الإلهي، ويفهمَ أنه لا يقاس كلامُه على كلام البشر، ولا تكلُّمُه على تكلّم البشر، ولا يُشبَّه كلامه وتكلّمه بكلام البشر وتكلّمه؛ فإن الله بصفاته ليس كالبشر؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

[رؤية الله تعالى حق للمؤمنين]

قوله: والرؤية حق لأهل الجنة: أي يمكن لنا أن نرى الله تعالى بالباصرة في الدنيا، ولا استحالةَ فيها عقلًا وشرعًا. أما الأول فلأنه موجود، وكل ما هو موجود فهو متعلق الرؤية، وما قاله المعتزلة: «أن الرؤية مشروطة بكون المرئي في مكان، وجِهَة، ومقابلة من الرائي، وثبوت مسافة بحيث لا يكون في غاية القرب ولا في غاية البعد، وكلّ ذلك محال في حق الله»، فغيرُ مسلَّم؛[1] لأنها عندنا أسباب عادية، أي يخلق الله الرؤية بعدها، ولكنها ليست بموقوفة عليها، بل هو قادر على أن يخلقها بغيرها أيضًا، كما كان النبي ﷺ يرى خلفه كما يرى أمامه[2] بلا مقابلة المرئي.

وأما الثاني فلأن موسى عليه السلام سأل الرؤية بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، فلو لم يكن النظر إليه ممكنًا، لكان طلبها جهلًا بما يجوز في ذات الله وما لا يجوز، أو طلبًا للمحال، والأنبياء منزهون عن ذلك. =

(١) «فغير مسلم» خبر «ما».

(٢) أخرج الإمام مسلم [في ك: الصلاة، ب: تحريم سبق الإمام بركوع وسجود ونحوهما، ح: (٩٦١)] عن أنس بن مالك ﷺ قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «أيها الناس، إني إمامكم، فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف، فإني أراكم أمامي ومن خلفي»، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده، لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا». قالوا: وما رأيتَ يا رسول الله؟ قال: «رأيت الجنة والنار».

بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣)، وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ.

وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، رِضْوَانُ اللهِ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فَهُوَ كَمَا قَالَ، ....

= وهذه الرؤية واقعة في الآخرة لأهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢ - ٢٣)، وقال ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر».[1]

[الرؤية تكون بغير إحاطة وكيفية]

قوله: بغير إحاطة ولا كيفية: أي نرى الله تعالى، ولكن لا يمكن أن نحيط به، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ (الأنعام: ١٠٣). والإدراك هو الرؤية مع الإحاطة، والرؤية ليست بمستلزمة لها، كما قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّآ﴾ (الشعراء: ٦١ - ٦٢).[2] والإحاطة موقوفة على الحدود والأطراف، والله منزه عن ذلك، وهكذا عن الكيف والكيفية؛ لأنها من خواص الأجسام.

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعًا، في أبواب صفة الجنة، ب: منه، تفسير قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، ح: (٢٥٥٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وأخرجه البخاريُّ في ك: الأذان، ب: فضل السجود، ح: (٨٠٦)، وفي ك: الرقاق، ب: الصراط جسر جهنم، ح: (٦٥٧٣)، وفي ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ح: (٧٤٣٧).

ومسلمٌ في ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، ح: (٤٥١)، وفي ك: الزهد والرقائق، ب: حدثنا قتيبة بن سعيد، ح: (٧٤٣٨)، وأبو داود في ك: السنة، ب: في الرؤية، ح: (٤٧٣٠)، والترمذي في أبواب صفة الجنة، ب: ما جاء في سوق الجنة، ح: (٢٥٤٩)، وابن ماجه في أبواب السنة، ب: فيما أنكرت الجهمية، ح: (١٧٨)، وفي أبواب الزهد، ب: صفة الجنة، ح: (٤٣٣٦).

وأخرجه البخاريُّ عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا، في ك: مواقيت الصلاة، ب: فضل صلاة العصر، ح: (٥٥٤)، وفي ك: مواقيت الصلاة، ب: فضل صلاة الفجر، ح: (٥٧٣)، وفي ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ح: (٧٤٣٤ - ٧٤٣٦)، ومسلمٌ في ك: المساجد، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر، ح: (١٤٣٤).

(٢) وجه الاستشهاد أن سيدنا موسى عليه السلام ردَّ على بني إسرائيل دعواهم «إنّا لمدركون» مع الردع، مع أنهم كانوا بمرأى من فرعون وجنوده، فهذا صريح في نفي استلزام الرؤية للإحاطة بالمرئي؛ إذ كان فرعون رآهم ولم يحط بهم.

وَمَعْنَاهُ وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا؛ فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ. وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ.

فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَلَيْهِ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَن خَالِصِ ...

[المتشابهات يجب فيها التفويض والتسليم لما أراده الله تبارك وتعالى منها، ولما أراده رسوله ﷺ، ولما فهمه منها السلف الصالحون واختاره الخلف العادلون]

قوله: وتفسيره على ما أراد ... : أي يكون مراد كلامه تعالى على حسب ما أراد به، لا ما نتأول به من آرائنا ونتخيل بتخيلاتنا ونتوهم بأوهامنا، فلا مدخل للرأي والقياس في مثل هذه المسائل بتعيين مفاهيمها ومصاديقها بالرأي المجرد، ولا دخل فيها للتجويز، بل يجب فيها التفويض والتسليم إلى ما صرحَ به كتاب الله وسنة رسوله، وفهِمَه السلف الصالحون وأجمعوا عليه، فصار مسلكًا مسلوكًا من السلف الصالحين إلى الخلف العادلين، يندفع عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

قوله: إلا من سلّم لله عَزَّوَجَلَّ: اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٩)، والسليم: من سلّمه الله.

قوله: وردّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه: لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣)، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، ولقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ (الحج: ٣).

[معنى الإسلام]

قوله: ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩). والإسلام هو الاستسلام والتسليم والتفويض؛ لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١)، أي فوِّض أمركَ إلينا، وكنْ أنت في يد أمر الله في جميع أمور الحياة والممات كالميت في يد الغسّال. ثم بيّن تفصيلَه بقوله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢)، فأمره الله بالتفويض، وصرح بأنه هو الإسلام.

[لا يجوز التأويل في المتشابهات بعقل محض ورأي بحت]

قوله: ولم يقنع بالتسليم فهمه: أي [لم يقنع بالتسليم] اعتمادًا على عقله ومجرد رأيه أو فهمه الطبيعي، ومن البديهي أنه كيف يُعلَم أصول دين الله من غير كتاب الله وسنة رسول الله؟ وكيف يُفسَّر كتاب الله بغير ما فسّره به رسولُ الله ﷺ =

التَّوْحِيدِ وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ، فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوَسْوِسًا تَائِهًا شَاكًّا زَائِغًا، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا.

وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ (أَيِ الْجَنَّةِ) لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ (مِنْ رَأْيِهِ)، إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ ....

= وأصحابُه - رضوان الله عليهم أجمعين - الذين نزل القرآن بلغتهم وفهموه من لسان النبوة في حضور النبي ﷺ؟ وقد قال النبي ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار».[1] وفي رواية: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار».[2]

ووجهه أن مبنَى الدين النقلُ من الله، لا العقلُ من الدماغ، وإلا لم يبعث الرسل، ولم ينزل الكتب السماوية، ولم يفسّر بوحي من الله، ولم يخبر بورثته ﷺ أنهم يكونون بعده معلمي الكتاب والسنة بالتوارث، بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (فاطر: ٣٢).

فمن يتكلم في الدين بما يظنّ ويفهم أنه دين، ولم يتلقّ من كتاب الله، ولا بما أراده الله منه على لسان نبيه، وما سلك سبيلهم، فإنما يتكلم برأيه، فهو آثم وإن أصاب اتفاقا، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ، وإن أصاب يضاعف أجره.[3]

[الرد على من أنكر أو تأول رؤية الله تعالى]

قوله: ولا يصح الإيمان بالرؤية ... : أي الإيمان يتعلق باتباع النقل وتسليمه، لابتأويل العقل وإيهامه، فإنه زيغ؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ (آل عمران: ٧). رد الله على تأويل المتشابهات، وحرّض على التسليم والإيمان بها بلا تأويل، =

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعًا في ك: تفسير القرآن، ب: الذي يفسر القرآن برأيه، ح: (٢٩٥١)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجها الترمذي في أبواب تفسير القرآن، ب: الذي يفسر القرآن برأيه، ح: (٢٩٥٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) وأصله قوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»، أخرجه البخاري عن عمرو بن العاص ﷺ في ك: الاعتصام، ب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ح: (٧٣٥٢).

[(لَا يَصِحُّ)،[1] فَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ إِلَّا بِـ][2] ـتَرْكِ التَّأْوِيلِ وَلُزُومِ التَّسْلِيمِ، وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُرْسَلِينَ وَشَرَائِعُ النَّبِيِّينَ.

وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ، زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ، فَإِنَّ رَبَّنَا - جَلَّ وَعَلَا - مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ بِمَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ.

= فكيف بمن يتأول في المحكمات أيضًا بمعيار عقله وفهمه الطبيعي الذي لم يُربّ بتربية المعلّمين، ولم يتزكَّ باتباع المصلحين، ولم ينصبغ بصبغة الله بصحبة الكاملين، ولم يهتد بهدي عباد الله الصالحين، وحُرِم من تمرين المتقين!؟

فإن مثلَ هذه التأويلات قبل طيّ هذه المراحل تأويلُ الوهم والظنّ، وإيمانٌ بالعقل لا بالنقل، وإيجادٌ بما تخيل به الأوهام، لا اجتهادٌ موصلٌ إلى المرام، وهو تأويل فاسد. وأما التأويل الصحيح فهو إخبارٌ بمراد المتكلم لا إنشاءٌ. [ولا يجوز التأويل] لا سيما إذا كان للألفاظ معنى ظاهر بالوضع، والقرائن الواضحة تؤكده، وقبول السلف والخلف إجماعًا يؤيده، فالتأويل فيها تحريف لا تأويل. ومزيد التفصيل في «التتمة».

[النفي والتشبيه من مهاوي الضلالة]

قوله: ومن لم يتوقّ النفي والتشبيه، زلّ ولم يصب التنزيه: لأن الاعتدال بين الخروج والاعتزال، ولايكون فيه تشبيه ولا تعطيل في أيّ صفة من صفات الحق سبحانه، لا سيما في الرؤية كما ثبت آنفا، فإن التشبيه والتعطيل ينشآن من تعمقاتِ العقول الجزئية، وقياسِ الغائب على الشاهد، وهذا هو منشأ الإفراط والتفريط. فبعضهم اخترعوا وشبّهوا الله بخلقه في صفاته، وبعضهم اخترعوا وعطّلوه عن صفاته أصلًا، فالمعطّل يعبد عدمًا، والمشبّه يعبد صنمًا، والموحّد يعبد صمدًا.

[نفي التعطيل والتشبيه]

قوله: موصوف بصفات الوحدانية: لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١)، أي في ذاته وصفاته.

قوله: منعوت بنعوت الفردانية: لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: ٢ - ٣).

قوله: ليس بمعناه أحد من البرية: لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ٤). =

---

(١) كلمة «لا يصح» مأخوذة من (ج)، وليست في (ق). أخالها إضافةً من المؤلف ﷺ.

(٢) ما بين المعقوفتين جملة موجودة في جميع نسخ الكتاب، أُثبِتَتْ في الكتاب من النسخة القديمة لمتن «الطحاوية» الموجودة في مكتبة الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، برقم: ٣١٥٧٤.

تَعَالَى اللهُ عَنِ الحُدُودِ ....

= فقول المصنف: «موصوف بصفات الوحدانية والفردانية» إثبات متضمن لنفي التعطيل، وقوله: «ليس بمعناه أحد من البرية» نفي للتشبيه. فدِين الله عدل وسط بين الإثبات والنفي وبين الإفراط والتفريط، لا إثبات محض ولا نفي مطلق، كمسألة الذات في كلمة التوحيد، ليس فيها إنكار الذات ولا فيها إثبات الذوات، بل فيها إثبات التوحد بعد إنكار التعدد.

فكذا مسألة الصفات لها ثبوت ونفي، فالثبوت: أنها ثابتة موجودة فيه أزلًا وأبدًا، والنفي: أنها ليست تشابه الخلق، فلا يمكن أن يكون الخلق مثل الخالق من أيّ جهة ونعت؛ لأن التعدد والتكثر والتشابه من شأن الخلق، والوحدة والتوحّد والأحدية من شأن الخالق، فلا يمكن أن يكون الخلق مثل الخالق، بأن لا يمكن مثلُه ولا مثالٌ له ولا ضدٌّ له ولا ندٌّ له، كما لا يمكن أن يكون للخالق مثل ومثال وضدّ وندّ. هذا هو الاعتدالُ وأمرٌ بين الأمرين، أحد جانبيه: الخروج، والآخر: الاعتزال، كان أمرهما فرطًا.

وطريقة القرآن: الجمع بين النفي والإثبات في الصفات كمثل الذات، وهو التوسط والعدل، فإن شئت الإثبات في الصفات فاقرأ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلى آخر السورة: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الحشر: ٢٢ - ٢٣ - ٢٤)، وإن شئت النفي فاقرأ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

فقوله: «بصفات الوحدانية» أي لا مثلَ له يشابهه، وقوله: «بنعوت الفردانية» أي لا نظيرَ له يساويه. والوصف والنعت مترادفان، وقيل: متقاربان، فالوصفُ للذات والنعتُ للفعل. وكذلك الوحدانية والفردانية، وقيل بالفرق بينهما: بأن الوحدانية للذات، والفردانية للصفات.

[تنزيه البارئ عن التحديد]

قوله: تعالى الله عن الحدود: لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء: ١٢٦)، ولقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٣٠). وبيانه أن كل ما سواه [ﷻ] محدود في حدّ ذاته وصفاته وأفعاله وبجميع ما يصدر منه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١)، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩). فثبت أن كل شيء محدودٌ بمقداره في خلقته وبدنه وروحه وبجميع ما تشتمل عليه نفسه، وهذه المقادير لها[1] حدود، لا يمكن أن تتجاوز عنها في حال وشأن.

ومعلوم أن محدِّد هذه الحدود والمقدِّر لهذه المقادير ليس إلا الله ﷻ؛ لأنه خالقها وجاعلها؛ لقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾، ولقوله: ﴿نُنَزِّلُهُۥٓ﴾. فهذه الحدود والمحدودات كلها في إحاطة الله، والله محيط بها، فكيف يمكن أن يكون المحيطُ بكل شيء محاطًا بهذه الأشياء المخلوقة له؟ وإلا لزم اجتماع الضدّين. =

[1] «لها» أي لخلقته وبدنه وروحه وجميع مشمولات نفسه.

وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ ....

= فالمعنى: أن ذاته غير محدودة بحدّ، وأن صفاته ليس لها حدّ، وإلا يتساوى الخلق والخالق، وهذا محال؛ لاجتماع الضدّين، بأن يكون الشيء الواحد خالقًا ومخلوقًا، ومحدودًا وغيرَ محدود. فثبت بهاتين الآيتين الكريمتين أنه - سبحانه - مُتعالٍ عن الحدود بحسب الذات والصفات أزلًا وأبدًا، لا حدّ لابتدائه ولا لانتهائه ولا لوسعته ولا لإحاطته، يحيط الموجوداتِ كلَّها بفعله، ويحيط المعدوماتِ كلَّها بقوّته وعلمه وقدرته على إيجادها.

قوله: والغايات: لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم: ٤٢)، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ (العلق: ٨)، ولقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ (البقرة: ٢١٠)، ولقوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

تدل هذه الآيات الكريمة على أن كل شيء ينتهي ويرجع ويصير إليه، ولا ينتهي ولا يرجع ولا يصير هو - سبحانه - إلى شيء، فثبت منه أن لكل شيء منتهًى ينتهي إليه، وهذا المنتهى هو الله سبحانه، وليس لله منتهًى ينتهي إليه، فثبت أنه متعالٍ عن الغايات وحدود الانتهاء، كذلك لا حدّ له ولا انتهاء، فهو غير محدود وغير متناه. وتفصيله في «التتمة».

قوله: والأركان والأعضاء: لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: ٢ - ٣). وبيانه: أن الأركان والأعضاء تكون من أجزاء الماهية، وأن الله تعالى أحد لا يتجزّأ؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١). وأيضًا يكون في الأعضاء معنى التفريق والتبعيض؛ لأن كل عضو غير العضو الآخر متميزًا عنه، وإلا يبقى عضوًا خاصًا. وهو تعالى لأحديته بريء عن التبعيض والتفريق.

وأيضًا يكون في الجوارح معنى الاكتساب، وهو متعال عن الكسب والاكتساب؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢). فثبت أنه ليس له أركان وأعضاء.

نعم، إنه تعالى وضع الأسباب، وخلق الأشياء من الأشياء، وجعل شيئًا سببًا لشيء آخر، ولكن هذه الأسباب أيضًا مخلوقة له، تحتاج إليه سبحانه، لا أنه يحتاج إليها، وبها إظهار أفعاله في ضمن الأسباب، فهو بالحكمة لا بالعجز.

إلا أن أسماء الأعضاء والأركان وإن أطلقت عليه - سبحانه - في الكتاب والسنة، مثل اليد، والوجه، والقدم، والأصابع، والأنامل، والعين، والساق، والخاصرة، وغير ذلك، لكن ليس معناها كمعاني الأعضاء البشرية، بل معناها كما يليق بشأنه، فكما أن ذاته ليست كذواتنا، وصفاته ليست كصفاتنا، وأفعالَه ليست كأفعالنا، هكذا مسميات جميع هذه الأسماء ليست بمسمياتنا، فالطريق الأسلم أن تحمل هذه الأسماء على معانيها الحقيقية، ويقال كما قال الإمام مالك: «إن معناها معلوم، والكيف مجهول، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة».[1] لأنه لا يدرك كنهها، =

---

(١) حكاه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص: ٤١١، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٣٢٥، والدارمي في «الرد على الجهمية» برقم: ١٠٤، ص: ٥٥ - ٥٦.

وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.

= ولا يحاط بها علمًا، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

قوله: والأدوات: لأنّ فيها معنى الانتفاع، وهو منزه عن النفع والضرر، لا ينتفع ولا يتضرّر؛ لأنه هو مالكُ النفع والضرر وخالقُهما، وهما تابعان لإرادته ومشيئته، يحتاجان إليه في وجودهما؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۢ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (الفتح: ١١). فهل يتصور أو يمكن أن ينتفع خالق النفع من النفع المخلوق له؟ أو يتضرّر خالق الضرر عن الضرر المخلوق له؟ وإلا لزم اجتماع الضدّين، بأن يكون غنيًّا عن النفع والضرر ومحتاجًا إلى النفع والضرر.

ولأنّ الاسم من أسمائه الحسنى «النافع» لا «المنتفع»؛ لأن النافعية فاعلية، والانتفاع قابلية ينفعل من الغير، وهو فعّال لما يريد، لا أنه قابل ومنفعل لما يريد به غيره في فعله، وهو ينافي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦). ولأنّ فيها معنى الخلوّ بأنه خالٍ عن الكمالِ بنفسه وإيصالِه إلى شيء من قوة ذاته، فيحتاج إلى غيره من الأدوات والآلات بالاكتساب منها، وهو ينافي قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨٢).

ولأنّ فيها معنى الاستكمال بالغير، وهو ينافي الصمدية مع أنه صمد؛ لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ (الإخلاص: ٢). ومعناه: أنه غني عن الكل، والكل يحتاج إليه.

وبهذه الوجوه المعبّرة بعبارات النصوص من الكتاب ثبت أنه - جل ذكره - تعالى عن الأدوات والآلات في أفعاله، إلا أنه خلقها، ويخلقها، ويستعملها تحت حكمته من غير احتياج وعجز، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

[تنزيه الباري عن احتواء الجهات له]

قوله: لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات: لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ (البروج: ٢٠). وما وراء الشيء من كل جانبٍ: هو طرفه الخارج منه إلى غيره من جوانبه الستة، وإذا كان الله يحيط من ورائهم، فمعناه: أنه محيط بكل جهاته الست وجميع جوانبه الخارجة منه؛ لأن الجهة من وراء كل شيءٍ تحيط الشيء من جميع الأطراف، ومَن كان محيطًا بكل شيء ومِن وراء كل شيء، لا يمكن أن يحاط بالشيء أو من وراء الشيء، وإلا لزم اجتماع الضدّين بأنه محيط ومحاط، وهو محال، فثبت أنه منزه ومتعالٍ عن احتواء الجهات الست له.

بل ثبت عنه أيضًا أنه حاوٍ على الجهات ومحدّدُها ومعيارٌ لتعيينها؛ لكونه محيطًا بها؛ لأنه إن أخذ جهة الفوق مثلًا فالله فوق كل شيء؛ لأن صفته: الظاهر ليس فوقه شيء، وإن أخذ التحت فهو: الباطن ليس دونه شيء، ولو هبط شيء من العرش إلى ما تحت الثرى لهبط على الله، كما هو منصوص في الحديث،[1] فهو الفوق المطلق والدون المطلق. =

[1] أراد الحديث الذي أخرجه الترمذي [في أبواب: تفسير القرآن، ب: سورة الحديد، ح: (٣٢٩٨)] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «هل تدرون ما الذي تحتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها الأرض». ثم قال: «هل تدرون ما الذي =

وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، ....

= وإذا ثبت أن جميع الفوقيات تحت فوقيته، وجميع التحتيات تحت تحتيته، فكذا يثبت جهة اليمين منه، فلا يعتبر يمين إلا به، وكلتا يديه يمين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٢٧)، و﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ (الواقعة: ٤١). وهو قدام جميع الكائنات وأمامها، يقودها؛ لأنه هو الأول، وهو خلف جميع الكائنات ووارثها؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ (القصص: ٥٨). وهو يتجلى في المحشر بعد التمييز بين المطيع والمجرم، والمخلص والمنافق، يقود الناس إلى الصراط، فجميع الخلائق خلفه يمشون إلى الصراط.[1]

وبالجملة ثبت أنه محدِّدُ الفوق والتحت واليمين والشمال والقدام والخلف، ومعيارٌ لجميع الأينيات والجهات؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥). فمعيار اعتبار الجهات هو ذاته لا غير، فهذا دليل واضح على أنه لا تحويه الجهات الست، بل هو يحوي عليها ويحيط بها، وهذا هو مدعى المصنف ﷺ.

[المعراج الجسماني حق]

قوله: والمعراج حق: لقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ (الإسراء: ١). هذه الحصة الأولى من الإسراء: من مكة إلى البيت المقدس، والحصة الثانية من الإسراء: فمن البيت المقدس إلى السماوات ثم إلى السدرة ثم إلى الجبار ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ (النجم: ٦ - ١٠).

قوله: وقد أسري بالنبي ﷺ: إشارة إلى المعراج الجسماني؛ لقوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ (الإسراء: ١)؛ فإن العبد - أي ذاته الشريفة - مجموع الجسم والروح، لا الروح فقط، وإلا قيل: «أسرى بروحه»، أو «ذهب بروحه».

= تحت ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن تحتها أرضًا أخرى، بينهما مسيرة خمس مائة سنة» حتى عدّ سبع أرضِين، بين كلّ أرضَينِ مسيرة خمس مائة سنة. ثم قال: «والذي نفس محمد بيده، لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله»، ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد: ٣). وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(١) ورد ذلك في الحديث الطويل الذي أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، ح: (٩٧٦٣) عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا، وفيه: «فيتمثل الربّ عَزَّوَجَلَّ، فيأتيهم، فيقول: ما لكم، لا تنطلقون كما انطلق الناس؟» قال: «فيقولون: إن لنا لإلـهًا، ما رأيناه بعد. فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامةً إذا رأيناها عرفناها». قال: «فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقه». قال: «فعند ذلك يكشف عن ساق، فيخرّ كلّ من كان بظهره طبقٌ، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كان يدعون إلى السجود وهم سالـمون... =

وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى.

وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ: حَقٌّ. وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا اللهُ لَهُمْ: حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ.

قوله: وعرج بشخصه ... : لأنه معجزة، وهي لا تستقيم إلا في اليقظة؛ لأن العروج إن كان مناميًّا أو روحيًّا لا يستبعد، ويمكن لغير النبي أيضًا، فلا يبقى فيه معنى الإعجاز.

[الحوض حق]

قوله: والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته حق: لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١). قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهر، وعدنيه ربّي عَزَّوَجَلَّ، عليه خير كثير»، رواه مسلم.[١] وروى البخاري عن رسول الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، من مرَّ عليّ شربَ، ومن شربَ لم يظمأ أبدًا».[٢] والأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حدّ التواتر، رواها من الصحابة بضعٌ وثلاثون صحابيًّا. وقد استقصى طرقَها الحافظ الكبير ابن كثير رحمه الله في تاريخه الكبير المسمى بـ«البداية والنهاية»، من شاء فليراجع.[٣]

[الشفاعة حق]

قوله: والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار: لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ (سبأ: ٢٣)، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٨). بدأ [ذكر] الشفاعة بالنفي؛ لئلا يتّكل الناس على شفاعة أوليائهم وآبائهم الصالحين. =

= والربّ عَزَّوَجَلَّ أمامهم حتى يمرّ في النار، فيبقى أثره كحدّ السيف دحض مزلّة»، قال: «ويقول: مُرّوا، فيمرّون على قدر نورهم ...»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦١٧ - ٦٢٠)، ح: (١٨٣٥٢): رواه كلّه الطبراني من طرقٍ، ورجال أحدها رجال الصحيح، غير أبي خالد الدالانيّ، وهو ثقة.

(١) راجع «صحيح مسلم» [في ك: الصلاة، ب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، ح: (٨٩٤)] عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري [في ك: الرقاق، ب: الحوض، ح: (٦٥٨٣)] عن سهل بن سعد رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٣) راجع «البداية والنهاية» (١٩/ ٤٢٦ - ٤٧٢).

وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ ﷺ وَذُرِّيَّتِهِ: حَقٌّ.

وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ، عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، لَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَهُ.

= والشفاعة أنواع، كما تدل عليه الأحاديث الواردة فيها:

١- الشفاعة الكبرى: وهي لجميع الخلائق للحساب. ٢- والشفاعة لأهل الكبائر.[١]

٣- والشفاعة لعصاة المؤمنين بعد دخولهم في النار. ٤- والشفاعة لارتقاء مدارجهم بعد النجاة، وغير ذلك.

وكذا الشافعون عدة أنواع: الأنبياء، والملائكة، والعلماء، والشهداء، والصلحاء، والحفّاظ، وغيرهم من المؤمنين، كما ورد في الأحاديث[٢] مفصّلًا.

[الميثاق حق]

قوله: والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق: لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

[علم الله أزلا بأهل الجنة وأهل النار]

قوله: وقد علم الله فيما لم يزل ... : لقوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧)، وهو إظهار لعلمه السابق. ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: ٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن: ٢٨). وهذه الأعداد أيضًا داخلة في الإحاطة.

قوله: وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه: لأن الأعمال مخلوقة منه تعالى؛ لقوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)، وكل ما خلقه يعلمه قبل خلقه؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك: ١٤)، فأفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه.

---

(١) أخرج أبو داود بسنده عن أنس مرفوعًا في [ك: السنة، ب: في الشفاعة، ح: (٤٧٣٩)]: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». وصححه العلامة علي القاري في «مرقاة المفاتيح» ٦/ ٢٢٧١.

(٢) والوارد في شفاعة سيدنا ونبينا محمد ﷺ من الأحاديث: كثير، منها: ما ورد عن عمران بن حصين ﷺ مرفوعًا: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ، فيدخلون الجنة، يسمّون الجهنميين»، رواه البخاري في ك: الرقاق، ب: صفة الجنة والنار، ح: (٦٥٦٦).

ومن الوارد في شفاعة الأنبياء والعلماء حديثُ سيدنا عثمان بن عفان ﷺ مرفوعًا: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»، رواه ابن ماجه في أبواب الزهد، ب: ذكر الشفاعة، ح: (٤٣١٣). قال الزين العراقي =

وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ. وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ.

[كل عبد ميسّر لما خلق له]

قوله: وكل ميسر لما خلق له: لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾ (الليل: ٥ - ١٠).

[الأعمال بالخواتيم]

قوله: والأعمال بالخواتيم: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩١)، ولقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـَٰٔنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ (النساء: ١٨).

لم يكتف الحق ﷻ بقوله: «إن الذين كفروا وماتوا أولئك لهم عذاب أليم»، بل أضاف فيه كلمة: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، وهو محلّ الاستشهاد، أي إنهم لم يموتوا فقط، بل ماتوا على الكفر. فالمقصود هنا ليس بيان موت الكفار فقط، بل المقصود بيان حالتهم الأخيرة التي ماتوا عليها، وهو الكفر، وعليه الوعيد الذي بينه الله - سبحانه - بقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ولا يتأتى ذلك إلا بكلمة: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾؛ لأنه لو اكتفى بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا﴾ يحتمل أنه لو مات الرجل الذي كان كافرًا في نظرنا، ولكنه مؤمن عند الله بالتوبة وقبول الإيمان قبل الموت. فكان هذا بيان موت رجل كان يعرف بالكفر، لا حالته التي يترتب عليها الجزاء الذي أوعدهم الله بقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ولا ينطبق الجزاء على حالتهم مطلقا، سواء ماتوا مؤمنين أو كافرين، فأضاف كلمة ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، فثبت منه أن العبرة للحالة الأخيرة التي وقع فيها الموت؛ فإن الموت مكمل لا قاطع.

ولا تتبدل الحالة الأخيرة التي قرن بها الموت إلى الأبد، فعلم منه أن حكم عاقبة الشيء تابع لحالته الأخيرة التي استقرت فيه واختتم العمل بها. وهذا معنى ما قاله النبي ﷺ، كما في الصحيحين:[1] «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة». =

= في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٤)، ح: (٢٤): رواه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بإسناد ضعيف.

ومن الوارد في شفاعة المؤمنين حديثُه ﷺ: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمّتي أكثر من بني تميم»، رواه الترمذي في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، ب: دخول سبعين ألفا بغير حساب، ح: (٢٤٣٨). قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

[1] راجع «صحيح البخاري» في ك: المغازي، ب: غزوة خيبر، ح: (٤٢٠٧) و(٤٢٠٣) و(٢٨٩٨). و«صحيح مسلم» في ك: الإيمان، ب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ح: (٣٠٦)، وفي ك: القدر، ب: كيفية خَلق الآدميّ في بطن أمّه، ح: (٦٧٢٣).

وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ.
وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

= وزاد البخاري:[١] «وإنما الأعمال بالخواتيم». فمثل هذه الأحاديث شرح لهذه الآية الكريمة المشتملة على أصول «العبرة بالخواتيم»، بل هي قاعدة كلية لجميع أعمال الإنسان: أن عبرتها بالخواتيم في الدنيا والآخرة.

[السعادة والشقاء كلاهما بقضاء الله]

قوله: والسعيد من سعد بقضاء الله ... : لأن السعادة هي الهداية، والشقاوة هي الضلالة، وكلاهما بقضاء الله ومشيئته؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ۝ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ (الزمر: ٣٦ - ٣٧). أو يقال: إن الهداية والضلالة من آثار السعادة والشقاوة الكامنتين في الإنسان، كما يشير إليه كلمة: «في بطن أمه»،[٢] وإذا كانت الآثار من قضاء الله ومشيئته، فالمؤثر أولى أن يكون من قضائه ومشيئته؛ لأنه هو خالقهما.

[مسألة القدر، والنهي عن الخوض فيه]

قوله: وأصل القدر سرّ الله في خلقه: أما نفس مسألة القدر فهي قطعية من عقائد الدين، كما سبق دلائله من العقل والنقل. والفرق بين المشيئة والرضاء في «التتمة». فنفس المسألة وحكمها عقلية، لا تعجز العقول والأفهام، إلا أن أصل التقدير وأساسه سرٌّ من أسرار الله وراء العقول والأفهام، وفعلٌ من أفعاله تعالى، لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألون، وهو خلق كل شيء فقدره تقديرا، فكل شيء بقضاء الله وقدره. =

---

[١] راجع «صحيح البخاري» في ك: القدر، ب: العمل بالخواتيم، ح: (٦٦٠٧)، وأيضًا: (٦٤٩٣).

[٢] وردت هذه الكلمة في الحديث الذي أخرجه البخاري [في ك: أحاديث الأنبياء، ب: خلق آدم وذريته، ح: (٣٣٣٣)] عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا: «وكّل الله بالرحم ملكًا، فيقول: أي ربِّ نطفةٌ، أي ربِّ علقةٌ، أي ربِّ مضغةٌ. فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي ربِّ، ذكرٌ أم أنثى؟ أشقيّ أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمّه».

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري في ك: بدء الخلق، ب: ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، ح: (٣٢٠٨)، ومسلم في ك: القدر، ب: كيفية خَلق الآدميّ في بطن أمّه، ح: (٦٧٢٣) عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا: «إن أحدكم يجمع خَلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا، فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتبْ عمله، ورزقه، وأجله، وشقيّ أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة».

لكن نصّ الحديث لم يذكره الشارح ﷺ حسب النسخ التي بين يدي.

وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣)، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ كِتَابِ اللهِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ كِتَابِ اللهِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، ....

= وإن الله خالق العبادِ وأفعالِهم، وهو يريد الكفر من الكافر، ويخلقه، ويشاؤه، ولا يرضى به، فيشاؤه تكوينًا؛ لحكمته، ولا يرضاه دِينًا؛ لأمره. وأساس مسألة القدر مسألة أخرى، وهي ربط الحادث بالقديم، وهي مسألة أدقّ من لطافة العقل، وغاية النظر، والدقّة، والغموض، لا يعلم حقيقتَها إلا الله، ولا يسعها عقول الخلائق وأفهامهم، فضلَّ من خاض فيه، وهُدِيَ من انقاد له بتسليمه والرضاء به، وقنعَ بما بيَّنه الله ورسوله ﷺ، وهو نظام التوحيد، فمن وحّدَ اللهَ وكذَّبَ بالقدر نقضَ تكذيبُه توحيدَه، أعاذنا الله منه.

[العلم علمان: موجود ومفقود]

قوله: علم في الخلق موجود: وهو علم ما جاء به الرسل جملةً وتفصيلًا ونفيًا وإثباتًا، وهو علم الشريعة، وهي درجة الراسخين في العلم؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (آل عمران: ٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ﴾ (الحشر: ٧). هذا هو العلم الموجود مع متعلقاته من العبر والأمثال والقصص وغيرها، وهو ما في الكتاب والسنة جملةً وتفصيلًا وتفريعًا فيها، وما سواه فهو العلم المفقود من غير نسيان، فطواه الله على غره، فلا سبيل إليه بالظنّ والتخمين. ولقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ٤٣)، وهو علم الشرائع. ولقول النبي ﷺ حين كان الناس يهجمون على رجل، وقالوا: رجل علّامة. قال: «بما ذا؟» قالوا: بالشعر والأنساب. فقال: «علمٌ لا ينفع، وجهلٌ لا يضرّ، إنما العلم آية محكمة أو سنّة قائمة أو فريضة عادلة». (المشكاة)[1]

---

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ في «المشكاة»، ولفظ «المشكاة»: «العلم ثلاثة: آية محكمة، أو سنّة قائمة، أو فريضة عادلة. وما كان سوى ذلك فهو فضل». أخرجه أبو داود في ك: الفرائض، ب: ما جاء في تعليم الفرائض، ح: (٢٨٨٥)]، وابن ماجه في أبواب: السنة، ب: اجتناب الرأي والقياس، ح: (٥٤). نقل ابن الملقن تضعيفه في «تلخيص استدراك الذهبي» (٦/٣٠٦٨)، ح: (١٠٣١). وأخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» =

وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ، فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ.

وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ. فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ، لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ، لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قوله: وعلم في الخلق مفقود: وهوعلمُ سرّ القدر الذي أخفاه الله عن أنامه، ونهاهم عن مرامه. وعلمُ حقيقة الروح مثلًا؛ لقوله تعالى: ﴿[وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى] وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥). وعلمُ وقت القيامة مثلًا؛ لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝﴾ (النازعات: ٤٢ - ٤٤). وعلمُ أصول الغيب؛ لقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: ٥٩). وعلمُ كيفية القدرة على الإيجاد والإعدام، أو حقيقتهما؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ۝﴾ (لقمان: ٣٤).

فمن أنكر شيئًا مما جاء به الرسل كان من الكافرين، ومن ادعى هذه العلوم الغيبية الخاصة بمقام الألوهية، بظنه وبتخمينه، كان من الملحدين والمبتدعين، أعاذنا الله منه! ولا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمُها، ولا من جهلنا انتفاءُ حكمته.

[الإيمان باللوح والقلم]

قوله: ونؤمن باللوح: لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝﴾ (البروج: ٢١ - ٢٢)، ولقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝﴾ (الرعد: ٣٩)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝﴾ (النمل: ٧٥).

قوله: ونؤمن ... والقلم: لقوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝﴾ (القلم: ١)، وهذا القلم أول الأقلام وأفضلها =

= [ب: معرفة أصول العلم وحقيقته، (١/ ٧٥٢)، ح: (١٣٨٥)] بلفظ: عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ دخل المسجد، فرأى جمعًا من الناس على رجل، فقال: «وما هذا؟» قالوا: يا رسول الله، رجل علّامة. قال: «وما العلّامة؟» قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بعربية، وأعلم الناس بشعر، وأعلم الناس بما اختلف فيه العرب. فقال رسول الله ﷺ: «هذا علم لا ينفع، وجهل لا يضر».

قال أبو عمر: في إسناد هذا الحديث رجلان لا يحتج بهما، وهما: سليمان وبقية.

وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.

= وأجلّها. ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٤)، والأقلام عديدة، عدّها العلماء في كتبهم. فراجع «التفسير العزيزي» لهذه الآية.

[العباد لا يستطيعون أن يخطئوا تقديرهم]

قوله: وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه: لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك: ١٤)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: ٦)، وهو كتاب قد سبق خلقَهم. ولقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩)، ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (الأنعام: ٦٠)، ولقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (هود: ٥)، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٩).

فهو عليم بما كان وبما هو كائن إلى الأبد قبل خلقهم وبعد خلقهم، وهو مكتوب عنده في أم الكتاب.(١) وقد ضل في هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وأشباههم ممن أنكر علمَه تعالى بالجزئيات قبل وقوعها؛ فإن ذلك كلَّه مما يدخُل في التكذيب بالقدر،(٢) وتكذيبُه يستلزم التكذيبَ بعلمه المحيط. فهذه الآيات ردّ صريح عليهم، فإنه كان يعلم، وكتب لكل مخلوق قدره الذي يخصّه في كمّيته وكيفيته وفعله وكفّه، وهذا أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المعينة المشخصة لا الكليات المحضة. فتكذيب بالقدر تكذيب بالعلم، وتكذيب بالعلم تكذيب بالخلق، ومن أنكر قدرَه وعلمَه وخلقَه فهو ليس بمؤمن.

(١) كما دلت على ذلك الآياتُ التي ذكرها المؤلف ﷺ.

(٢) لأنه إذا افترض أن الله ليس له علم بالجزئيات قبل وقوعها، فمعناه: أنه ليس الذي قدّرها، مع أن الله هو الذي قدّر تلك الجزئيات قبل وقوعها، فإنكارُ علمه بالجزئيات قبل وقوعها تكذيبٌ بقدره تعالى، والتكذيب بالقدر سبب للتكذيب بإحاطة علمه سبحانه؛ لأنه إذا افترض أن الله لم يقدر تلك الجزئيات، فمعناه: أنه لم يكن يعلم بها وإلا لقدّرها، وعدم علمه تعالى بتلك الجزئيات على سبيل الافتراض يستلزم عدم إحاطة وشمول علمه، وعلى هذا يستلزم التكذيبُ بالقدر التكذيبَ بعلمه المحيط، والتكذيبُ بعلمه المحيط يستلزم التكذيبَ بالخلق؛ لأن الذي يخلق يكون عالـمًا بكل ما يتعلق بمخلوقه، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك: ١٤). فإذا كان الله لم يعلم بالجزئيات قبل وقوعها على سبيل الافتراض لزم الاعتقاد بأنه لم يخلقها؛ لأنه إن كان خلقها لَعَلِمَها، فإذن مَن الذي خلقها؟ أو استغنت تلك الجزئيات عن الخالق؟ فيلزم شركٌ في الخلق أو في القِدَم والأزلية. (أحمد)

وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَدَّرَ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ، وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ، وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا مُحَوِّلٌ، وَلَا زَائِدٌ، وَلَا نَاقِصٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ. وَلَا يَكُونُ مُكَوَّنٌ إِلَّا بِتَكْوِينِهِ، ....

[تقدير الله ﷻ محكم مبرم]

قوله: ليس له ناقض: لقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (فاطر: ٢)، أي ليس له ناقض لحكمه. ولقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ (يونس: ١٠٧)، سواء كان الفضل بالأمر التكويني أو التشريعي، ليس له ناقض ولا مزيل.

قوله: ولا معقب:[1] لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٤١).

قوله: ولا مغير: لقوله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (الأنعام: ٣٤).

قوله: ولا زائد: لقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر: ١). وليس خالق للخلق سواه، فليس زائدٌ في الخلق سواه، ولا آمرٌ للخلق سواه، فلا زائد في الأمر سواه.

قوله: ولا ناقص: لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ (الرعد: ٤١). فهو المنقص من خلقه في الحوادث لا غير؛ لأن المحدث هو وحده لا غير، ولأن النقص أهون من الزيادة، فمن هو قادر على الزيادة قادر على النقص بالأولى، ولا يقدر غيرُه؛ لأنه لا خالق غيرُه.

[التوحيد الصفاتي]

قوله: ولا يكون مكوَّن إلا بتكوينه: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ (الحج: ٧٣). التكوين هو التخليق، فلا يكون شيء مخلوقًا إلا بخلقه، ولا يكون مكوَّنًا إلا بتكوينه، وهكذا جميع الصفات، فلا يكون مرحومًا إلا برحمته، ولا يكون مقدَّسًا إلا بتقديسه، ولا يكون عالـمًا إلا بتعليمه، ولا يكون مملوكًا إلا بتمليكه، ولا يكون مرزوقًا إلا بترزيقه، ولا يضل إلا بإضلاله، ولا يهتدي إلا بهدايته، وغير ذلك من الصفات.

وثمرته بعنوان آخر هو التوحيد الصفاتي، بأن لا مكوِّنَ إلا هو، ولا خالقَ إلا هو، ولا رحمنَ إلا هو، ولا مكوِّرَ إلا هو، ولا رازقَ إلا هو، ولا هاديَ إلا هو، ولا مُضِلَّ إلا هو، ولا مدبِّرَ إلا هو، ولا معلِّمَ إلا هو، ولا حاكمَ إلا هو، وغير ذلك من الصفات، كتوحيده في الذات: بأن لا إله إلا هو، فهذا الاعتقاد هو أصل المعرفة وعقد الإيمان وأساسه. =

---

[1] المعقِّب: هو الذي يُعقِّب الشيءَ ويكر عليه بالإبطال. فالمعنى: أنه لا أحد من يحكم بغير حكم الله، ويبطل حكمه.

وَالتَّكْوِينُ لَا يَكُونُ إِلَّا حَسَنًا جَمِيلًا. وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ (الفرقان: ٢) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ (الأحزاب: ٣٨).

فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، ....

= وأصلُ أصوله تسليمُ القدر والانقيادُ للقدر في باب الذات والصفات؛ لأن رابطة الحادث بالقديم كما هو بذاته القديمة كذا هي بصفاته القديمة أيضًا، وهذا كلّه بإرادته، ومشيئته، وعلمه، وقدرته، ثم الخلقِ، والربوبيةِ، والحفظِ، والوقايةِ، وغيرها، فإنه لو لم يُردْ لم يخلق (منه)،[1] ولكنه أراد فخلق، وإنه لو لم يربِّ لم يربَّ شيءٌ، ولكن ربَّه فصار مربوبًا، ولو لم يحفظْ لم يُحفَظ، ولكن حفظه فصار محفوظًا، وهكذا...

قوله: والتكوين لا يكون إلا حسنا جميلا: لقوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝٨٨﴾ (النمل: ٨٨).

[تضمن القدر لأصول عظيمة]

قوله: وذلك من عقد الإيمان: لأن الإيمان لا يتقوّم إلا بالمعرفة، وأساس المعرفة: الاعتراف بتوحيد الله، والتوحيد لا يتمّ إلا بأمرين، **الأول**: التوحيد بالخلق، بأنه لا خالق إلا الله، ولا مكوِّن إلا الله. ثم التوحيد بالربوبية بأنه لا ربّ إلا الله، ولا نافع ولا ضارّ إلا الله، ولا قيوم إلا الله. **والثاني**: التوحيد في الأمر، بأنه لا شارع إلا الله، ولا حاكم إلا الله، وإن الحكمُ إلا لله، أمر أن لا تعبدوا إلا إياه، وخلقه كله حسن جميل، وأمره كله حسن عدل.

وكل واحد من هذين التوحيدين لا يتمّ إلا بالاعتراف بالتقدير، بأن لا مقدِّرَ إلا الله، ولا يحدث في الخلق ولا ينزل من الأمر إلا بتقدير سابق مبرم، فهو خلق كل شيء فقدره تقديرا، و(هو)[2] أمر بشيء مما أمر، فقدر حياته وأجله تكوينًا، وشرع شرائعه ونسخها أمرًا، و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ (الرعد: ٣٩). ولذا عدّ الشيخ رحمه الله التكوينَ وتوحيدَه والتشريعَ وتوحيدَه من عقدِ الإيمان وأصولِ المعرفة والاعترافِ بالتوحيد في خلقه وأمره، ولذا أتى بالآيتين، آية: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ (الفرقان: ٢) في الخلق، وآية: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ (الأحزاب: ٣٨) في الأمر.

قوله: وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما: لقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن =

---

(١) ما بين القوسين مفقود من (ق)، وموجود في (ج).

(٢) ما بين القوسين مأخوذ من (ق).

لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي مَحْضِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ، كَمَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ. وَهُوَ عَزَّوَجَلَّ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، ....

= ﴿مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ (الأنعام: ١٢٢)، أي كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإيمان، فالقلب السليم هو القلب الحي، إذا عرض عليه الباطل أو القبائح، نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت بالكفر والضلال، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، والمعروف والمنكر، فإنه بضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك، بحسب قوة المرض وضعفه. ومرض القلب نوعان: ١- مرض علمي: وهو مرض الشبهات. ٢- ومرض عملي: وهو مرض الشهوات. وأردؤها مرض الشبهات، وأردأ الشبهات ما كانت من أمر القدر والإيمان.

[العرش والكرسي حق]

قوله: والعرش... حق: لقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ (غافر: ١٥)، ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ (البروج: ١٤ - ١٥)، ولقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ (المؤمنون: ١١٦). فثبت من هذه الآيات الكريمات وجود العرش بصفات مختلفة. وما قال فيه الفلاسفة وردّه في «التتمة».

قوله: والكرسي حق: لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥). والكرسي كالمرقاة للعرش، يصعد به على العرش درجة بعد درجة، كما فسره السلف. رواه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية».[١]

[استغناء الله ﷻ عن خلقه]

قوله: وهو مستغن عن العرش وما دونه: لأنه تعالى ربه ومالكه؛ لقوله تعالى: ﴿[فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ] حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٩). وربّ الشيء لا يكون محتاجًا إليه، بل يكون مستغنيًا عنه كلّ الاستغناء،[٢] لا سيما إذا كان خالقَه أيضًا، وإلا لزم اجتماع الضدين، بأن يكون الربّ غنيًّا عن المربوب ويكون محتاجًا إليه، وهذا باطل. إلا أنه خلقه لإظهار صفة ملوكيته؛ لأن من لوازم الملوكية العرش الملكي، تجري منه الأحكام والتدبيرات. وتفصيله في «التتمة».

(١) راجع «البداية والنهاية» ١/ ٢٥.

(٢) لا بدّ أن يعلم أن هذا الأصل مبني على إرادة المعنى الحقيقي من كلمة «الرب»؛ لأنها ربما تطلق مجازًا على العباد، كما في قولهم: «رب المال» و«رب الدار»، فهناك إمكانية الاحتياج إلى تلك المربوبات. (س)

مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا. وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ.

[إحاطة الله تعالى بخلقه]

قوله: محيط بكل شيء وفوقه: لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ (فصلت: ٥٤) كما مرّ. وأيضًا: العرش كالقبّة على الكائنات،[1] كأنه محيط بجميع ما تحته، والله تعالى محيط بالعرش وبجميع ما فوقه وما تحته. وليس المراد بالإحاطة أنه كالفلك وأن المخلوقات داخلة فيه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وإنما المراد بالإحاطة إحاطةُ عظمة وسعة علمِه، وقدرته، وحفظه، وتصرفه، وتدبيره؛ فإن العوالم بقضّها وقضيضها تحت صفاته العليا مَظهرًا لكمالاته،[2] وهي كلّها بالنسبة إلى عظمته لا تساوي حبّة خردل بالنسبة إلى جميع الكوائن.

قوله: وقد عجز عن الإحاطة خلقه: لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠). ومن لا يحيط به علمًا لا يحيط به قدرةً ولا فعلًا ولا تصرفًا. وأيضًا إن المحاط لا يمكن أن يحيط بمحيطه؛ وإلا لزم اجتماع الضدّين.

[الإيمان بالأنبياء مع خصائصهم الثابتة]

قوله: ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلا: لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥). قاله الشيخ ردًّا على المعتزلة والفلاسفة الذين زعموا أن المحبّة والخلّة - وهي كمال المحبة - لا تكون إلا لمناسبة بين المحبّ والمحبوب، ولا مناسبة بين القديم والحادث توجب المحبة. وهذا زعم فاسد وخيال باطل، يكذبه الحسّ والعقل. والتفصيل في «التتمة».

قوله: وكلم موسى تكليما: لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤). وسيجيء تفصيله في مسألة كون القرآن كلام الله.

[الإيمان بالملائكة والنبيين إجمالا]

قوله: ونؤمن بالملائكة والنبيين: لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ =

---

(١) أخرج أبو داود [في ك: السنة، ب: في الجهمية، ح: (٤٧٢٦)] عن جبير بن مطعم ﷺ مرفوعًا: «ويحك! أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته لهكذا»، وقال بأصابعه مثل القبّة عليه، «وإنه ليئطّ به أطيط الرحل بالراكب». راجع «البداية والنهاية» ١/ ٣.

(٢) لا يفهم منه أن الله تعالى غير محيط بذاته الكونَ كلَّه، بل بصفة الحفظ والعلم، كما هو رأي طائفة، بل إنه تعالى محيط بكل شيءٍ ظاهرِه وباطنِه. (س)

وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ غَيْرَ مُكَذِّبِينَ.

= وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، ولقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (البقرة: ١٧٧). ومن أنكرها فهو على حكم القرآن كافر ضالّ بعيد عن الحق والإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦). وأيضًا ومَن فرّق بين الله ورسوله، وآمن ببعض وكفر ببعض، فهو أيضًا كافر خارج عن الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ (النساء: ١٥٠ - ١٥١).

فأركان الإيمان سبع: ١- الإيمان بالله ٢- وبالملائكة ٣- وبالنبيين ٤- وبالكتب المنزلة ٥- وباليوم الآخر ٦- وبالقدر ٧- والجنة والنار. بعض منها في هذه العبارة من المتن، وبعض قد سبق بيانه. والفلاسفة ينكرون كلها تقريبًا، أو يحرّفون معانيها، فلا يؤمنون. وتفصيلها في كتب الفن.

[أهل القبلة مسلمون]

قوله: ونسمي أهل قبلتنا مسلمين: لقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ (الحج: ٧٨)، ولقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (البقرة: ١٢٨)، فتسمية هذه الأمة بأمةٍ مسلمةٍ كان قبل وجودها في السابق وبعد وجودها، فهو أيضًا مصرح في القرآن بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، ولقوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦).

وأوضحه كلّ الوضاحة نبيُّنا ﷺ بقوله الصادق المصدوق: «من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمّة الله وذمّة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمّته».[1] (المشكاة، كتاب الإيمان).[2]

---

(١) أخرجه البخاري في ك: الصلاة، ب: فضل استقبال القبلة، ح: (٣٩١).

(٢) وليعلم أن الاحتجاجَ بهذا الخبر على عدم مروق القاديانية من ملة الإسلام، بحجة «أنهم يصلون صلاتنا ويستقبلون قبلتنا ويأكلون ذبيحتنا»، غيرُ مستقيم، بل فاسد كاسد؛ لأنه مقيد بما ذكره المؤلف من قوله: «ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفينَ، وله بكل ما قال وأخبر مصدقينَ غير مكذبينَ»، وقد سبق فيما قبل أن المؤوّل في ضروريات الدين يكفر. (س)

وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ.

وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، ....

[منع الخوض في ذات الله]

قوله: ولا نخوض في الله: لأن الخوض في ذات الله وفي آيات الله - وهو الجدل والمراء وإظهار الآراء بغير علم - لا يجوز؛ لقوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ (الرعد: ١٣)، ولقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ (غافر: ٣٤ - ٣٥). فلا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه تعالى وتقدس، ولذلك ترى أن أسرع الناس ردّةً أهل الأهواء الذين يخوضون ويلعبون في ذات الله بأوهامهم وخيالاتهم الفاسدة وأباطيلهم المبعِدة عن ذوق الذين.

[التجنب عن المراء في الدين]

قوله: ولا نماري في دين الله: أي لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم التماسًا لامترائهم وميلهم؛ لأنه في معنى التحاكم إلى الطاغوت، وإننا أُمرنا أن نكفر بالطاغوت؛ لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ (النساء: ٦٠). وأيضًا هو تلبيس الحق بالباطل المنهي عنه؛ لقوله تعالى في أهل الكتاب: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٤٢). وجدالٌ خادعٌ؛ لقوله تعالى في المشركين: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الزخرف: ٥٨ - ٥٩).

[المجانبة عن الجدال في القرآن، والاعتقاد بأنه كلام الله، نزل به جبرئيل، وأبلغه رسولَ رب العالمين]

قوله: ولا نجادل في القرآن: أي لا نقول في القرآن ما قال أهل الزيغ، لا في معانيه ولا في لفظه وقراءته، فإن أهل الزيغ جعلوه مشغلةً لأهوائهم وأفكارهم المخترعة، يحرّفون الكلم عن مواضعه؛ ليقع الاختلاف في أهل الحق وتنتشر كلمتهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ (الكهف: ٥٦). ولا ينفعهم النصح، بل آخر أمرهم السيف.

وأيضًا لا نجادل في ألفاظه وفي قراءاته بضرب قراءة على قراءة، وإثبات التخالف والتعارض في القراءات، كما قال ابن مسعود ﷺ: سمعت رجلًا قرأ، وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي ﷺ، فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: «كلاكما محُسن، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا».[1] ولما لم يجز لنا أن نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فكيف نجادل أهل القبلة، فضلًا أن يكون الجدال في القرآن، =

---

[1] أخرجه البخاري في ك: أحاديث الأنبياء. ب: عقب باب حديث الغار. ح: (٣٤٧٦)، و(٢٤١٠)، و (٥٠٦٢).

فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَكَلَامُ اللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ. وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

= فلا يجوز لنا أن نناظر أهل القبلة في القرآن ممن لم يظلم منهم إلا بالتي هي أحسن. وليس لنا أن نقول إذا أخطأ أحد: «إنه كافر»، قبل أن تقام عليه الحجة التي حكم بها النبي ﷺ بكفر من تركها، والله تعالى رفع عن هذه الأمةِ الخطأ والنسيان.

قوله: فعلمه سيد المرسلين: تصريح بتعليم جبرئيل إياه ﷺ، فهو إبطال لما قاله القرامطة وغيرهم من الزائغين: «إنه وقع القرآن في قلبه ﷺ بطريق التصور والتخيل، وتصوره في نفسه إلهامًا». وهذا إنكار الوحي، وهو كفر، أعاذنا الله منه.

[كلام الله لا يساويه كلام المخلوق]

قوله: وكلام الله لا يساويه شيء من كلام المخلوقين: لقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨)، ثم تنزّل وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (هود: ١٣)، ثم تنزّل وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣)، ثم تنزّل عنه أيضًا، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ (الطور: ٣٣ - ٣٤).

وخلاصته: أن غير المعجزة لا يساوي المعجزة، فلا يساويه شيء من كلام المخلوقين. هذا في القرآن خاصةً، وأما الكلام المطلق فأيضًا كلام الله بأيِّ شأن ينزل، لا يساويه كلام المخلوقين؛ لأن الكلام ترجمان العلم، وعلمه - سبحانه - محيط ذاتيّ، وعلم المخلوق محاط، لا يمكن أن يخرج من حدود علم الله، فهو محدود، ومع ذلك عطاء من الله ومن تخليقه، فكلام المخلوق أيضًا مخلوق منه، محدود في الحدود، فكيف يساوي المحيطَ الغيرَ المخلوق ما هو محاط به، مخلوق منه، وإلا لزم اجتماع الضدّين.

قوله: ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين: قد مرّ الكلام عليه تفصيلًا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.[1] أشار المصنف بقوله: «لا نخالف جماعة المسلمين» إلى أن من قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين، فإن السلفَ كُلَّهم متفقون على أن كلام الله غير مخلوق. وفي زمن المأمون قد ابتلي أهل الحق وأئمة العلم والدين بمصائب كثيرة وآفات شديدة بإنكار خلق القرآن، وتحملوا الشدائد والمتاعب ما لا يتصور، ولكن استقاموا وتصلبوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.[2]

---

(١) مر الكلام على ذلك تحت شرح قول الماتن: «وإن القرآن كلام الله تعالى، منه بدا بلا كيفيّةٍ قولًا... ليس بمخلوق ككلام البريّة».

(٢) راجع «البداية والنهاية» ١٤/ ٣٩٣ - ٤٠٥.

وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ. وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِسْلَامِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ. وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ)،[١] ....

[لا نكفّر أهل القبلة بذنب]

قوله: ولا نكفّر أحدا من أهل القبلة بذنب: لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ (البقرة: ١٧٨). فلم يُخرج القاتلَ عن الذين آمنوا، مع أنه ارتكب القتل بغير الحق، وجعله [الله] أخًا لولي القصاص، والمراد أخوّة الدين بلا ريب. فثبت أن بعد القتل - وهو [من] أكبر الكبائر - يبقى الإنسان مؤمنًا وأخًا لأهل الإيمان بالأخوّة الدينية الإسلامية.

وأيضًا لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ (الحجرات: ٩ - ١٠). فنذكر التقرير السابق هنا أيضًا، فإن الله تعالى لم يُكفِّر القاتل بفعل القتل، بل عدّه من المؤمنين ومن إخوان المؤمنين بالأخوّة الدينية. وهو ردّ على الخوارج الذين يُكفِّرون بكل ذنب، وهم يخالفون القرآن.

قوله: ما لم يستحلّه: لأن الاستحلال إنكار الشريعة، وهو فساد العقيدة، وهذا كفر، والذنب عمل محض مع صحة الاعتقاد، فهو فسقٌ لا كفرٌ.

[البراءة من الإرجاء البدعيّ]

قوله: ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله: ردّ على المرجئة؛ فإنهم يقولون: لا يضرّ مع الإيمان ذنب، كما لا يضرّ مع الكفر طاعة. فهؤلاء في طرف، والخوارج في طرف؛ فإنهم يقولون: لا يبقى بعد الذنب إيمان أصلًا. فيُكفِّرون المسلم بكل ذنب. والحق أن الذنب يضر المؤمن مع بقاء الإيمان فيه؛ فإن النصوص المتواترة قد دلّت على أنه يخرج من النار مَن كان في قلبه مثقال ذرّةٍ من الإيمان. وأيّ ضرر أشدّ من دخول النار؟ ومع هذا يبقى مؤمنًا في النار أيضًا، ويضرّ المؤمنَ ذنبُه أيضًا بدخول النار. وآيات الشفاعة دالّة على أن الذنوب تضرهم مع أنهم يكونون مؤمنين؛ لأن الشفاعة ليست للكفار. وأيضًا تنفع طاعة مع الكفر أيضًا، كمثل أبي طالب يدخل النار خلودًا بكفره وعدم إيمانه، ولكن يكون عذابه أخفّ من جميع أهل النار؛ لحماية النبي ﷺ ونصرته له كلّ عمره.

[رجاء العفو لعصاة المؤمنين، وعدم التجرّؤ على الشهادة لأحد بالجنة أو النار]

قوله: ونرجو للمحسنين أن يعفو عنهم: لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ (الشورى: ٣٠)، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ (الحج: ٦٠). والعفو والمغفرة لأهل الذنب من المؤمنين =

(١) ما بين القوسين مأخوذ من نسخ الكتاب. (أحمد)

وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، ....

= والمحسنين، لا لأهل الشرك والكفر والنفاق؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨)، ولقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٨).

قوله: ولا نأمن عليهم: لعدم علمنا بأحوال باطنٍ؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٩). والمكر: هو التدبير الخفي لا نعلمه، فكيف نأمنه إلى أن تقبل منهم حسناتهم وإحسانهم؟ ولقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨) كما سبق، علّق مغفرتهم بالمشيئة، ولا علم لنا بمشيئته، فكيف لنا أن نأمن ونطمئن إلى أن نعلم بمغفرتهم؟ بل لا نأمن على التائب الذي تاب إلى الله وندم بالإخلاص بعد الذنب؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٢). ولا نعلم قبول توبته، فكيف نأمن عليه في دار الدنيا؟ إلا أن نحسن الظنّ بالله وبإخلاص التائبين إلى الله ونرجو رحمته.

قوله: ولا نشهد لهم بالجنة: أي لشخص معين بالجزم والقطع بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار؛ لعدم علمنا به؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦). ولقول النبي ﷺ في قول عائشة رضي الله عنها في صبي من الأنصار: طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة: «أوغير ذلك يا عائشة».[1] «الله أعلم بما كانوا عاملين».[2]

أي ليس لنا أن نحكم على شخص معين بالجنة بالقطع، وكذا الحكم بالنار، وكذا الحكم بعدم المغفرة لشخص معين؛ لحديث النبي ﷺ في رجلَين من بني إسرائيل متواخيَين متآخيَين: «فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصِرْ. فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصِرْ. فقال: خلّني وربِّي، أبُعثتَ عليّ رقيبًا؟ فقال: والله، لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنّة. فقُبض أرواحهما، فاجتمعا عند ربّ العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنتَ بي عالـمًا، أو كنتَ على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنّة =

(١) هو جزء من حديث أخرجه مسلم [في ك: القدر، ب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح: (٦٧٦٨)] عن عائشة رضي الله عنها قالت: دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبيّ من الأنصار، فقلتُ: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنّة، لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «أوغير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنّة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم».

(٢) هو جزء من حديث آخر، أخرجه البخاري [في ك: الجنائز، ب: ما قيل في أولاد المشركين، ح: (١٣٨٤)، (٦٥٩٨)] عن أبي هريرة رضي الله عنه: سُئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». ومسلم في ك: القدر، ب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح: (٦٧٦٢)، (٦٧٦٤).

وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ.

وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنِ الْمِلَّةِ، ....

= برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».[1] (المشكاة)

فلا يجوز لنا أن نحكم على شخص معيّن بالنجاة أو الهلاك، أو بالجنة أو النار؛ لأن الشخص المعيّن المسيء يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له، فكيف نحكم عليه بعدم المغفرة مع هذا الاحتمال؟ ولأن لسقوط عذاب النار عن العبد عشرة أسباب بالاستقراء: ١- التوبة ٢- والاستغفار ٣- والحسنات ٤- والمصائب الدنيوية ٥- وأهوال القبر ٦- وأهوال الحشر ٧- ودعاء المؤمنين لإخوانهم [٨- وإهداء ثواب القربات إليهم] ٩- وشفاعة الشافعين ١٠- وعفو أرحم الراحمين.[2] وليس في علم أحد منا وقوعها أو قبولها؛ فامتنع القطع لأحد معيّن من الأمّة بنجاته أو هلاكه.

قوله: ونستغفر لمسيئهم: كما علّمنا الله الاستغفارَ للأموات بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

قوله: ونخاف عليهم: لاحتمال عدم المغفرة أو عدم قبول التوبة؛ فإنه أمر مبطن لا نعلمه، فليس لنا إلا أن نرجو رحمته، ونخشى عذابه، ولا نحكمَ بالقطع.

قوله: ولا نقنطهم: لقوله تعالى: ﴿[قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ] لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

[اليأس والقنوط ليسا من الإيمان]

قوله: والأمن والإياس سبيلان عن غير ملة الإسلام: أي الأمن من مكر الله والرجاء المحض ليس من الملة إذا لم يكن معه الخوف، كما أن الخوف المحض واليأس ليس من الملة إذا لم يكن معه الرجاء. فالإيمان بين الخوف والرجاء، فالرجاء المطلوب يستلزم الخوف، ولولا ذلك كان آمنًا، والخوف المطلوب يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا. فنفي الأمن هو نفي الرجاء المطلق؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٩). =

(١) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة مرفوعا، في ك: الأدب، ب: في النهي عن البغي، ح: (٤٩٠١). قال المناوي في «كشف المناهج» (٢/ ٢٩٣): في سنده علي بن ثابت الجزري، قال الأزدي: ضعيف، ووثّقه ابن معين وأبو زرعة. والحديث حسن لغيره. انظر «سنن أبي داود» (٧/ ٢٦٢، ط: الرسالة).

(٢) اتفقتْ نسخ الكتاب على حذف السبب الثامن للمغفرة، فزدتُ الثامن من «شرح الطحاوية» لابن أبي العزّ.

وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ. وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ. وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.

= ونفي الإياس هو نفي الخوف المطلق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧). فالمؤمن: مَن يجمع بينهما، لا مَن يكون آمنًا محضًا ولا آيسًا محضًا، فالله – سبحانه – جمع بينهما للمؤمن في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ (الإسراء: ٥٧)، وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (السجدة: ١٦). وقد مدح الله الجامعِينَ بين الخوف والرجاء في قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ (الزمر: ٩).

وحقيقة المقام أن الله تعالى كما هو ذو الجلال، كذا هو ذو الإكرام أيضًا؛ لقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨)، ولقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ (الحجر: ٤٩ – ٥٠). فمقتضى الرحمة: الرجاء، ومقتضى العذاب: الخوف. ولما كان الإيمان واجبًا قطعيًّا بهاتين الصفتين فثمرته أن يكون الإيمان لا محالة بين الخوف والرجاء، لا خوفًا محضًا ولا رجاءً محضًا.

[لا يُكفَّر العبدُ إلا بالجحود]

قوله: ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه: إشارة إلى ردّ ما زعم الخوارج والمعتزلة في قولهم بخروج العبد من الإيمان بارتكاب الكبيرة، فالأولون يُدخلونه في الكفر بعد ما أخرجوه من الإيمان، والآخرون يُخرجونه عن الإيمان، ولا يحكمون بدخوله في الكفر، بل يدّعون منزلةً بين المنزلتين، وأهل الحق لا يسلّمون هذه المنزلة بينهما؛ فإن القلب إما أن يكون مستيقنًا أو جاحدًا؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ﴾ (التغابن: ٢)، لا فاصل بينهما.

فالمؤمن هو المستيقن؛ لأن الله تعالى وصف أئمة الهداية، وهم من كاملِي الإيمان: ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤). والكافر هو الجاحد؛ لأن الله تعالى وصف الجاحدين بالكفر بقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٧). والشاكّ ومبطن الكفر – مع إظهار الإيمان – من الكافرين؛ لأن الريبَ والشكَّ وإبطانَ الكفر مع إظهار الإيمان – أي النفاق – كلّها من الكفر؛ لكونها ضدّ اليقين، ليس بين الكفر والإيمان منزلةٌ بفحوى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ﴾ (التغابن: ٢). فمذهب أهل السنة أنهم لا يُكفّرون أحدًا من أهل القبلة بذنب عمِلَه إذا لم يستحلّه ولم يجحده، وقد مرّ تفصيله.[1]

[حقيقة الإيمان]

قوله: والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان: لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ =

(١) مرّ الكلام عليه تحت شرح قول الطحاوي: «ولا نكفّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه».

وَإِنَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ، وَجَمِيعَ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ: كُلُّهُ حَقٌّ.

= ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ الآية (البقرة: ١٣٦). وأيضًا الإقرار شهادة، والشهادة من مباني الإسلام؛ لحديث ابن عمر عن النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» إلخ.[١] (المشكاة، كتاب الإيمان). فالإقرار باللسان أيضًا من الإيمان في الجملة، وهو مأمور به لإظهار الإيمان لا لحدوثه في القلب، فمحلُّ الإيمانِ القلبُ لا اللسانُ، فاللسان ترجمانُ الإيمان في دار الدنيا، لا محلُّ أصل الإيمان، وتفصيله في «التتمة».

[كُلُّ ما جاء في القرآن والحديث الصحيح: حقٌّ]

قوله: وإن جميع ما أنزل الله ... حق: هذا ظاهر؛ لأن القرآن وحي قطعي من الله، فهو حق قطعي، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢). فلا ريب فيه؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢). فلا يجوز إنكاره؛ لقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٥٠).

قوله: وجميع ما صحّ ... حق: لأنه وحي من الله وإن كان غير متلوّ، فما صحّ عن رسول الله ﷺ نوعان: ١- شرع ابتدائي ٢- وبيان لما شرعه الله في كتابه العزيز. وجميع ذلك حق وواجب الاتباع. فالشيخ أشار إلى حجّيّة الحديث، وردَّ على من أنكر حجيته، مثل الجهمية والمعطّلة والمعتزلة والرافضة وشرذمة قليلة من شاطري هذا الزمان، فسدّ هؤلاء الظلمة على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ﷺ، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدّمات خيالية، سمّوها قواطع عقلية وبراهين يقينية، إزاءَ كلامِ الرسول وبيانِ القرآن، وهي حقيقةً: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (النور: ٣٩).

ومن العجب أنهم قدّموا هذه المقدّمات التي سمّوها في زعمهم يقينيّاتٍ، على نصوص الوحي، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيّدة بالفطرة السليمة أيضًا، كما هو مبرهَن في موضعه، فما فازوا بالعقل ولا بالنقل، ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١).

فطريق أهل السنة أن لا يعدلوا عن النصّ الصحيح عن النبي ﷺ، ولا يعارضوه بالعقل والوهم والخيال؛ لأن النصّ عن النبي ﷺ حجة شرعيّة للأحكام وبيان شرعي للقرآن؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ =

---

(١) وتمامه: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». أخرجه البخاري في ك: الإيمان، ب: دعاؤكم إيمانكم، ح: (٨). ومسلم في ك: الإيمان، ب: أركان الإسلام ودعائمه العظام، ح: (١١١).

وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ وَالتَّقْوَى وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَى. وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.

= مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (الحشر: ٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: ٢)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

وأحكام الحديث من الشرع الابتدائي كثير؛ لما قال النبي ﷺ: «ألا إني أوتيتُ القرآن، ومثله معه».[1] لا يسعها هذا المقام.

[الإيمان لا يزيد ولا ينقص]

قوله: والإيمان واحد: الإيمان واحد في جميع المؤمنين، وهم سواء من حيث كونهم مؤمنين، إلا أن المؤمنين متعدّدون، وهم متفاوتون فيه بحسب تفاوت درجات الإيمان، ودرجات الإيمان بالتقوى ومخالفةِ الهوى وملازمةِ الأولى من غير الأَولى؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ (فاطر: ٣٢)، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر: ٩)، ولقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

وهذا كما أن الإيمان واحد، والمؤمَن به متعدّد، وكما أن الوجود واحد، والموجودات متكثرة، وكما أن نور الشمس واحد، والمنوَّرات كثيرة، كذا الإيمان واحد، والمؤمنون متعددون ومتفاضلون بينهم بالمعيار المذكور في المتن والمبرهَن في الحاشية.

[ليس الفضل إلا بالإيمان]

قوله: والمؤمنون كلّهم أولياء الرحمن: لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ =

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود [في ك: السنة، ب: في لزوم السنّة، ح: (٤٦٠٤)] عن المقدام بن معديكرب ﷺ مرفوعًا، وتمامه: «ألا، إني أوتيت الكتاب ومثله معه. ألا، يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه. ألا، لا يحلّ لكم لحمُ الحمار الأهليّ، ولا كُلُّ ذي ناب من السبع، ولا لقطةُ مُعاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يُعقِبهم بمثل قراه». قال الشوكاني: هو حديث صحيح. انظر «نيل الأوطار» ٨/ ١٢٥.

وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ....

= أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ (البقرة: ٢٥٧)، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۞﴾ (المائدة: ٥٥ - ٥٦). ثبت أيضًا منه موالاة المؤمنين بعضِهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليّهم ومولاهم، فالله يتولّى عباده المؤمنين، فيحبّهم ويحبّونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى وليًّا له فقد بارزه بالمحاربة. فالولاية التي ثبتت من قوله: «أولياء الرحمن» أيضًا نظير الإيمان كمالًا ونقصانًا، فمراد الشيخ أن أهل الولاية في أصلها سواء مثل أهل الإيمان، فتكون كاملة وناقصة مثل الإيمان، فالكاملة تكون للمتقين، والناقصة لجميع عوامّ المؤمنين.

فكما أن لها درجاتٍ، كذا للمؤمنين درجاتٌ ومراتبُ بمعيار الورعِ والتقوى، فالمؤمنون الذين هم أطوعُهم لله وأتبعُهم للقرآن، هم أكرمُهم على الله في الدنيا والآخرة؛ لولايتهم الكاملة؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ (يونس: ٦٢ - ٦٤)، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣). وفي السنن عن النبي ﷺ: «لا فضلَ لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى».[١] «الناس بنو آدم، وآدم من تراب».[٢]

وعوامّ المؤمنين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فهم ناقصون بحسب الولاية والإيمان، وبعضهم الذين يلبسون إيمانهم بظلمٍ وشركٍ وكفرٍ، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۞﴾ (يوسف: ١٠٦). لأن الطاعات كلّها من شعب الإيمان، والمعاصي كلّها من شعب الكفر، إلا أن رأسَ شعب الكفر الجحودُ، ورأس شعب الإيمان التصديق، فيمكن أن لا يكون الإنسان كافرًا، ولكن يعمل عمل الكفر، وكذلك يكون الإنسان كافرًا، ويعمل بعض أعمال الإيمان، فاسم الكافر يطلق عليه بعد الجحود، واسم المؤمن يطلق عليه بعد التصديق والانقياد.

[الإيمان المفصّل أو أركان الإيمان]

قوله: والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته ...: لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

---

(١) أخرجه أحمد، ح: (٢٣٤٨٩)، والطبراني في «الأوسط»، ح: (٤٧٤٩). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٦٠، ح: (١٣٠٧٩): رواه الطبراني في «الأوسط» والبزار بنحوه إلا أنه قال: «إن أباكم واحد، وإن دينكم واحد، أبوكم آدم، وآدم خُلق من تراب». ورجال البزار رجال الصحيح.

(٢) هو جزء من حديث أخرجه الترمذي في أبواب المناقب، ب: فضل الشام واليمن، ح: (٣٩٥٦)، وقال: هذا حديث حسن.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى. وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاؤُوا بِهِ.

وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ ....

قوله: واليوم الآخر: لقوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٤).

قوله: والبعث بعد الموت: قد مرّ تفصيله ومأخذه فيما سبق.[1]

قوله: والقدر خيره وشره ... من الله تعالى: لقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥١)، ولقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٧٨).

[الإقرار بالإيمان بكل ما ذكر]

قوله: ونحن مؤمنون بذلك كله: لقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦). وحاصله أن لا نفرّق بين أحد من رسله في الإيمان بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمنُ بهم كلِّهم، ونصدِّقهم كلَّهم على السوية، فإن مَن يؤمن ببعض، ويكفر ببعض، ويريد أن يتّخذ ذلك سبيلًا، فهو كافر حقًّا؛ لأن كل الأنبياء عليهم السلام جاؤوا بتصديق بعضهم بعضًا، فإن كفر أحدٌ ببعضٍ كفر بجميعهم، وإن كان يظن أنه مؤمن، وهو من الأخسرين أعمالًا، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٤ - ١٠٥).

[أهل الكبائر من المؤمنين لا يخلدون في النار]

قوله: وأهل الكبائر ... : الكبيرة: ما يترتّب عليه حدّ أو يوعد عليه بالنار أو اللعنة أو الغضب، وهي كالقتل والزنى والسحر وقذف المحصَنات الغافلات المؤمنات ونحو ذلك، كالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشهادة الزور وأمثال ذلك. فالوعيد الخاصّ عليها في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، مثل القصاص والجلد والقطع وغيرها. والصغيرة: ما ليس عليه حدّ أو وعيد إلا التأديب المفوّض إلى الإمام؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١). وبديهيّ أن مَن أوعد بغضب الله ولعنته وناره بارتكاب الكبائر، لا يستحقّ هذا الوعد الكريم، فثبت أن الكبيرة لا تكفّر. وقيل: كل معصية أصرّ عليها العبد فهي كبيرة، وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة.

---

(١) مر الكلام عليه تحت شرح قول الطحاوي: «باعث بلا مشقّة».

مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يَخْلُدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ.

وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ١١٦)، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِقَدَرِ جِنَايَتِهِمْ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ.

قوله: من أمة محمد ﷺ: يفهم من هذا التخصيص أن أهل الكبائر من أمة غير محمد ﷺ قبل نسخ تلك الشرائع، حكمهم مخالف لهذا الحكم، أي بأنهم يخلدون في النار بالكبائر. وفيه نظر؛ فإن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار مَن كان في قلبه مثقال ذرّة من الإيمان».[1] ولم يخصَّ أمّته بذلك، بل ذكرَ الإيمان مطلقًا بلا تخصيص أمة دون أمة.

قوله: في النار لا يخلدون: لقوله تعالى كما في المتن: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ١١٦). هذا ردٌّ على الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، لكن الخوارج يقولون بتكفيرهم، والمعتزلة بخروجهم من الإيمان، لا بدخولهم في الكفر، بل عندهم منزلة بين المنزلتين، كما تقدم.[2]

قوله: وإن لم يكونوا تائبين: لأنهم إذا كانوا تائبين فلا خلاف أن التوبة تمحو الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠)، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٧)، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)، ولقوله ﷺ: «التائب من الذنب كمَن لا ذنبَ له».[3]

قوله: بعد أن لقوا الله عَزَّوَجَلَّ عارفين: أي مؤمنين؛ لأن المعرفة المحضة وإن كانت كاملةً لا تكفي للنجاة بغير الإيمان؛ فإن إبليس كان عارفًا بربه وبربوبيته حيث قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الحجر: ٣٦)، وبعزّته وجلاله وبحفاظته لعباده المخلصين حيث قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢ – ٨٣)، =

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا، أبواب صفة جهنم، ب: عقب «باب أن للنار نفسين»، ح: (٢٥٩٨). قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) تقدم الكلام عليه تحت شرح قول الطحاوي: «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه».

(٣) أخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعًا، في ك: الزهد، ب: ذكر التوبة، ح: (٤٢٥٠). وحسّنَ الحافظ إسناده في «الفتح» (١٣/ ٤٧١).

ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ. اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، مَسِّكْنَا بِالْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ. وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، ....

= ولكن لم يؤمن فلم ينجُ، وكذلك فرعون.

[الله ولي الذين آمنوا]

قوله: ذلك بأن الله ﷻ مولى لأهل معرفته: لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: ١١).

قوله: اللهم يا وليّ الإسلام وأهله ... : هذا من دعاء النبي ﷺ،[١] ختم الكلام على هذا الدعاء بمناسبة المقام، وهي ظاهرة.

قوله: حتى نلقاك به: أي توفّنا مسلمين، كما في دعاء يوسف الصديق ﵇: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١)، وكما في دعاء سَحَرة فرعون الذين آمنوا بموسى ﵇: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦). ومن استدل بهاتين الآيتين على جواز التمني فلا دليل له فيه؛ فإن هذا الدعاء إنما هو للموت على الإسلام، لا بمطلق الموت.

[الصلاة خلف كل برّ وفاجر من أهل القبلة]

قوله: ونرى الصلاة خلف كل برّ وفاجر: لقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٣)، إن أريد بالركوع الصلاةُ فلا تخصيص فيه لبَرّ أو فاجر. ولقوله ﵇: «صلّوا خلف كلّ برّ وفاجر».[٢] ولأن الصحابة ﷺ صلّوا خلف الأئمة الفجّار، وما كانوا يعيدون صلاتهم، كما في «[صحيح] البخاري»:[٣] أن عبدَ الله بن عمر ﷺ صلى خلف الحجاج، =

(١) أخرج البيهقي في «الدعوات الكبير»، ح: (٢٥٤) عن أنس بن مالك: كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «يا وليّ الإسلام وأهله، مسّكني به حتى ألقاك». والطبراني في «الأوسط»، ح: (٨٢٤٤). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨٠)، ح: (١٧٣٨٤): رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة مرفوعًا، ح: (١٧٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى»، ح: (٦٨٣٢). قال ابن الملقن في «البدر المنير» ٤/ ٤٥٦: هذا الحديث له طرق ضعيفة، أمْثَلُها رواية مكحول عن أبي هريرة ﷺ... ورواه الدارقطنيّ من هذا الوجه مختصرًا، ثم قال [الدارقطني]: (مكحول) لم يسمع من أبي هريرة، ومَن دُونَه ثقات. وكذا قال البيهقيّ في «المعرفة»: إسناده صحيح، إلا أن (فيه) إرسالًا بين مكحول وأبي هريرة.

(٣) لعل الشارح ﷺ أراد به الرواية التي أخرجها البخاري [في ك: الأذان، ب: إذا لم يتمّ الإمام وأتمّ من خلفه، =

وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ. وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُم إِلَى اللهِ تَعَالَى.

وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

= وكان فاسقًا ظالـمًا. وأيضًا صلى أنس بن مالك ﷺ خلفه، وصلى عبد الله بن مسعود ﷺ وغيره خلف الوليد بن عقبة ابن أبي معيط. ولقوله ﷺ في «[صحيح] البخاري»:[1] «يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم».

قوله: وعلى من مات منهم: لقوله تعالى في المنافقين وهم الكافرون: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨٤). علّل النهي عن الصلاة بكفرهم، والنهي عن الشيء يقتضي الإذن بضدّه، فثبت أن الصلاة على المؤمنين مأمور بها، سواء كانوا متقينَ أو فاجرينَ.

[لا يقطع لأحد معيّن من أهل القبلة بجنّة ولا نار إلا بنصّ]

قوله: ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا: أي شخصًا معيّنًا، كما سبق، إلا من شهد له نبينا ﷺ، كما في العشرة المبشرة أو من غيرهم، وفي المسألة أقوال لا يسعها المقام.

[لا نشهد على أحد من أهل القبلة بالكفر ما لم يظهر منه ذلك]

قوله: ولا نشهد عليهم بكفر... ما لم يظهر منهم شيء من ذلك: لأنا قد أُمرنا بالحكم على الظاهر، وهذا الأمر مبطن لا نعلمه، فكيف نحكم به؟ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦). وليس لنا أن نحكم بالظنّ؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢)، ولا بالتحقير؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ (الحجرات: ١١).

[عدم جواز القتال للمؤمنين فيما بينهم إلا من وجب عليه السيف]

قوله: ولا نرى السيف على أحد... إلا من وجب عليه السيف: لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا =

= ح: (٦٩٤)] عن سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ: «أن الحجّاج بن يوسف عامَ نزلَ بابن الزبير ﷺ سأل عبدَ الله ﷺ: كيف تصنع في الموقف يوم عرفة؟ فقال سالم: إن كنت تريد السنّة فهجّر بالصلاة يوم عرفة. فقال عبد الله بن عمر: صدقَ، إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر في السنّة. فقلتُ لسالم: أفعلَ ذلك رسول الله ﷺ؟ فقال سالم: وهل تتّبعون في ذلك إلا سنّته».

إذ ليس فيه ولا في غيره من الأحاديث بيان تخلّف ابن عمر ﷺ عن الصلاة خلف الحجاج في تلك السنة.

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة مرفوعًا، في ك: الأذان، ب: إذا لم يتمّ الإمام وأتمّ مَن خلفه، ح: (٦٩٤).

وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا

= خَطَـًٔا﴾ (النساء: ٩٢)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣). الخلود هنا هو المكث الطويل. وإن كان [اللفظ] على حقيقته فالمعنى: القتل استحلالًا. وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «لا يحلّ دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيّبُ الزاني، والنفسُ بالنفس، والتاركُ لدينه المفارقُ للجماعة».(١)

[حرمة الخروج على ولاة الأمر]

قوله: ولا نرى الخروج على أئمتنا: لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩). تأملْ، كيف قال - جلّ ذكره -: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، ولم يقل: «وأطيعوا أولي الأمر»؛ لأن أولي الأمر لا يُفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة الله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول؛ لأنه لا يأمر بغير طاعة الله؛ فإنه معصوم، وأما وليّ الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة الله ورسوله، ولذا قال النبي ﷺ: «على المرء المسلم السمعُ والطاعةُ فيما أحبَّ وكرِهَ، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».(٢)

قوله: وإن جاروا: لأنه يترتّب على الخروج عن طاعتهم من المفاسدِ والفتنِ أضعاف ما يحصل من جورهم، والفتنة أشدّ من القتل، بل في الصبر على جورهم تكفيرُ السيئات ومضاعفةُ الأجور. ولأن الله تعالى ما سلّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، فالجزاء من جنس العمل؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٩).

قوله: ولا ندعو على أحد منهم: لأنه خروج في الباطن، ولا نرى الخروج على أئمتنا ما لم يأمروا بمعصية، وفي بعض الروايات من الكتب السابقة: «أنا الله مالك الملوك، قلوب العباد بيدي، فمَن أطاعني جعلتُهم عليه رحمة، ومَن عصاني جعلتُهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبّ الملوك، ولكن توبوا إليّ أعطفْهم عليكم».(٣)

(١) أخرجه أبو داود، واللفظ له، في ك: الحدود، ب: الحكم فيمن ارتدّ، ح: (٤٣٥٤)، والبخاري في ك: الديات، ب: قوله تعالى: أن النفس بالنفس والعين بالعين، ح: (٦٨٧٨)، ومسلم في ك: القسمة، ب: ما يباح به دم المسلم، ح: (٤٣٧٥)، والترمذي في أبواب: الديات، ب: ما جاء: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، ح: (١٤٠٢)، والنسائي في ك: المحاربة، ب: ذكر ما يحلّ به دم المسلم، ح: (٤٠٢٢)، (٤٧٢٥)، وابن ماجه في أبواب: الحدود، ب: لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث، ح: (٢٥٣٤).

(٢) أخرجه مسلم - واللفظ له - عن ابن عمر ﷺ مرفوعًا، في ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الإمام في غير معصية، ح: (٤٧٦٣). والبخاري في ك: الأحكام، ب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح: (٧١٤٤).

(٣) حكاه الأصبهاني في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٧) عن مالك بن دينار قال: قرأت في بعض الحكمة ... إلخ.

مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْمُعَافَاةِ.

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، ....

[وجوب طاعة أولي الأمر إلا في معصية، وإرادة الخير لهم]

قوله: ونرى طاعتهم من طاعة الله: لأن الله أوجب طاعتهم تحت قوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، بقوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾، كما مرّ تفصيله آنفا، فإطاعتهم إطاعة الله ورسوله، ما لم يأمروا بمعصية، فإذا أمروا بمعصية خرجوا من طاعة الله والرسول، فلا طاعةَ لهم إذا أخرجوا أنفسهم من طاعة الله، فلمّا لم يطيعوا فكيف يُطاعون؟ ولقوله ﷺ في الصحيح: «مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاني فقد عصى الله، ومَن يطع الأمير فقد أطاعني، ومَن يعص الأمير فقد عصاني».[1] بشرط أن الأمير لا يأمر بمعصية الله ورسوله.

قوله: وندعو لهم بالصلاح ...: لأن الدينَ النصحُ لكل مسلم، لله ولرسوله ولعامّتهم، كما قاله ﷺ.[2]

[نتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ]

قوله: ونتّبع السنة والجماعة: السنة: طريقة النبي ﷺ، وهي الأسوة الحسنة، والجماعة: هم المطيعون له والمتفقّهون في دينه، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)، ولقول النبي ﷺ: «إن بني إسرائيل تفرّقتْ على ثنتين وسبعين ملّةً، وتفترق أمّتي على ثلاث وسبعين ملّـةً، كلّهم في النار إلا ملّة واحدة». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».[3] =

(١) أخرجه البخاري في ك: الإيمان، ب: بيان أن الدين النصيحة، ح: (١٩٦)، عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، وفي ك: الجهاد، ب: يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، ح: (٢٩٥٧) و(٧١٣٧). ومسلم في ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الإمام في غير معصية، ح: (٤٧٤٧).

(٢) أخرج مسلم عن تميم الداري ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم».

(٣) أخرجه الترمذي - واللفظ له - عن ابن عمرو ﷺ، في أبواب الإيمان، ب: ما جاء في افتراق الأمة، ح: (٢٦٤١)، وأبو داود عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ، في ك: السنة، ب: شرح السنة، ح: (٤٥٩٧)، وابن ماجه عن أنس بن مالك ﷺ، في أبواب: الفتن، ب: افتراق الأمم، (٣٩٩١، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب مفسر.

وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ. وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، ....

= (كذا في الصحاح).[1] ففي قوله ﷺ: «ما أنا عليه» إشارة إلى السنة، وفي قوله: «وأصحابي» إشارة إلى الجماعة، ولعل أهل السنة والجماعة لقّبوا ملّتهم بـ«أهل السنة والجماعة» من هاتين الكلمتين في الحديث.

فبيّن النبي ﷺ ببليغ قوله هذا أن عامّة المختلفين من هذين الجانبين أو من أحدهما -إما بالتجاوز عن أهل الطريقة، وإما بالانحراف عن المنيبين أهلِ الذكر- هالكون،[2] إلا أهل السنة والجماعة؛ فإنهم قيّدوا أنفسهم باتباع السنة تحت ذوق السلف الصالحين واتباع طريقتهم، رضي الله عنهم أجمعين.

وفيه قول ابن مسعود ﷺ: مَن كان مُستنًّا فليستنّ بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمّد ﷺ، كانوا أفضلَ هذه الأمّة، أبرّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلّفًا، اختارهم الله لصحبة نبيّه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتّبعوهم على أثرهم، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسِيَرهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».[3] (المشكاة، باب اتباع السنة). فنحن نرى الجماعةَ حقًّا وصوابًا، والفرقةَ زيغًا وعذابًا.

قوله: ونجتنب الشذوذ والخلاف: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

[حبُّ أهل العدل وبغضُ أهل الجور مِن كمال الإيمان]

قوله: ونحب أهل العدل والأمانة: لأن محبة أهل العدل من سنن الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: ٤٢). والأمانة أيضًا من محبوباته تعالى وتقدّس؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكْرَمُونَ﴾ (المعارج: ٣٢ - ٣٥)، ومن البداهة أن الإدخال في دار كرامته بالعزّ والإكرام لا يكون إلا بالمحبة والألفة، لا بالبغض والعداوة. وقال ﷺ: «لما خلق الله الرحم والأمانة، لزما خاصرته تعالى، وقالا: ألا من وصلنا وصله الله، =

(١) المراد بـ«الصحاح»: الكتب الأربعة؛ إذ غلب إطلاق «الصحاح» على الكتب الستة عند كثير من أهل العلم في شبه القارة الهندية؛ تغليبًا للأحاديث الصحاح الواردة فيها. صرح بذلك الشيخ عبد الحق الدهلوي ﷺ في مقدمته على «مشكاة المصابيح».

(٢) خبر «أنّ».

(٣) أورده ابن الأثير بهذا اللفظ في «جامع الأصول» (١/ ٢٩٢)، وأخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» بلفظ: مَن كان منكم مُتأسّيًا فليتأسّ... (٢/ ٩٤٧)، ح: (١٨١٠)، وأخرجها الأصبهاني في «حلية الأولياء» عن ابن عمر ﷺ (١/ ٣٠٥).

وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ. وَنَقُولُ: «اللهُ أَعْلَمُ» فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

= ومن قطعنا قطعه الله».[1] والظاهر أن الوصل من ثمرات المحبّة كما يكون الفصل من ثمرات العداوة، فمحبة أهل العدل والأمانة من سننه وأخلاقه تعالى، ونحن مأمورون بالتخلّقِ بأخلاق الله والتسنّنِ بسننِ الله والسلوكِ على صراط الله، فيلزم علينا أن نحبّ أهل العدل والأمانة بهاتين الآيتين الكريمتين وإرشاد الحديث النبوي. وأيضًا لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)، فيجب علينا باقتضاء محبة الله أن نحبهم؛ لأن المحبّ يحب ما يحب محبوبُه، ويوالي من يواليه، ويرضى لرضائه، فمَن أحبّ العادلين والأمناء فبحبِّه أحبَّهم، فمحبةُ الله ورسوله وأنبيائه والعادلين والأمناء حقٌّ لازمٌ علينا، وإن رغم أنف الفلاسفة والمعتزلة المنكرين بمقام المحبة.

قوله: ونبغض أهل الجور والخيانة: والمحبة التامة كما تستلزم موافقة المحبوب في محبوباته، كذا تستلزم العداوة بمكروهاته ومبغوضاته، فمن أحبّه وأحبّ أولياءه لمحبّته، فلا بُدّ أن يبغض أعداءه لعداوته وبغضه، وإلا لا تبقى المحبة تامّةً. ومن هذا المقام ينشأ الجهاد في سبيل الله مع أعدائه، وهم أهل الجور والخيانة والبغي والعدوان، فبغضُهم أيضًا من حقوق المحبّة والإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ (المائدة: ٥٤)، ولقوله ﷺ: «مَن أحبّ في الله، وأبغض في الله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».[2]

[ما اشتبه علينا علمُه نَكِلُه إلى الله]

قوله: ونقول: «الله أعلم» فيما اشتبه علينا علمُه: تقدم كلام الشيخ: «أنه ما سلم في دينه، إلا من سلّمَ لله ولرسوله، وردَّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه»، فمَن تكلم في أمر الله بغير علم، سواء كان برأيه المجرد أو بفهمه الطبيعي، فإنما يتبع هواه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (القصص: ٥٠)، ولقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ =

---

(١) لم أجد هذا اللفظ، وإنما وجدت معناه في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «خلق الله الخلقَ، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذتْ بحقو الرحمن، فقال لها: مهْ. قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة ...»، في ك: التفسير، ب: وتقطعوا أرحامكم، ح: (٤٨٣٠).

وفي الحديث الذي أخرجه البغوي في «شرح السنة» عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ مرفوعًا: ثلاثةٌ تحت العرش يوم القيامة: ١- القرآنُ يُحاجّ العباد، له ظهرٌ وبطنٌ ٢- والأمانةُ ٣- والرحمُ تنادي: ألا من وصلَني وصلَه الله، ومن قطعَني قطعَه الله»، في ك: البر والصلة، ب: ثواب صلة الرحم وإثم من قطعها، ح: (٣٤٣٣). وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» عن أبي أمامة ﷺ مرفوعا، ح: (٩٠٨٣)، والحديث حسن لغيره. انظر «مجمع الزوائد» (١/ ٩٠).

وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ.

= ﴿فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾ (الحج: ٣ - ٤)، ولقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝﴾ (غافر: ٣٥)، فعلى العباد أن يقولوا فيما لا يعلمون: «الله أعلم»، ويوكّلوه إلى عالمه. ولقوله ﷺ: «دعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك».[1] وهذا أصلٌ كليٌّ لأساس العقائد وتقاةٌ من الزيغ لمن يتذكر ويتدبر، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝﴾ (البقرة: ٢٦٩).

[المسح على الخفين ثابت بالسنة]

قوله: ونرى المسح على الخفين: لِما تواتر السنّة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، ولما كانت الرافضة تخالف هذه السنة المتواترة أشدّ الخلاف، وادعوا أن الفرض مسح الرجلين إلى الكعبين؛ إنكارًا على المسح على الخفين، وجعلوه موضوعًا مستقلًّا مقابلَ أهل السنة وتعامل أهل الحق، كأنه شريعة مستقلة: اختارت المسألة صورة العقيدة، ولزم الإقرار به مثل العقائد القطعية المتواترة.

فالذين نقلوا عن النبي ﷺ الوضوءَ قولًا وفعلًا، والذين تعلموا الوضوء منه، - ولم يتعلموا الوضوء إلا منه - وتوضؤوا على عهده وهو يراهم ويقرر لهم، ونقلوه إلى مَن بعدهم: أكثر عددًا من الذين نقلوا منه لفظ هذه الآية، ولم يكن هذا العمل - أي مسح الرجلين - معهودًا عندهم في الجاهلية. ومن رآه يتوضأ ويغسل قدميه، لا يحصي عددَهم إلا الله، ونقلوا عنه غسل الرجلين فيما شاء الله من الحديث، حتى نقلوا عنه - وهو في كتب الصحاح وغيرها -: «ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار».[2]

فثبوت التواتر في نقل الوضوء المشتمل على غَسل الرجلين كتواتر لفظ هذه الآية، ولفظ الآية لا يخالف ما تواتر معناه ومصداقه من السنة، فقول الرافضة مردود بالكتاب والسنة وتواتر العمل، فلذلك وضع الشيخ هذه المسألة الجزئية في موضع العقائد الأساسية. إلا أن ذكر المسح على الرجلين في بعض الروايات تنبيهٌ على قلّة صبّ الماء على الرجلين خلافَ ما يعتاد الناسُ الإسرافَ في غسل الرجلين. والمسألة معروفة، والكلام عليها في كتب الفروع.

---

(١) هو جزء من حديث أخرجه الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما مرفوعًا، وتمامه: «عن أبي الحوراء قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظتَ من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ: دعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طُمأْنينة وإن الكذب رِيبة»، في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، ب: حديث: اعقلها وتوكّل، ح: (٢٥١٨). والنسائي في ك: الأشربة، ب: الحث على ترك الشبهات، ح: (٥٧١٤). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي مرفوعًا، ح: (١٧٧١٠)، والدارقطني، ح: (٣١٦)، وقال المناوي في «التيسير» ٢/ ٤٨٤: إسناده صحيح. وأخرجَه بلفظ: «ويل للأعقاب من النار» =

وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ فَرْضَانِ مَاضِيَانِ، مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا.

[الحج والجهاد ماضيان إلى يوم القيامة]

قوله: والحج والجهاد فرضان: هاتان العبادتان اجتماعيتان، لهما مزايا وخصوصيات لا توجد في غيرهما، فإنهما عبادتان سفريّتان، تتعلقان بالنقل والحركة والمشي والسعي، لا سيما الجهاد في سبيل الله؛ فإنه مدار شوكة الإسلام، ولذا خصّهما بالذكر بالاستقلال. ولتفصيلاتهما موضع آخر، لا يسعها هذا المقام.

أما الحج فلقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧). وأما الجهاد فلقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣).

وغاية الجهاد دفعُ الفتنة وإعلاءُ كلمة الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣).

قوله: ماضيان ... إلى يوم القيامة: لقول النبي ﷺ: «الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة».[1] وهو أمر في صورة الخبر، أو خبر بعدم انقطاعه إلى يوم القيامة، فهو تحريض على هذا العمل.

قوله: مع أولي الأمر من أئمة المسلمين: وهذا من شرائط الجهاد. أشار الشيخ إلى الردّ على الرافضة حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد، وينادي منادٍ من السماء أن اتبعوه. وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدلّ عليه بدليل.

قوله: برهم وفاجرهم: والروافض شرطوا في الإمام أن يكون معصومًا، بغير دليل، بل على خلاف الدليل؛ لأن النبي ﷺ =

= البخاريُّ في ك: العلم، ب: من رفع صوته بالعلم، ح: (٦٠)، و(٩٦)، (١٦٣)، (١٦٥). ومسلم في ك: الطهارة، ب: وجوب غسل الرجلين بكماهما، ح: (٥٦٦) و(٥٧٠) و(٥٧٢) و(٥٧٣) و(٥٧٥). وأبو داود في ك: الطهارة، ب: إسباغ الوضوء، ح: (٩٧). والترمذي في أبواب: الطهارة، ب: ويل للأعقاب من النار، ح: (٤١). والنسائي في ك: الطهارة، ب: إيجاب غسل الرجلين، ح: (١١١). وابن ماجه في أبواب: الطهارة، ب: غسل العراقيب، ح: (٤٥٠) و(٤٥١) و(٤٥٣) و(٤٥٥).

(١) هو جزء من حديث أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» ح: (٤٧٧٥) عن جابر رضي الله عنه مرفوعا: «بُني الإسلام على ثلاثة: ١- أهلُ «لا إله إلا الله»، لا تكفّروهم بذنب، ولا تشهدوا عليهم بشرك. ٢- ومعرفةُ المقاديرِ خيرِها وشرِّها من الله. ٣- والجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة مذ بعث الله محمّدًا ﷺ إلى آخر عصابة من المسلمين، لا ينقض ذلك جورُ جائر، =

وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ.

= وزَّعَ الأئمة على بَرٍّ وفاجر، وأكّد طاعتهم بلا تخصيص البرّ والفجور، ففي «الصحيح للمسلم»:(١) عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمّتكم: الذين تحبّونهم، ويحبّونكم، وتصلّون عليهم، ويصلّون عليكم. وشرار أئمّتكم: الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم، ويلعنونكم». قالوا: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. ألا، مَن وليَ عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكرهْ ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنّ يدًا من طاعة».

فلم يقل ﷺ: إن الإمام يجب أن يكون معصومًا، فالرافضة أشرّ الناس صفقةً في هذه المسألة؛ لأنهم جعلوا الإمام المعصوم إمامًا معدومًا، ولم ينفعهم في الدين والدنيا؛ فإنهم يدّعون أنه الإمام المنتظر الذي دخل السرداب - في زعمهم - بسامر، وقد يقيمون هناك دابة؛ ليركبها إذا خرج، وعينوا في الأوقات المقررة عندهم رجلًا ينادي: «يا مولانا اخرج، يا مولانا اخرج»، ويشهرون السلاح، ولا أحدَ هناك يقاتلهم! إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم العقلاء.

أما عصمة الإمام فلا حاجة إليها في نظم الأمور؛ لأن الحج والجهاد يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس فيها، ويقاوم العدو، ويدافع الفتن والمهالك. وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البَرّ يحصل بالإمام الفاجر أيضًا.

[الإيمان بالملائكة]

قوله: ونؤمن بالكرام الكاتبين: لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝﴾ (الانفطار: ١٠، ١١)، ولقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝﴾ (ق: ١٧، ١٨)، ولقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١١)، ولقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝﴾ (الزخرف: ٨٠)، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ =

= ولا عدلٌ عادل». وأخرج نحوه أبو داود عن أنس بن مالك ﷺ في ك: الجهاد، ب: الغزو مع أئمة الجور، ح: (٢٥٣٢). وأخرج البخاري ما يشهد لمعنى الحديث [في ك: فرض الخمس، ب: قول النبي ﷺ: أحلت لكم الغنائم، ح: (٣١١٩)] عن عروة البارقي ﷺ مرفوعًا: «الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ: الأجرُ والمغنمُ، إلى يوم القيامة». ومسلم في ك: الإمارة، ب: فضيلة الخيل، ح: (٤٨٤٩).

ومما يؤيده: حديثٌ أخرجه البخاري [في ك: الاعتصام، ب: قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، ح: (٧٣١١)] عن المغيرة بن شعبة ﷺ مرفوعًا: «لا يزال طائفة من أمّتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون». ومسلم [في ك: الإيمان، ب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة سيدنا محمد ﷺ، ح: (٣٩٥)] عن جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا: «لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة».

(١) انظر «صحيح مسلم»، ك: الإمارة، ب: خيار الأئمة وشرارهم، ح: (٤٨٠٥).

وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَبِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

= مَا تَمْكُرُونَ﴾ (يونس: ٢١). وفيه أحاديث كثيرة تبين وتفصل ما في القرآن الحكيم.

قوله: ونؤمن بملك الموت: لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١)، ولقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ (الأنعام: ٦١، ٦٢).

[الإيمان بنعيم القبر وعذابه والسؤال فيه]

قوله: ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه: لقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥، ٤٦)، ولقول النبي ﷺ: «إنما القبر روضةٌ من رياض الجنة أو حفرةٌ من حفر النار».[1] وقد تواتر[2] الأخبار في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، فيجب الاعتقاد والإيمان به، ولا يُتكلّم في كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف عليها، ولكن لا يستحيله العقل بل يؤيده، كما في كتب الفن.

قوله: وبسؤال منكر ونكير للميّت في قبره: وفيه حديث طويل عن البراء بن عازب ﷺ،[3] عن رسول الله ﷺ، وفيه: «فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، (وفي رواية:[4] أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكَر، وللآخر: النكير)، فيجلسانه، فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: ربّي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدّقت. فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنّة، وألبسوه من الجنّة، وافتحوا له بابًا إلى الجنّة». =

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا، في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، ب: حديث «أكثروا من ذكر هاذم اللذات»، ح: (٢٤٦٠). وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أي بلغ حدّ التواتر المعنوي. انظر «المسامرة شرح المسايرة» ص: ١١٢.

(٣) أخرجه أحمد، ح: (١٨٥٣٤)، وأخرجه أبو داود مختصرًا، في ك: السنة، ب: المسألة في القبر وعذاب القبر، ح: (٤٧٥٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٧٢)، ح: (٤٢٦٦): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجها الترمذي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، في أبواب: الجنائز، ب: ما جاء في عذاب القبر، ح: (١٠٧١). وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب.

وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ.

وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَبِجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، ....

= قال: «فيأتيه من رَوحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدَّ بصره». قال: «ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيّب الريح، فيقول: أَبشر بالذي يسرّك، هذا يومك الذي كنتَ توعد. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: ربّ، أقِم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي». وهكذا يُسأل الكافر في قبره، وأحواله ضدّ هذه الأحوال. (مشكاة المصابيح). والمسألة طويلة الذيل، لا يسعها هذا المقام، فراجع كتب الفن.[1]

قوله: والقبر روضة ... : قد سبق تفصيله آنفًا في [مسألة] عذاب القبر.

[الإيمان بالبعث]

قوله: ونؤمن بالبعث: وهو الإحياء بعد الموت يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝﴾ (المؤمنون: ١٠٠-١٠١)، ولقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝﴾(التغابن: ٧)، ولقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝﴾ (المؤمنون: ١١٥).

حقيقة البعث هل هو بالأجساد أم بالأرواح؟ فيجيء تفصيله في كلام المصنف رحمه الله.

[الإيمان بجزاء الأعمال والحساب والعرض]

قوله: ونؤمن بـ ... جزاء الأعمال يوم القيامة: لقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝﴾ (الفاتحة: ٤). الدين هنا: الجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝﴾ (النور: ٢٥). ولقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ (البقرة: ٢٨١)، ولقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ (الزمر: ٦٠، ٦١)، ولقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝﴾ (النمل: ٨٧). أمثالها في القرآن كثيرة.

قوله: ونؤمن بـ ... بالعرض: وهو الحساب اليسير، يقال له في الشرع: العرض؛ لقوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝﴾ (الانشقاق: ٧، ٨): «إنما ذاك العرض، مَن نوقش الحساب يوم القيامة عذّب».[2] فالمناقشة حساب عسير، والعرض حساب يسير.

---

(١) انظر «المسامرة شرح المسايرة» ص: ١١٢ - ١١٥.

(٢) أخرجه مسلم، - واللفظ له - في ك: الفتن، ب: إثبات الحساب، ح: (٧٢٢٥). والبخاري في ك: العلم، ب: من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه، ح: (١٠٣) و(٦٥٣٦).

وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ، ....

قوله: ونؤمن بـ ... قراءة الكتب: وطارت الصحف في الأيدي منشرةً، فمن أوتي كتابه بيمينه فيحاسب حسابًا يسيرًا ويدخل الجنة، ومن أوتي كتابه بشماله نوقش فيدخل النار، العياذ بالله. وأصله في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝﴾ (الإسراء: ١٣، ١٤).

[الثواب والعقاب]

قوله: ونؤمن بـ ... الثواب والعقاب: هذا هو المجازاة، وهي بالثواب أو العقاب، فالثواب: الأجر، والعقاب: الوزر. أما الأجر فلقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وأما الوزر فلقوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ - أي الذكر - فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ۝﴾ (طه: ١٠٠، ١٠١).

فأول المجازاة: إراءة الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝﴾ (النجم: ٤٠)، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝﴾ (الزلزلة: ٧، ٨).

وثانيها: الإكرام والتذليل على رؤوس الأشهاد يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ (الزمر: ٦٠، ٦١)، ولقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ (آل عمران: ١٠٦).

وثالثها: الجزاء الأوفى؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝﴾ (النجم: ٤١).

ورابعها: صورة الوفاء لهم بالإضعاف، في قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ (الأنعام: ١٦٠).

وخامسها: الفوز أو الخسران، أما الفوز فلقوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ (غافر: ٩)، وأما الخسران فلقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝﴾ (غافر: ٧٨).

وآخرها: الخلود في الجنة أو النار؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝﴾ (هود: ١٠٦ - ١٠٨).

[الصراط حق]

قوله: ونؤمن بـ ... الصراط: وهو جسر على جهنم. إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكانَ الموقف إلى الظُّلمة التي دون الصراط، ظهر نور الإيمان لكل مؤمن بين يديه، يمشي في ضوئه على الصراط، وهو كحدّ السيف أدقّ من الشعر، ويكون هو الصورة المثالية للشريعة، فمن استقام عليها في الدنيا يستقم على الصراط بقدر استقامته في الدنيا، =

وَالْمِيزَانِ، يُوزَنُ بِهِ أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ.

(وَالْبَعْثُ - هُوَ حَشْرُ الْأَجْسَادِ وَإِحْيَاؤُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ - [حَقٌّ]).[١]

= ومن زلّ عنها في الدنيا، فتزلّ قدمه عنه بقدر زلّته في الدنيا.

وتحته كلاليب من الحديد، تخدش أقدام الناس حين المرور على الصراط، وتكون هي صورًا مثاليةً للفتن المزلّة عن الصراط المستقيم في الدنيا، فمن استقامَ على الشريعة في الدنيا مجتنبًا عن الفتن، يمشِ على الصراط محفوظًا عن خدوشها، ومن لم يستقم على الشريعة في الدنيا، ووقع في الفتن، يُبتَل على الصراط بالخدوش، وتكون سرعة السير وبطوؤها على الصراط على مقدار المشي على الصراط المستقيم في الدنيا.

ومأخذه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: ٧١)، وهو المرور على الصراط. ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم: ٧٢)، وهو من عواقب المرور على الصراط.

[الإيمـانُ بالميزان وحقّيتُه]

قوله: ونؤمن بـ ... الميزان: لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣). وميزان الأعمال حسّي، له كفّتان حسّيتان مشاهدتان، توضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة، كما في الحديث.[٢] ويفهم من القرآن أن الموازين متعددة، وموجب الحديث أنه واحد، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالموازين في القرآن: الموزونات، فتطابق الروايةُ الآيةَ.

[مسألة البعث، هل هو حشر الأجساد أم حشر الأرواح؟]

قوله: والبعث هو حشر الأجساد وإحياؤها يوم القيامة: أي يكون الحشر بالمعاد الجسماني، وتُبعَث الأجساد، وتُحيَى =

(١) ما بين القوسين مأخوذ من نُسَخ الكتاب، وما بين المعكوفتين مثبت من النسخة القديمة لمتن «الطحاوية».

(٢) أخرج الترمذي [في أبواب: الإيمان، ب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ح: (٢٦٣٩)] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا: «إن الله سيخلِّص رجلًا من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعةً وتسعين سِجِلًّا، كلُّ سجلّ مثلُ مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمَكَ كَتَبَتِي الحافظون؟ فيقول: لا، يا ربّ. فيقول: أفلكَ عذرٌ؟ فيقول: لا، يا ربّ. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً، فإنه لا ظلمَ عليك اليوم. فتُخرَج بِطاقةٌ، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: احضرْ وزنك. فيقول: يا ربّ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلّات؟ فقال: إنك لا تُظلَم». قال: «فتُوضَع السجلّات في كِفّة، والبطاقة في كفّة، فطاشت السجلّات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيءٌ». وابن ماجه في أبواب: الزهد، ب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، ح: (٤٣٠٠). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

....

= بعد موتها يوم القيامة، وإن الله يبعث مَن في القبور. لا المعاد الروحاني؛ فإن الأرواح لا تدفن في القبور، فلا معنى لإحيائها وبعثها عن القبور.

لقوله تعالى في الكفار: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (الإسراء: ٩٧)، والوجه والعمي والبكم والصمّ كلّها من خواصّ الأجسام والصور لا الأرواح.

ولقوله تعالى دافعًا لاستبعادهم في حشر الأجساد: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۞ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الإسراء: ٤٩ - ٥١). كان استبعادهم لحشر الأجساد لا لحشر الأرواح، ولذا ذكروا العظام والرفات، فأجاب ﷺ: أن مَن خلق هذه العظام والرفات أول مرة، هو يخلق مرة ثانية. كان في السؤال الاستبعادُ لحشر الأجساد والخلق الجديد؛ قياسًا على النشأة الأولى، فكان مقتضى السؤال: الجواب بإثبات حشر الأجساد في النشأة الثانية، وإلا لم يطابق الجوابُ السؤالَ، لا إثبات حشر الأرواح؛ فإنه لم يكن مستبعدًا عندهم، وما سألوا عنه.

ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ (الحج: ٥ - ٧). هذا التفريع على خلق الأجساد أول مرة من النطفة إلى الاستقرار في الرحم وإخراجه طفلًا إلى غير ذلك من أحوال الأجسام، بخلقها مرة ثانية بعد موتها، فلو كان المراد هنا حشر الأرواح فقط، لم يصح التفريع ولم يندفع الاستبعاد.

وأيضًا الإخبارُ بأن الله يبعث مَن في القبور، دليلٌ على حشر الأجساد؛ لأن ما في القبور هو الأجسام، وهي تُبعَث بعد نفخ الأرواح فيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨، ٧٩). فاحتجّ الله ﷺ بالإبداء على الإعادة، وبالإنشاء الأول على النشأة الثانية؛ إذ كلّ عاقل يعلم ضرورةً أن من قدر على هذا لكان قادرًا على ذلك بالبداهة، ومَن كان عاجزًا من الثانية لكان من الأولى أعجز، والنشأة الأولى كانت جسمانية، فالثانية أيضًا لا بدّ أن تكون جسمانية، وإلا لبطل الاستدلال، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. ولما كان الخلق يستلزم قدرةَ الخالق على المخلوق وعلمَه بتفاصيل خلقه، أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾. فهو عليم بتفاصيلِ الخلق الأول وجزئياتِه وموادِّه وصورتِه فكذلك الثاني، فإذا كان هو تامَّ العلم كاملَ القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟

وأيضًا يكون البعث لجزاء الأعمال، والعمل لم يكن من الروح، بل صدر من الجسم ولو بعد نفخ الروح، بل يلوح بعد إمعان النظر أن العمل ليس إلا من خواص الجسم، لا من خواص الروح؛ لأن العمل هو مجموع الحركات والسكنات، وهي لا تتعلق إلا بالبدن، أما الروح فهو منشأ لمصادر الأعمال، وهي الركونُ والرغبةُ والشوقُ والذوقُ للعمل ثم النيةُ والإرادةُ والعزمُ بعد معرفة العمل خيره وشره، فوظيفةُ الروح العلمُ والرغبةُ للعمل، لا العملُ، =

....

= وما من صفاته الحركة والسكون. وإذا ظهر أن العمل وظيفة البدن كان يناسب أن يجعل البدن أصلًا في جزاء الأعمال، ولا يمكن هذا إلا ببعثِ الأجساد والمعادِ الجسماني لا الروحاني. ونبينا ﷺ لما كان خاتمَ الأنبياء والمرسلين، وأكمل الله دينه على يده من كل جهة، وهو ﷺ أول أشراط الساعة، بيّن تفصيلَ الآخرة وحشرَ الأجساد ببيان لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء.

ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة وأمثالهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمدٌ ﷺ، ولم يقل به أحد قبله من الأنبياء، فلو كان هذا مما يعتنى به لقال أحد من الأنبياء قبله ﷺ. وجعلوا هذا حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري، لكن ادعاء هذه الطائفة كذب وافتراء على الأنبياء ﵈؛ لأن القرآن كما بيّن بأوضح بيان، وفصّل بأبلغ تفصيل: أن معاد النفس عند الموت، وهو القيامة الصغرى؛ لقوله ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته»،[١] ومعاد الأبدان عند القيامة الكبرى، وهي معروفة عند الناس باسم القيامة، كذا أخبر:[٢] أن القيامة كانت معروفة عند الأنبياء من آدم إلى مَن بعدهم من الأنبياء والمرسلين، وعند أممهم؛ لأن الله تعالى قال لآدم ﵇: ﴿ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ۝ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ۝﴾ (الأعراف: ٢٤، ٢٥).

ولما قال إبليس اللعين: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ۝﴾ (ص: ٧٩ - ٨١). وقال نوح ﵇: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا۝﴾ (نوح: ١٧ - ١٨). وقال إبراهيم ﵇: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ۝﴾ (الشعراء: ٨٢)، ثم قال: ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ۝﴾ (الشعراء: ٨٥)، ثم قال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ۝﴾ (الشعراء: ٨٧). وقال [الله تعالى] لموسى ﵇: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ۝﴾ (طه: ١٥).

وقال مؤمن من آل فرعون لما آمن بموسى: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ۝﴾ (غافر: ٣٢، ٣٣)، إلى قوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ۝﴾ (غافر: ٣٩). وقد أخبر الله تعالى في قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ =

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» عن أنس بن مالك ﵁. انظر «المقاصد الحسنة» (ص: ٦٧٠، ح: ١١٨٣). وعزاه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٨) من طريق داود بن المحبر عن عبد الواحد بن الخطاب عن زياد النميري. قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ١٠١٣): رواه الديلمي بسند ضعيف. وأخرجه العسكري. انظر «كشف الخفاء» للعجلوني (١/ ١٦٦). وأخرج نحوَه الدولابي في «الكنى والأسماء» عن المغيرة بن شعبة ﵁ موقوفًا. أما معناه فهو ثابت. انظر «تنبيه القارئ» لعبد الله الدويش (ص: ٦١).

(٢) أي إن القرآن كما بيّن وفصّل، كذا أخبر إلخ.

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ،...

= ﴿ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٣)، فيه أثبت الله - سبحانه - إحياءَ الموتى يوم البعث، بشاهد في الدنيا، وهو إحياء البقرة بعد موتها.[1]

وقال - جلّ ذكره - في حق جميع الرسل [الذين] أنذروا أُممهم بيوم القيامة، حيث أخبر عن أهل النار جوابَهم لخزنة النار: ﴿[وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ] أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (الزمر: ٧١). وهذا اعتراف من الكفار أن الرسل أنذروهم لقاء يومهم هذا.

وأخبر ﷺ بإنكار الكفار للبعث، فكذّبهم أشدّ تكذيب، فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ (النحل: ٣٨، ٣٩)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء: ٩٩).

فثبت أن عقيدةَ المعادِ والبعثِ بعد الموت وإتيانِ القيامة كانت معروفةً عند الأنبياء والمرسلين، إلا أن نبينا ﷺ فضّله بما لم يفضّل به أحد منهم عليهم السلام؛ لأنه خاتم النبيين، ودينه أكمل الأديان في جميع أبواب الدين.

[الجنّة والنار مخلوقتان أبديتان]

قوله: والجنة والنار مخلوقتان: فوجود الجنة والنار؛ لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ (ص: ٤٩، ٥٠)، ثم قال: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (ص: ٥٥، ٥٦).

وهما مخلوقتان موجودتان؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢)، ولقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ (الزمر: ٦٢)، ولقوله تعالى خاصّةً في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٣١).

وقد رأى النبيُّ ﷺ الجنةَ والنارَ متمثّلتين في جدار القبلة،[2] وتمثّلُ الشيء وعكسُه يقتضي أن يكون موجودًا قبل =

---

(١) لا أدري ما معتمد المعلّق رحمه الله في قوله: «وهو إحياء البقرة»، إنما فسّر المفسرون وبيّنوا أن الله أحيا القتيل بضربه ببعض البقرة. انظر «تفسير البغوي» (١/ ١٠٨)، و«مدارك التنزيل» للنسفي (١/ ١٠٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٢). وفي «تفسير الطبري» (٢/ ١٢٦): فأمرهم موسى أن يأخذوا عظمًا منها فيضربوا به القتيل، ففعلوا، فرجع إليه روحه، فسمى لهم قاتله، ثم عاد ميتًا كما كان. (س)

(٢) أخرج البخاري [في ك: النكاح، ب: كفران العشير، ح: (٥١٩٧)] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: خسفت الشمسُ على عهد رسول الله ﷺ، فصلّى رسولُ الله ﷺ والناسُ معه. وفيه: «قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولتَ شيئًا في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكعتَ. فقال: إني رأيت الجنّة - أو أُرِيت الجنّة -، فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر كاليوم منظرًا قطّ».

....

= العكس، وإلا لا عكسَ بلا أصل. ورأى في المعراج سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى.[١] وتتضاعف زينتها في كل سَنة في رمضان، ولا يزال الله يحدث فيها شيئًا بعد شيء، وفيه أحاديثُ: «سبحان الله والحمد لله غراس الجنة»،[٢] وقولُه تعالى عن امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ (التحريم: ١١)، وغيرُه.

ويعرض على الميت في قبره مقعده من الجنة ومقعده من النار،[٣] ويفتح لأهل الجنة باب منها، فيأتيه من رَوحها وطِيبها، وهما من الأبواب المفتحة.[٤] وكذا النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا،[٥] ولها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم.[٦] وتَعلَق نسمة المؤمن طيرًا في شجرة الجنة.[٧]

وأيضًا لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرئيل إلى الجنة والنار، فقال: اذهب فانظر إليهما... [الحديث]،[٨] وغير ذلك من أحاديث النبي ﷺ التي تدل على وجودهما في الحال، خلافًا لنابغة من المعتزلة والقدرية الذين يحرّفون النصوص عن مواضعها، ويقولون: «إنهما لجزاء الأعمال، ولا حاجة إلى الجزاء قبل العمل؛ فخلقُهما قبل العمل =

---

(١) وأصله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝﴾ (النجم: ١٣ – ١٥).

(٢) أخرج الترمذي [في أبواب: الدعوات، ب: في أن غراس الجنة «سبحان الله، الحمد لله»، ح: (٣٤٦٢)] عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «لقيتُ إبراهيم ليلةَ أسري بي، فقال: يا محمّد، أقرئْ أمّتك مني السلامَ، وأخبرهم أن الجنة طيّبة التربة، عذبة الماء، وأنها قِيعانٌ، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرج البخاري [في ك: الجنائز، ب: الميت يعرض عليه مقعده، ح: (١٣٧٩)] عن ابن عمر ﷺ مرفوعًا: «أن أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

(٤) تقدم تخريج حديثه تحت التعليق على قوله ﷺ: «ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه».

(٥) أصله قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (غافر: ٤٦).

(٦) أصله قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝﴾ (الحجر: ٤٤).

(٧) أخرج ابن ماجه [في أبواب: الزهد، ب: ذكر القبر والبِلى، ح: (٤٢٧١)] عن كعب بن مالك ﷺ مرفوعًا: «إنما نسَمة المؤمن طائر، يعلق في شجر الجنة، حتى يرجع إلى جسده يوم يُبعَث». والإمام مالك في «الموطأ»، في ك: الجنائز، ب: جامع الجنائز، ص: (٢/ ٣٣٦، ٣٣٧).

(٨) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، في أبواب: صفة الجنة، ب: ما جاء «حفّت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»، ح: (٢٥٦٠). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ. وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ....

= عبثٌ، بل يُنشِئهما الله يوم القيامة، وإلا تبقيان معطَّلتين مددًا متطاولةً»، من الخرافات الوهمية، وإنها قياسات بمقابلة النص، وهذه النصوص الواضحة حجة عليهم وعلى أوهامهم الكاسدة التي يسمونها «دلائل»، نعم! إنها دلائل على كفرهم وإلحادهم. والتفصيلات في كتب الفن.[1]

قوله: لا تفنيان أبدا ولا تبيدان: أي إنهما أبديان، كما أخبر القرآن: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ (هود: ١٠٨)، كما سبق من الآيات. ولقوله تعالى في الجنة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود: ١٠٨)، كما مر. ولقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (الدخان: ٥٦)، ولقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد: ٣٥)، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ (ص: ٥٤). ولقوله تعالى في النار ردًّا على اليهود القائلين: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٨٠، ٨١).

ولقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٨)، ولقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الأنعام: ١٢٨). وليس هذا استثناءً من الخلود، بل هو بيان لإحاطة القدرة والمشيئة، أي لا يخرج تخليدُهم في الجنة أو النار الآن أيضًا من حيطته ومشيئته وقدرته، وهو قادر على تبديله، ولكن لا يبدّل تحت وعده. والمقصود أن بقاءَ الجنة والنار والخلودَ فيهما ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله إياهما، وهو قادر على خلافه أيضًا، وإن لم يفعل.

ولحديث النبي ﷺ حين يذبح الموت يوم القيامة، يقال لهم: «يا أهل الجنّة، خلودٌ، فلا موت، ويا أهل النار، خلودٌ، فلا موت».[2] والأدلّةُ من السنّة على أبديّةِ الجنة والنار ودوامِهما كثيرةٌ لا تحصى.

---

(١) راجع «شرح ابن أبي العز للطحاوية» ص: ٦٤١ – ٦٤٥.

(٢) هو جزء من حديث أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا [في ك: التفسير، ب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، ح: (٤٧٣٠)]، ومسلم [في ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، ح: (٧١٨١)]. وتمامه: يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة. فيشرئبّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعمْ، هذا الموت. وكلّهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار. فيشرئبّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلّهم قد رآه. فيُذبَح، ثم يقول: يا أهل الجنّة، خلودٌ، فلا موت، ويا أهل النار، خلودٌ، فلا موت. ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾، وهؤلاء في غفلةٍ أهلُ الدنيا، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(قَبْلَ الْخَلْقِ)،[1] وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ أَدْخَلَهُ ....

[خلق الله الجنّة والنار قبل خلق أهلهما]

قوله: قبل الخلق: أي قبل خلق الإنسان، فإن كل الكوائن من السماء إلى الأرض وما بينهما من النور والظلمة والليل والنهار والظلّ والحرور والعرش والفرش والتراب والسراب والشجر والنجوم والكواكب والموت والحياة والخير والشرّ والجنة والنار، كلّها خُلقت قبل خلق الإنسان في ستّة أيام، وخُلِق آدم يوم الجمعة آخر الستة؛ لأنها خلقتْ له، لا أنه خُلِق لها، كما هو موجب القرآن، فهي من حوائج الإنسان، والحوائجُ تُهيّأ طبعًا قبل خلق المقصود. وهو قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية: ١٣)، ولقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (البقرة: ٣٥). فخلقُ الجنة قبل خلق آدم صريح فيه.

قوله: وخلق لهما أهلا: لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ (الأعراف: ١٧٩). وفي حديث عائشة في جنازة صبيّ من الأنصار: «أوغير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنّة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم».[2]

وسرُّه أن الموجودات نوعان، **أحدهما**: مسخَّر بطبعه، **والثاني**: متحرك بإرادته. فهدى الله الأولَ لـمّا سخَّر له طبيعتَه بإلقاء الهداية في طبعه، والثاني هدايتُه إرادية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه أو يضره.

ثم قسّم الثاني إلى ثلاثة أنواع:

١- نوع لا يريد إلا الخير، ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالملائكة.

٢- ونوع لا يريد إلا الشرّ، ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالشيطان.

٣- ونوع يتأتى منه إرادة القسمين، كالإنسان.

ثم جعله ثلاثة أصناف:

١- صنف يغلب إيمانُه ومعرفتُه وعقلُه هواه وشهوتَه، فيلتحق بالملائكة.

٢- وصنف عكسه، فيلتحق بالشياطين.

٣- وصنف تغلب شهوتُه البهيميةُ عقلَه، فيلتحق بالبهائم.

فكان ينبغي أن يكون لجميع أصناف الإنسان دار مناسب لنوعيته، فالجنةُ لأشباه الملائكة حسب القوّة والضعف، ولبعضهم دخول أوليّ، ولبعضهم ثانويّ، والنارُ لأشباه الشياطين حسب دركاتهم، فبعضهم في الأسفل من النار، وبعضهم فوقَهم وأخفّ عذابًا، فخلْق الجنةِ والنارِ فطريّ [و] عقليّ أيضًا، كما هو نقليّ قطعيّ.

---

(١) ما بين القوسين مأخوذ من نسخ الكتاب.

(٢) أخرجه مسلم، ح: (٦٧٦٨)، تقدم تخريجه.

فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ أَدْخَلَهُ عَدْلًا مِنْهُ. وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ. وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ.

قوله: فضلا منه: قد سبق تفصيل العدل والفضل.[1]

[كلّ يعمل بما سبق القدر له، ويصير إلى ما خُلِق له]

قوله: وكل يعمل لما فرغ منه: أي لِما فرغ من تشخيصه وتحديده وكمِّه وكيفِه حسب مشيئته وتقديره السابق المبرم في علم الله، وكل ذلك كتب بالقلم الأعلى في اللوح المحفوظ، وفي الورقة المعلّقة في عنق العبد في رحم أمه: كم أجله؟ وكيف عمله؟ شقيّ أم سعيد في علم الله؟ قد جفّ القلم على علم الله، لا يتبدّل ولا يتحوّل. فالإنسان من أوله إلى آخره متعلق بما سبق، لا بما يأتيه مستأنفًا في المستقبل؛ لقوله ﷺ: [فيما روي] عن عمران بن حصين: إن رجلين من مُزَينة أتيا رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله، أرأيتَ ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيءٌ قضي عليهم ومضى فيهم من قدرٍ قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيّهم، وثبتت الحجّة عليهم؟ فقال: «لا، بل شيءٌ قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝﴾» (الشمس: ٧، ٨) (رواه مسلم).[2]

والحاصل أن علمه تعالى قطعيّ محيط، وتقديره مبرم محيط لكلّ مخلوق، وكلاهما قد سبقا خَلْق الخلق؛ فلا يمكن أن يتخلّل، أو تكون حالة منتظرة فيه من أيّ جهة، من زيادةٍ أو نقصانٍ، فينساق كلّ شيء إلى ما خُلِق له، لا يمكن أن يتجاوز عنه.

قوله: وصائر إلى ما خلق له: لقوله ﷺ: «اعملوا، فكلّ ميسّرٌ لما خُلِق له»،[3] وقوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ (الليل: ٧)، و﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾ (الليل: ١٠)، كما مرّ.[4]

قوله: والخير والشر مقدّران على العباد: قد مرّ تفصيله ومآخذه من النصوص القطعية.[5] ولا يلزم منه الجبرُ والاضطرارُ =

(١) تقدم تحت شرح قول الطحاوي: «يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي من يشاء فضلًا، ويضلّ من يشاء، ويخذل ويبتلي من يشاء عدلًا».

(٢) انظر «صحيح مسلم»، ك: القدر، ب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ح: (٦٧٣٩).

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم، واللفظ له، عن علي - كرّم الله وجهه - مرفوعًا، في ك: القدر، ب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ح: (٦٧٣٣). والبخاري في ك: التفسير، ب: قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝﴾ (الليل: ٥)، ح: (٤٩٤٥) و(٤٩٤٧) و(٦٢١٧).

(٤) مرّ الكلام عليه تحت شرح قول الطحاوي: «وكلّ ميسّر لما خلق له».

(٥) مرّ الكلام عليه في مواضع عديدة، تحت شرح قول الطحاوي: «وكل ميسّر لما خلق له»، وقوله: «والسعيد مَن سعدَ بقضاء الله، والشقيّ مَن شقيَ بقضاء الله»، وتحت شرح قوله: «وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه».

وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ تَكُونُ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (البقرة: ٢٨٦)

= في الإنسان؛ ليحتجّ بتقديره ومقسومه على معصيته؛ لأن المقدَّر ليس أن يعمل فقط، بل المقدَّر أن يعمل بإرادته واختياره، لا بأن يعمل مضطرًّا ومجبورًا، والمؤاخذة على الاختيار والإرادة، فلا يصير الإنسان بتقدير الله السابق مجبورًا ومضطرًّا في أفعاله؛ لأن التقدير يشتمل أولًا على علمِه تعالى بخلقه، وبه يثبت أن الإنسان معلوم لا مجبور، ثم تخليقِه بحكمته القديمة، فيثبت منه أن الإنسان مملوء من الحكمة لا أنه مجبور، ثم إرادتِه تعالى بخلقه[1] حسب علمه، فيثبت منه أنه مراد بإرادته تعالى لا أنه مجبور.

فمن أيّ جهة يثبت أن الإنسان بالتقدير يكون مجبورًا أو مسلوب الاختيار؟ فلا يجوز له أن يحتجّ على معصيته بالتقدير زاعمًا أنه مجبور ومضطرّ في المعصية، فلا دخل للتقدير في الجبر من أيّ جهة، ولا يثبت منه نفي الاختيار، وأيضًا ليس فيه نفي الأسباب التي تترتّب عليها العواقب، وهي أعمالُ الإنسان خيرُها وشرُّها.

وبالجملة: التقدير لا ينافي عمل العبد بإرادته واختياره، ولذا أثبت الله للإنسان كسبه وعمله في جنب التقدير، وجعل عمله سببًا لدخول الجنة أو النار مع إثبات التقدير، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢)، وقال تعالى في النار: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٣٩). فلا يُعاقَب أحد إلا بعد كسب أسباب العقاب، فالموجِب والمسبِّب هو الله، والكاسب والمباشر هو العبد، ولا منافاة بينهما، كما أن الله تعالى خالق للولد، ولكن لا يتكوّن الولد إلا بعد حصول سبب الولادة، وهو الوقاع، فلا منافاة بين تخليقه وبين وقاع الإنسان.

[مسألة الاستطاعة وأقسامها]

قوله: والاستطاعة ضربان: لا بدّ للمكلف من الاستطاعة؛ لأن تكليفَ ما لا يطاق ممنوعٌ في الدين؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦). والاستطاعة أو القدرة على ضربين، وأظنّ أنها على ثلاثة أقسام، كما يستفاد من قول المصنف رحمه الله بإشارته إلى ثالث ثلاثة بإيضاح صفتها، وإن قسّمها على ضربين، اندمج الثالث في الاثنين.

الأول: الاستطاعة بمعنى الصحّة والوسع والتمكّن وسلامة الآلات. وهي لا بدّ أن تكون في العبد قبل الفعل؛ لأنها يتعلق بها الخطاب، ولا يكون الخطاب إلا بعد تهيُّؤ الأسباب، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، وفي قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، وفي قوله تعالى: =

(١) كذا في (ق)، وفي (ج): إرادته تعالى خلقه.

....

= ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ (المجادلة: ٤)، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ (النساء: ٢٥).

والثاني: الاستطاعة بمعنى القدرة، وهي لا بدّ أن تكون في العبد مع الفعل، فبها يتعلق وجود الفعل، ولا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة، وهي في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ (هود: ٢٠). والمراد: نفي حقيقة القدرة لا نفي الأسباب والآلات؛ لأنها كانت ثابتة. وكذا قول صاحب موسى:[1] ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٦٧)، فالمراد منها: حقيقة قدرة هذا الصبر لا أسباب الصبر وآلاته؛ فإنها كانت ثابتة؛ لأنه عاتبه على ذلك، ولا يلام عند انعدام آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل، وإنما يلام مَن امتنع عن الفعل لتضييع قدرة الفعل؛ للاشتغال بغير ما أُمِر به، أو عن شغله إياها بفعل ما أُمِر به.

ثم استطاعة أخرى خُصَّ بها المؤمن، بمعنى إعانة الله وتوفيقه، وهي القسم الثالث، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٧)، والكفار ليسوا راشدين. وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥)، وقوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٧). وهذا هو المراد بقوله: «أحدهما: الاستطاعة التي يوجد بها الفعل نحو التوفيق» إلخ.

والمعتزلة ينكرونها، ويجعلون هذا التحبيب والتزيين والإهداء عامًّا لجميع المخلوقات، فردّ عليهم المصنف بقوله: «الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به»، فضلًا أن يكون عامًّا لجميع المخلوقات بأن يكون غريزةً فيه،[2] بل هي فضل من الله، والكفارُ لا يكونون محلّ الفضل، فكيف يمكن أن يكون لهم فضل، ويكون عامًّا لجميع المخلوقات؟

فالشيخ ﷺ اختصر في توزيع الاستطاعة إلى قسمين، وما صرّح بالقسم الثالث بعنوان مستقلّ، ولكن بيّن أوصافه في القسمين المعروفين في القوم؛ ردًّا على المعتزلة، فالثالث يستفاد منهما بتبيّنِ[3] أوصافه. وأيضًا ردّ بقوله: «التي يوجد بها الفعل» على المعتزلة والقدرية القائلين بأن لا تكون الاستطاعة قبل الفعل.

والقول الوسط من أهل السنة ما قلنا آنفًا: أنّ واحدةً من الاستطاعة تكون قبل الفعل، وهي بمعنى الصحّة والوسع والتمكن من الآلات، وواحدةً تكون مع الفعل، وهي بمعنى حقيقة القدرة، وواحدةً منها بمعنى التوفيق خاصة للمؤمنين، وهي فضل من الله، لا غريزة طبعية.

---

(١) هكذا في (ق)، وهو الصحيح، وفي (ج): «وكذا قول موسى لصاحبه».
(٢) في الأصول: «عزيزة»، والصحيح ما أُثبت.
(٣) هكذا في (ق)، وفي (ج): «بتبيين أوصافه» من التفعيل.

وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هِيَ بِخَلْقِ اللهِ وَكَسْبٍ مِنَ الْعِبَادِ.
وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَهُ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ، ....

[أفعال العباد خلقٌ من الله وكسبٌ من العباد]

قوله: هي بخلق الله: لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)، ولعموم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر: ٦٢).

قوله: وكسب من العباد: لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦). زعمت الجبرية أن التدبير في أفعال الخلق كلِّها لله تعالى لا للعباد، وهي كلها اضطرارية كحركات المرتعش وحركات الأشجار والبحار، وإضافتها إلى الخلق مجازية كما يضاف الشيء إلى محلّه. وعارضتْهم المعتزلة وقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية بتخليقهم لا بخلق الله.

وأهل السنّة والجماعة قالوا: إن الله خالق لجميع ما سوى الله من الأعيانِ وأفعالِهم، إلا أن الكاسب لأفعالهم هو الخلْق بإرادتهم واختيارهم. فكل دليل صحيح يقيمه القدريّ، فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله، وأنه مريد له ومختار فيه، وهو لا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته. وكل دليل صحيح يقيمه الجبريّ فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، ولا يدل على أن العبد ليس بكاسب ولا فاعل ولا مريد ولا مختار؛ لأن القرآن كما أثبت لله خلْقَه وقدرَه، كذا أثبت للعبد كسبَه وفعلَه بإرادته واختياره.

فالجبريةُ غلَوا في إثبات القدر؛ فنفوا صنع العبد أصلًا، والقدريةُ غلَوا في نفي القدر؛ فجعلوا العباد خالقين، ويستفاد من دليل كل فريقٍ بطلانُ قول الآخرين، وأهلُ السنّة - بحمد الله - على عدل واعتدال، وما كان أمرهم فرطًا. ودلائل كل فريق منهم مفصّلة في كتب الفن.

[التكليف بقدر الاستطاعة]

قوله: ولم يكلفهم الله إلا ما يطيقونه: لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ولقوله تعالى في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

قوله: ولا يطيقون إلا ما كلفهم: لاقتضاء قوله تعالى المذكور: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. وبيانه: أن الله تعالى لما كلفهم بقدر وسعهم فمعناه: أن مقدار تكليفهم يساوي مقدار وسعهم، كأنه إذا كِيلَ التكليفُ بكَيل الوسع ينطبق التكليف على الوسع انطباق النعل بالنعل، وهذا لا يمكن إلا أن يكون مقدار الوسع أيضًا يساوي مقدار التكليف؛ لأن المساواة والمطابقة بين الشيئين تكون من الجانبين، لا يمكن أن يكون واحد منها يساوي الآخرَ، والآخرُ لا يساويه، وإلا بطل دعوى المساواة.

فلما دلت الآية الكريمة على أن التكليف بقدر الوسع، أي يساوي التكليفُ الوسعَ، دلّت أيضًا على أن يكون الوسع بقدر التكليف ويساويه وينطبق عليه، فلا يمكن أن يكون الوسع أكثر من التكليف أو أقلّ منه، فكما ثبت =

وَهُوَ حَاصِلُ تَفْسِيرِ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. نَقُولُ: لَا حِيلَةَ وَلَا حَوْلَ وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا.

= بهذا النص أنهم لا يكلَّفون إلا ما يطيقون، ثبت أيضًا أنهم لا يطيقون إلا ما يُكلَّفون، إلا أن التكليف بقدر الوسع ثبت من عبارة نصه، والوسع بقدر التكليف ثبت من اقتضاء هذا النص، ومزيد التفصيل في «التتمة».

قوله: وهو تفسير قول: لا حول ولا قوة إلا بالله: لأنه لما ثبت أن الله هو المكلِّف لعباده لا غير، وأنه هو المنزِّل لهم الدينَ لا غير، وأنه هو واضع التطابق بين التكليف والاستطاعة لا غير، وأنه هو يعلَمها كلَّها ويقدِّرها لكلِّها قبل خلقهم لا غير، لاحَ منه توحيده وتقديره وحدَه ومشيئته وقضاؤه وحدَه في جميع أمور العباد في المعاش والمعاد، لا شريك له في حكمه وخلقه ومشيئته وتقديره. وهذا هو معنى «لا حول ولا قوة إلا بالله».

فهذه المسألة دليل مستقلّ على إثباتِ القدر لله، ونفيِ القدر عن العباد، كما قال الشيخ: «لا حيلةَ ولا حولَ ولا حركةَ لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوّةَ لأحد على إقامةِ طاعة الله والثباتِ عليها إلا بتوفيق الله»؛ لقوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: ٢٠).

ولكن لما كان يحتمل أن يفهم منه الجبر في الانسان كما قاله الجبرية، دفعه بقوله: «فغلبت مشيئتُه المشيئاتِ كلَّها، وغلب قضاؤُه الحيلَ كلَّها». وتفصيله: أنه ليس معنى نفي الحيلة والحول عن العبد نفيَها على الإطلاق، بأن لا مشيئةَ للعبد رأسًا ولا إرادةَ له ولا اختيارَ له، كأنه جماد لا يعقل ولا يشعر، بل معناه: أن للعباد أيضًا مشيئة، ولكنها لا تتحرك إلا بمشيئة الله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠).

فنفي الحيلة عن العبد لا بمعنى نفي الكسب عن العبد، فكسبه إرادي واختياري، لا تخليقي منه، فالله هو الخالق لجميع أفعال العباد، والعبد هو الكاسب لها، فيترتب خلق الأعمال على الكسب؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف: ٥). ولذا أضاف القرآن جميع أفعال العبد إلى العبد بقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٨)، وبقوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٩). وأضاف الخلق إلى الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)، كما مر. وهذا هو خلاصة التوحيد بأن الأمرَ والخلقَ كلَّه يرجع إلى الله وإلى مشيئته، ولكن لا ينتفي منه إرادةُ العبد وفعلُه وكسبُه.

[كلُّ شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه]

قوله: وكل شيء يجري بـ ... قضائه: يريد بقضائه القضاء الكونيّ لا الشرعيّ، فالقضاء إما يكون كونيًا وإما شرعيًا، أما القضاء الكوني ففي قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: ١٢)، وأما القضاء الشرعي ففي قوله تعالى: =

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.
(الأنبياء: ٢٣)

= ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣). وكذا الأمر كوني وشرعي، أما الأمر الكوني ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، والأمر الشرعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (النحل: ٩٠).

وكذا الإذن يكون كونيًا وشرعيًا، فالإذن الكوني في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٠٢)، والإذن الشرعي في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ٥).

والكتاب أيضًا يكون كونيًا وشرعيًا، فالكتاب الكوني في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ (فاطر: ١١)، والكتاب الشرعي في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ (المائدة: ٤٥). والحكم أيضًا كوني وشرعي، فالحكم الكوني في قوله تعالى عن أولاد يعقوب ﵇: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ (يوسف: ٨٠)، والحكم الشرعي في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: ١).

وكذا التحريم يكون كونيًا وشرعيًا، فالتحريم الكوني ففي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٢٦)، والتحريم الشرعي في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ (المائدة: ٣).

ففي كل من هذه الحقائق يقال: إن أفعال العبد بإرادة الله وعلمه وقضائه ومشيئته وحكمه وإذنه تكوينًا وشرعيًا، لكنّ إرادتَه وقضاءَه وحكمَه وإذنَه يجري في العبد في ضمن إرادة العبد وقضائه وفعله، فلا ينتفي من إرادة الله إرادةُ العبد، فكما يثبت منه قضاء الله بإرادته ومشيئته في أفعال العبد يثبت أيضًا كسب عباد الله بإرادتِهم ومشيئتِهم، فليس للعبد اختيار مستقلّ مستغنٍ عن الله، بل هو تابع له في خلقه وصدوره منه.

قوله: وهو غير ظالم أبدا: هذا تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد وقبائحِهم مع أنها مخلوقة من الله، يعني أنه خالق أفعالِ العباد خيرِها وشرِّها مع أنه مُنزَّه عن قُبح هذه الأفعال. وهذا قول وسط بين قولَي القدرية والجبرية، فما كان من بني آدم ظلمًا وقبحًا لا يكون من الله ظلمًا وقبحًا - العياذ بالله - كما تقوله القدرية؛ إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره، والله ليس كذلك. وأيضًا الظلم: هو التصرف في ملك الغير، وليس له شريك في الملك، فكل تصرف يكون في الكون أو الأمر من الله يكون تصرفًا في ملكه، لا في ملك الغير، فأين الظلم؟

قوله: لا يُسأل عما يفعل: والسؤال يقع على (كل)[1] شيء يكون على خلاف الحجة، وإذا كان الله هو الحجةَ، بل جميعُ الحُجج تكون حجةً؛ لانتسابها إلى الحق والعدل، والحقّ والعدل هو ذاته تعالى وتقدس، فمن ذا الذي يسأله؟ وبأيّ حجة يسأل؟ إذا كانت نفسه الكريمة حجةَ الحجج، فلا يُسأل عما يَفعل، وهم يُسألون.

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من (ق).

وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ لِلْأَمْوَاتِ وَصَدَقَتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ.
وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ.

[انتفاع الأموات من سعي الأحياء]

قوله: وفي دعاء الأحياء ... منفعة للأموات: اتّفق أهل السنّة على أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بطُرق عديدة، ذكر المصنف منها طريقين، **أحدهما**: دعاء المسلمين واستغفارهم للأموات؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ (الحشر: ١٠)، وكذا الأدعية التي وردت بها السنّة في صلاة الجنازة، وكذا الدعاء عند الدفن، والدعاء عند زيارة القبور؛ لينتفع بها المقبور. **وثانيهما**: الصدقة وإنفاق المال للميت، أي العبادة المالية؛ لحديث عائشة ﵂ في مَن تصدّق عن أمّه بعد إذن رسول الله ﷺ: «أنه يصل إليها أجرها».[١] وأمثال ذلك كثيرة في السنّة، والطرق الباقية في «التتمّة».

[استجابة الله دعاء عباده وقضاؤه حاجاتهم]

قوله: والله تعالى يستجيب الدعوات: لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ (غافر: ٦٠)، ولقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ (البقرة: ١٨٦). والدعاء أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضارّ، حتى فهمَ هذه النكتة الكفارُ أيضًا في حالة الاضطرار، كما أخبر الله - سبحانَه - عنهم في قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)، وأخبر عن الناس عامّةً: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا﴾ (يونس: ١٢).

وقال النبي ﷺ: «مَن لم يسأل اللهَ يَغضبْ عليه»، (رواه ابن ماجه)،[٢] على عكس المسؤولين من الناس، فهُم يغضبون بالسؤال. وأنشد منشد:

الربُّ يَغضب إن تركتَ سؤاله ... وابنُ آدم حين يُسأل يَغضب

قوله: ويقضي الحاجات: لقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ (النمل: ٦٢)، ولقوله تعالى: ﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ (غافر: ٦٠)، وقوله: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ (البقرة: ١٨٦)، كما مر. وتثبت منه ضرورة اختيار الأسباب؛ فإن الدعاء أيضًا من أسباب النجاح وحصول المطالب، بل أقوى الأسباب. فالأسباب لا بدّ منها في عالَم =

---

(١) لعل الشيخ أراد به الحديث الذي أخرجه البخاري [في ك: الجنائز، ب: موت الفجأة البغتة، ح: (١٣٨٨)، و(٢٧٦٠)] ومسلم [في ك: الزكاة، ب: وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، ح: (٢٣٢٦)] عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: إن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أُمّي افتُلِتتْ نفسها، وأظنّها لو تكلّمتْ تصدّقتْ، فهل لها أجر إن تصدّقتُ عنها؟ قال: «نعمْ».

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الترمذيُّ عن أبي هريرة ﵁ مرفوعًا، في أبواب: الدعوات، ب: من لم يسأل الله يغضب عليه، ح: (٣٣٧٣). وأخرجه ابن ماجه بلفظ: «مَن لم يدعُ الله سبحانه، غضبَ عليه»، في أبواب: الدعاء، ب: فضل الدعاء، ح: (٣٨٢٧). والحديث حسّنه الصنعاني في «التحبير لإيضاح معاني التيسير» (٤/ ٤٥).

وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُسْتَغْنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخُسْرَانِ (الْحَيْنِ).(١)

وَإِنَّ اللهَ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، ....

= الأسباب؛ فإن الشريعة لا تعطِّلها ولا تجعلها مدارًا ومؤثرًا بالذات. فالالتفات الكلي إلى الأسباب بالاستقلال شركٌ في التوحيد، وإلغاؤها كليّةً نقصٌ في العقل، والإعراض عنها رأسًا قدحٌ في الشرع. فالاستغناء المطلق عن الأسباب أنانيةٌ، والانهماك المطلق فيها ذلّةٌ، واختيارها في الجملة مع التوكّل على الله عبديةٌ.

[الله مالكٌ كل شيء وغنيٌّ عنه]

قوله: ويملك كلَّ شيء، ولا يملكه شيء: لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ١٢٠).

قوله: ولا غنى عن الله طرفة عين ... : لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥). والخلق هو المحتاج إلى الله في وجوده وبقائه وحياته وموته ورزقه وكسبه وفي جميع حركاته وسكناته في جميع العوالم، فكيف يستغني المحتاج المطلق عن الغني المطلق؟ وهو المالك القدير الخالق الخبير جلَّ ذكره، فمن استغنى عنه فمعناه أنه عَدِمَ وفنيَ ومُحِيَ. و«الـحَين» بالفتح: الهلاك.

[غضب الله ورضاه]

قوله: والله يغضب: لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (المائدة: ٦٠).

قوله: ويرضى: لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: ١٨)، ولقوله تعالى في الصحابة: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

والمذهب المنصور: إثباتُ صفة الغضب والرضا، والعداوة والولاية، والحبّ والبغض، ونحو ذلك، للهِ تعالى، كإثبات السمع والبصر والحياة والقدرة والعلم والكلام وغيرها، وهي حقيقةٌ فيه تعالى لا مجازٌ، لكن لا ندري كيفيتها، ولا يجوز التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى.

فالغضب والرحمة وغيرهما وإن أطلقت على الانسان كما تطلق على الله جل ذكره، لكن هذا الاشتراك لفظي، لا من حيث المعنى، فيثبت معنى الرضا والغضب فيه جل ذكره، كما يليق بشأنه. هذا غضب مالكٍ خازنِ النار وغضب الملائكة على المنكرين لا يجب أن يكون مماثلًا لغضب الآدميين؛ لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة، حتى تغلي قلوبهم دمًا، كما يغلي دم قلب الانسان عند غضبه، فما ظنك بغضب اللهِ اللطيف الخبير، المنزهِ عن الجسم =

(١) ما بين القوسين مثبتٌ من النسخة القديمة ونُسخ الكتاب، وبناء على ذلك شرح المؤلف ﵀ كلمة «الحَين».

لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى.

وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

= وخواصه، والمقدسِ عن الروح ولوازمه، سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح!؟

قوله: لا كأحد من الورى: لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). فكما أن سمْعه وبصره ليس كسمعِ أحد وبصرِه من الورى، فكذا رضاؤه وغضبه ليس كغضب أحد ورضائه من الورى.

[عقيدة أهل السنة في الصحابة ﷺ]

قوله: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ: لأن الله أحبهم؛ لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤). وكلّ محبوبِ لله لا بدّ أن يكون محبوبًا للخلق. ولأن محبتهم من آثار محبة النبي ﷺ؛ لقوله ﷺ: «فمَن أحبَّهم فبِحبّي أحبَّهم، ومَن أبغضَهم فبِبغضي أبغضَهم».[١] فكل من يحبّ رسولَ الله ﷺ لا بدّ أن يحبّهم، ولا يمكن أن لا يحبّهم.

قوله: ولا نفرط في حبّ أحد منهم: لأن الإفراط والتفريط من الغلو، وهو منهي عنه في جميع شعب الدين، ومنها حبُّهم؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١). فالروافض غلُوا في محبة أهل البيت، والخوارج غلُوا في عداوتهم، وأهل السنّة على الحق والاعتدال، يحبّونهم كلَّهم بلا تخصيص أحد منهم، لا يغلون في المحبة، ولا يقولون إلا الحق، فلا يُطرون في مدحهم بأنهم معصومون مثل الأنبياء، ولا يقولون: إنهم كانوا رجالًا كأمثالنا، خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا. وأشار علي ﷺ إلى هذين الفرطين، فقال: «يَهلك فيّ رجلان: محُبّ مُفرِط يُقرّظني (أي يمدحني) بما ليس فيّ، ومُبغِض يحمله شَنَآني على أن يبهتني (أي يفتري عليّ)».[٢]

[لا يجوز التبرّؤ من أحد من الصحابة]

قوله: ولا نتبرّأ من أحد منهم: كما فعلت الروافض، فعندهم لا ولاءَ إلا ببراءٍ، أي لا يتولّى أهلَ البيت أحدٌ حتى يتبرّأ عن أبي بكر وعمر ﷺ. والخوارج يقولون عكسه، بأنه لا يتولّى الشيخَين أحدٌ حتى يتبرّأ عن عليٍّ وعثمانَ وأهلِ =

---

(١) هو جزء من حديث أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مغفل ﷺ مرفوعًا، [في أبواب: المناقب، ب: في مَن سبّ أصحاب النبي ﷺ، ح: (٣٨٦٢).] وتمامه: «الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتّخذوهم غَرَضًا بعدي، فمَن أحبَّهم فبِحبّي أحبَّهم، ومَن أبغضَهم فبِبغضي أبغضَهم، ومَن آذاهم فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله، ومَن آذى الله فيوشك أن يأخذه». وابن حبان في «صحيحه»، ح: (٧٢٥٦). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، ح: (١٣٧٦). والحديث حسن بشواهده. انظر «مسند أحمد» (٢/ ١٦٧، ط: دار الحديث، القاهرة).

وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، [وَبِغَيْرِ الْحَقِّ يَذْكُرُهُمْ]،(١) وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ لَا نَذْكُرُهُمْ.

= البيت ﷺ، وهم واجب القتل عندهم. وأهل السنة أهل الحق، يوالونهم كلّهم جميعًا، ويُنزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والديانة، لا بالهوى والغواية، ويؤمنون بما قال النبي ﷺ في مناقب الخلفاء الأربعة ومناقب العشرة المبشرة ومناقب الصحابة ومناقب أهل البيت كلّهم، ويقولون: إنهم كلّهم عدول، كما نص القرآن بتقديسهم من حيث الطبقة. فعندهم: حبهم من مقتضيات الدين والإيمان، وهم أول رواة الدين عن النبي ﷺ روايةً واستفادةً، وأول هداة الإيمانِ واليقينِ درايةً وفقهًا. فأشار الشيخ إلى ردّ الروافض والخوارج والنواصب. ومزيدُ الثناء على الصحابة من الله ﷻ في «التتمة».

كما لم يتبرأ القرآن من أحد منهم، بل قدّسهم جميعَهم من حيث الطبقة، وشهد الله لهم برضاه عنهم ورضاهم عنه بأنهم راضون مرضيّون، بقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

[بغضُ مبغضي الصحابة والمسيئين لذكرهم إيمانٌ]

قوله: ونبغض من يبغضهم: لقوله ﷺ: «ومَن أبغضَهم فببغضي أبغضَهم»،(٢) ولأن باغض المحبوب مبغوض عند المحبّ طبعًا. وحبّهم من الدين والإيمان، كما نص عليه القرآن بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ (المائدة: ٥٤)، ومن هو محبوب عند الله محبوب لجميع من يحبّه ويطيعه، فمن يكون باغضهم يكون مبغوضًا عند أهل القرآن عقلًا وطبعًا.

قوله: وبغير الحق يذكرهم: وباغضهم هو من يذكرهم بالشرّ، ويسبّهم، ويسيء الأدب بهم. وهو واجب القتل عند بعض الأئمة، وواجب التعزير عند البعض.

قوله: وبغير الخير لا نذكرهم: لقوله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».(٣) إلا أن القرآن خصّهم بالخير الخاصّ الذي لا نصيبَ لغيرهم منه، وهو أنهم رأوا النبي ﷺ رأيَ عين، وسمعوا صوته الكريم بآذانهم، ولمسوا يده الشريفة بأيديهم، وصاحبوه بالإيمان بلا واسطة، واستنارت أبدانُهم وأرواحُهم وقلوبُهم بنوره، وهذا شرف وخير خاصّ [بهم]، ليس لغيرهم منه نصيب. ولذا نقول ونعتقد أن الصحابة كلّهم عدول، وإجماعهم حجة قطعية، يكفر من ينكرها؛ لأن قلوبهم ممتحنة للتقوى، كما نص عليه القرآن بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ (الحجرات: ٣)، وما قال لأحد من غيرهم من حيث الطبقة.

---

(١) ما بين القوسين مثبت من النسخة القديمة، وكذلك من نُسَخ الكتاب.

(٢) تقدم تخريجه تحت شرح قوله: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ».

(٣) أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا، في ك: الشهادات، ب: لا يَشهد على شهادة جور إذا أُشهِد، ح: (٢٦٥٢)، و(٣٦٥١)، و(٦٤٢٩). ومسلم في ك: فضائل الصحابة، ب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ح: (٦٤٧٢). والحديث مخرَّج في الصحيحين وغيرهما بألفاظ أخر.

وَنَرَى حُبَّهُمْ دِينًا وَإِيمَانًا وَإِحْسَانًا، وَبُغْضَهُمْ كُفْرًا وَشِقَاقًا وَنِفَاقًا وَطُغْيَانًا.
وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ ....

[حب الصحابة ﷺ دين وإيمان وإحسان]

قوله: وحبُّهم دين وإيمان وإحسان: لأنه هو مقتضى النصوصِ الشرعيةِ التي وردت في مناقبهم، والتوصيةِ بهم الخيرَ، فدخل حبّهم في مسمى الإيمان. وأيضًا هو صريح في قوله ﷺ: «الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتّخذوهم غَرَضًا بعدي، فمَن أحبَّهم فبِحُبّي أحبَّهم، ومَن أبغضَهم فبِبُغضي أبغضَهم، ومَن آذاهم فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله، ومَن آذى الله فيوشك أن يأخذه».[1]

ولما كان حبهم بحب النبي ﷺ، وحبه أصل الإيمان، صار حبهم بواسطة حبه ﷺ من الإيمان بحسب الاستدلال، لكنه حقيقة في المؤمن بحسب الحال. ومزيد أسباب محبتهم من النصوص القطعية في «التتمة».

[مسألةُ الاستخلاف وتفصيلُها]

قوله: ونُثبِت الخلافةَ ... : ذكر المصنف مسألة الخلافة، وعدّها من العقائد، وكان ذلك حقها، فهي من العقائد الضرورية؛ لأهميتها في الدين؛ فإنها أساس سياسة الدين، ومبنى مباني الاجتماعية في الإسلام؛ فإن لها لشأنًا عظيمًا في الإسلام مع قطع النظر عن منافعها وبركاتها؛ لأنها نيابةُ الحق في عباده وخلافتُه في أرضه، فهي عهدة جليلة مع قطع النظر عن آثارها، منتقلة من لدن آدم ﷺ إلى نبينا ﷺ، ولأنها تمكين في الأرض، فشوكة الإسلام منوطة بقيامها؛ فإنها محافظةٌ للدين ناصرةٌ للحق المبين، فلولا الخلافة لفَعَلَ بالإسلام من شاء ما شاء، لا مانع له.

وأيضًا إن الخلافة نقطةٌ مركزيةٌ تجذب كمالات الغيب، ونقطةُ ظهور الكمالات الإلهية في عباده؛ لأن الخليفة لا يكون خليفة إلا بترشّح كمالات الأصل فيه، لا بفرض الفارض، ولا بترشيح أهل الرسوم بانتخابه الرسمي. وإن لم ينزل فيه كمالات الغيب لا يمكن أن يكون هو نائبه، فخليفة الله يكون مركزًا لجذب الكمالات الإلهية ومهبطًا لورود كمالاته. فالنتيجة واضحة؛ لأنه إذا لم تكن الخلافة في الأرض يبقى المسلمون فوضى، ولا ينزل كمالاتُ الاجتماعية الغيبية فيها، بل كمالاتُ الإسلام الخاصة الحادثة على جميع الأمة؛ فإنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بالإمام، فأيّ عظمة أعظم من هذه العظمة؟ وأيّ واجب أوجب من إقامة الخلافة في العالَم؟ وكفى بها قدرًا ومنزلةً.

وأيضًا لها خواصّ وآثار وصفات ومقتضيات وأركان وغايات، ولها تأثير عظيم في النفوس، يتبدل منها الجوّ، ويتنوّر القلوب بالأمن والأمانة والسلم والسلامة والإيمان والديانة، وبها يأمن الناس الفتنَ، ما ظهرَ منها وما بطنَ. وهذه الحقائق لا تنكشف إلا باكتشاف ما فيها من التأثيرات ووجوه التأثير فيها.

وأيضًا إن الملوكية والخلافة كانتا متشابهتين صورةً واسمًا؛ لأن في كلتيهما معنى الشوكة والعظمة والقوة مشترك، =

(١) تقدم تخريجه تحت شرح قوله: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ».

....

= فاختار الناسُ بعد انقضاء قرن الصحابة الملوكيةَ باسم «الخلافة»؛ لحصول الرئاسة والشوكة عامّة، فأبقوا اسمها وأفنوا حقيقتها؛ طمعًا في الشرف والمال، وهما ذئبان جائعان لقطيعة الغنم. فأقاموا رئاستهم باسم «الخلافة» أو بـ [اسم] «الحكومة الإسلامية»، واختاروا اسم «العدل» و«الأمن» و«تقوية الدين»؛ لتصريف وجوه الناس إليهم، لكن ارتكبوا على اسمِها الظلم والفساد والخدع والمكر السيّئ. ولما كانت أغراضهم مختلفة متضادّة حسب دواعي نفوسهم الأمّارة، تحاربوا بينهم لحصول السيادة أو لإبقائها، وألبسوها لبسة الدين، وألقوا على صنائعهم ستور العقائد بنسبها إلى الخلافة، وألزموها على الخلق، فصاروا بهذه الاعتقادات المتضادّة فرقًا متفرقةً وأحزابًا متحزِّبةً على عنوان «الخلافة والإمامة»، وجعلوا معناها على حسب مرادات أنفسهم وأهوائهم، فنسوا حظّها من تقوية الحق ونصرة الدين وتنفيذ أمر الله المتين واستئصال المنكر المبين، ووقعوا وأوقعوا في المهالك والمفاسد والضلال في عقائدهم وأعمالهم.

فأصبحت مسألةُ الخلافة معركةَ الآراء ومزلّةَ الأقدام ومركزَ الحروب والجدال والقتال، وصار الناس منها في عَمَهٍ وغَمَهٍ، لا سيما هذا الزمان في ظلمات منها، بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها.

فلا بدّ لنا أن نذكر بعض مقاماتها منقّحة، وبيان بعض مبانيها الأساسية، والفرق بين الخلافة والملوكية؛ ليرتفع حجاب التلبيس عنها حسب مناسبة المقام بقدر ما يحتاج إليه.

ومن البيّن أن الفرق بين الخلافة والملوكية ومعانيها لا يتأتى إلا ببيان خواصّهما وآثارهما وغاياتهما من الكتاب والسنّة، ولعله لا يكفي فيه الاقتصار على عنوان «الخلافة» أو ذكرها في سلسلة العقائد الإسلامية، كما اقتصر المصنف، إلا أنه ﷺ اقتصرَ وقنعَ بذكر عنوانها وعدّها من العقائد، ولم يتعرض لبيان حقيقتها ومعانيها؛ نظرًا إلى هذا الوجيز الذي هو فهرس لعنوانات العقائد بغير تفصيلاتها، أو نظرًا إلى زمانه وأهل زمانه؛ لأنهم [كانوا] يعرفون معاني الخلافة، وهي متعارفة في قلوبهم، والزمان زمان العلم والفراسة، لا حاجة إلى تفاصيلها المتعارفة في القلوب.

ولكن لما كان زماننا غيرَ زمانه ﷺ، والزمان زمان الجهل، والفساد، وزيغ القلوب، وكدورة الأرواح، ودورة الانتفاع باسم «كلِّ خيرٌ» من كل شرٍّ، وتلبيس المنكرات بأسماء المعروفات، لزم أن يُوضَّح معنى الخلافة والملوكية بالتمييز بين مقاصدهما وآثارهما، في ضوء الكتاب والسنة؛ ليرتفع حجاب التلبيس عن الخلافة، وليقع الحق، وليبطل ما كانوا يعملون. فأردت أن أبيّن ما في الخلافة من شؤونها على سبيل الاختصار، ولكن كان مقتضاه أن يزاد منا متنٌ وجيزٌ على متن المصنف، على منواله، فألحقته بآخر الكتاب، وجعلته تتمةً وتكملةً، وسمّيته بـ«مباني الخلافة والسياسة الدينية وغاياتُها».

قوله: «نثبت الخلافة» أي مطلق الخلافة وجنسها، وهي على نوعين، أحدهما: خلافة الله في العباد، وهي لأنبيائه، فأولُ خلفاء الله في أرضه رسلُه، صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين. لقوله تعالى في آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، ولقوله تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (ص: ٢٦)، ولقوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: =

بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ....

= ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤).

وجعَلَ النبي ﷺ خاتم الخلفاء مطاعًا لجميع الخلائق ومقتدًى به إلى يوم القيامة، وجعَلَ طاعتَه طاعةً لنفسه الكريمة، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠). وجعَلَ بيعته للناس بيعة يده لهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠). وجعَلَ رميَه رميَ نفسه الكريمة، فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧). وهذه شواهد ودلائل نيابتِه لله تعالى، وخلافتِه له، في كلّ الأمور، فهو خاتم النبوة وخاتم هذه الخلافة. ولقوله عليه السلام: «كنتُ إمام النبيين».[١] (المشكاة) والنبيون خلفاء الله، فهو إمام الخلفاء. ولقول ابن عباس رضي الله عنه: «إن الله فضّلَ محمدًا ﷺ على الأنبياء عليهم السلام وعلى أهل السماء».[٢] (المشكاة) والأنبياء خلفاء الله، فهو أفضل الخلفاء، صلاة الله وسلامه عليه ألف ألفِ صلاةٍ وسلام.

قوله: بعد رسول الله ﷺ: وهو النوع الثاني من الخلافة، وهي خلافة الأنبياء في أممهم لورثتهم الصالحين؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ (النور: ٥٥).

فبقوله جل ذكره: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ تثبت خلافة الأنبياء في ورثتهم قبل رسول الله ﷺ، كما شهد بها الله - جل ذكره - في مواضع، فقال في قوم نوح عليه السلام الذي هو أول الرسل: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ (يونس: ٧٣). وقولُه تعالى في قوم هود عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (الأعراف: ٦٩). ولقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام بعد إعطاء الإمامة له: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤). أي هذا المنصب لذريتك الصالحين لا للظالمين.

فكذا بعد رسول الله ﷺ انتقلت خلافته إلى الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين، كما تدل عليه كلمة القرآن: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وهم الخلفاء الراشدون ومَن بعدهم من الخلفاء المهديين. ولا تقوم الساعة حتى يظهر اثنا عشر خليفة في الأمّة؛ لقوله عليه السلام: «لا يزال أمر الناس ماضيًا، ما وَلِيَهم اثنا عشر رجلًا»... الحديث.[٣] فأول =

(١) هو جزء من حديث أخرجه الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعا [في أبواب: المناقب، ب: سلوا الله لي الوسيلة، ح: (٣٦١٣)]، وتمامه: «إذا كان يوم القيامة كنتُ إمامَ النبيّين وخطيبَهم وصاحبَ شفاعتهم، غيرُ فخر». وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) هو جزء من حديث أخرجه الدارمي، ح: (٤٦)، والطبراني في «الكبير»، ح: (١١٦١٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٤٥٧)، ح: (١٣٩٢٧): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير الحكم بن أبان، وهو ثقة.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه مرفوعًا، في ك: الإمارة، ب: الناس تبع لقريش، ح: (٤٧٠٦). والحديث مخرّج في الصحيحين وغيرهما بألفاظ أخر.

أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ؛ تَفْضِيلًا وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ، الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَكَانُوا بِهِ يَعْدِلُونَ.

وَإِنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ كَمَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ. وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

= الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق ﷺ، وآخر الخلفاء في الأمة المهديُّ، يظهر في آخر الزمان، كما وردت الإشارة إليه من رسول الله ﷺ في قوله: «كيف تهلك أمّةٌ أنا أوّلها، والمهديّ وسطها، والمسيح آخرها؟». (المشكاة).[١]

[ترتيب الخلافة في الخلفاء الراشدين ﷺ]

قوله: أوّلا لأبي بكر الصديق ﷺ: وأولية خلافته ﷺ إجماعية، إلا أن في طريق انعقادها أقوال، فبعضهم يقولون: إنها بالنصّ، ولا شكّ أن إشارات النصوص واضحة، وبعضهم يقولون: إنها بالانتخاب، كما وقعت الواقعة بأسبابها في الظاهر. ويمكن الجمع بينهما بأنها انعقدت بالانتخاب، والانتخاب كان مبنيًّا على إشارات النصوص، فهي منصوصة وانتخابية معًا؛ لتوافق النص والانتخاب.

قوله: تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة: لقوله ﷺ: «أفضلُ هذه الأمّة بعدَ نبيّها أبو بكر»، الحديث.[٢] فبالترتيب الذي انعقدت الخلافة فيهم من انتخاب الصحابة ﷺ هو ترتيب التفضيل بينهم، وكلّهم أفضل من جميع الأمة. والفرق بين الخلافة والملوكية في «التتمة».

[العشرة المبشّرون بالجنة]

قوله: وإن العشرة ... نشهد لهم بالجنة: لقوله ﷺ: «أبو بكر في الجنّة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزُّبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عُبيدة بن الجرّاح =

---

(١) أخرجه أبو نعيم في أخبار المهدي عن ابن عباس ﷺ، (ص: ٢٩). والحديث ليس بذاك القوي.

(٢) لم أجد هذا اللفظ مرفوعًا في دواوين السنّة التي بين يديّ، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» عن علي ﷺ موقوفًا عليه، ح: (٨٣٥). وأخرجه الحارث في «بغية الباحث» عن أبي هريرة ﷺ ح: (٩٥٩)، يقول: «كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ، ونحن متوافرون، نقول: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم نسكت».

وأخرجه الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر ﷺ: «كنا نقول - ورسول الله ﷺ حيٌّ -: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان، ويسمع ذلك النبيُّ ﷺ، ولا ينكره»، ح: (١٣١٣٢).

وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.
وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، ....

= في الجنة». (رواه الترمذي[1] عن عبد الرحمن بن عوف). وفضائلهم أكثر من أن تحصى.

[البراءة من النفاق لمن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته]

قوله: ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ ... : لأن النبي ﷺ قال: «الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتّخذوهم غَرَضًا بعدي».[2] فمخالفته بعد دعوى الإسلام نفاق أشدَّ النفاق.

قوله: ومن أحسن القول في ... أزواجه وذرّياته ﷺ: لقوله ﷺ في حديث طويل رواه مسلم: «أُذكّركم الله في أهل بيتي»،[3] ثلاثًا. وأخرج البخاري عن أبي بكر الصديق ﵁ قال: «ارقُبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته». (رواه البخاري)[4]

قوله: فقد برئ من النفاق: لأن سوءَ الظنّ بالصحابة وسبَّهم وإطراءَ المدح في أهل البيت برياء وسمعة ورسم، هو حاصل الرفض، وأصله النفاق؛ لأنه أسّسه منافق زنديق، وهو ابن السبأ اليهودي، فمن اقتفى آثاره يغرق في النفاق، ومن برئ منه، وأخلص القول في أهل البيت في الحدود الشرعية، وأحسن الظن بهم، فقد برئ من النفاق.

[أهل السنة لا يذكرون الصحابة وعلماء الأمة إلا بالجميل]

قوله: لا يُذكَرون إلا بالجميل: لاتباع قول النبي ﷺ: «أكرموا أصحابي، فإنهم خياركم»[5] إلخ. (المشكاة) ولقول النبي ﷺ: «النجوم أَمَنَة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماءَ ما تُوعَد، وأنا أَمَنَة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعَدون، وأصحابي أَمَنَة لأمّتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمّتي ما يُوعَدون»، (رواه مسلم).[6] ولذا ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الصحابة كلهم عدول. فحبّهم دين، وبغضهم نفاق، وهذا هو سبيل المؤمنين. =

(١) انظر «سنن الترمذي»، في أبواب: المناقب، ب: مناقب عبد الرحمن بن عوف ﵁، ح: (٣٧٤٧).
(٢) تقدم تخريجه تحت شرح قوله: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ».
(٣) انظر «صحيح مسلم»، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل علي بن أبي طالب ﵁، ح: (٦٢٢٥).
(٤) انظر «صحيح البخاري»، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ح: (٣٧١٣)، و(٣٧٥١).
(٥) أخرجه البغوي في «شرح السنة»، ح: عقب حديث (٢٢٥٣). والنسائي في «الكبرى»، ح: (٩٢٢٢). قال المناوي في «كشف المناهج» (٥/ ٢٥٨): رواه النسائي في عشرة النساء بسند صحيح.
(٦) انظر «صحيح مسلم»، ك: فضائل الصحابة، ب: بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، ح: (٦٤٦٦).

وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ.

وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، ....

= وبعد قرن الصحابة ﷺ قرنُ التابعين، يجب على الأمّة إكرامهم بعد الصحابة من العلماء والصلحاء؛ لشهادة النبي ﷺ بخيرهم بعد الصحابة في قوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».(١) وأيضًا أثنى عليه السلام على علماء الأمة ثناءً جميلًا بقوله: «إن العلماء ورثة الأنبياء».(٢) وأيضًا دعا لأهل الأثر والنظر بقوله: «نَضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم بلّغها، فرُبّ مبلَّغ أوعى من سامع».(٣) فيجب على الأمة توقيرُهم وتعظيمُهم والثناءُ الحسنُ عليهم وذكرُهم بالجميل.

قوله: ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل: لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥). (واتباع غير سبيل المؤمنين:)(٤) سبيل أمثال ابن سبأ وغيره من المنافقين، لا سبيل المؤمنين المخلصين.

[لا يفضل الأولياء على أحد من الأنبياء]

قوله: ولا نفضل أحدا من الأولياء على الأنبياء: لأن النبوة أصل الولاية، ينشأ الولي من النبي؛ فإنه لا يكون الوليّ وليًّا إلا باتباع النبي، وليس أن لا يكون النبي نبيًّا إلا باتباع الولي، وينشأ النبي من الولي؛ ففي الأمة ألوف من الأولياء، أهُم =

(١) تقدم تخريجه تحت شرح قوله: «ولا نذكرهم إلا بالخير».

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود [في ك: العلم، ب: الحثّ على طلب العلم، ح: (٣٦٤١)]، وتمامه: «مَن سلكَ طريقًا يطلب فيه علمًا سلكَ الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لَتضع أجنحتَها رضًا لطالب العلم، وإن العالِم لَيستغفر له مَن في السماوات ومَن في الأرض والحيتانُ في جوف الماء، وإنّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلةَ البدر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء وَرَثَة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا، ورّثوا العلم، فمَن أخذه أخذ بحَظٍّ وافر». والترمذي في أبواب: العلم، ب: فضل الفقه على العبادة، ح: (٢٦٨٢). وابن ماجه في أبواب: السنة، ب: فضل العلماء، والحثّ على طلب العلم، ح: (٢٢٣). وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١/ ٤٥٩)، ح: (٧٠٣): صحّحه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسّنه حمزة الكتاني، وضعّفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولذا قال شيخنا: له طرق يعرف بها أن للحديث أصلًا.

(٣) جزء من حديث أخرجه الطبراني في «الأوسط»، واللفظ له، عن جابر ﷺ، ح: (٥٢٩٢). والترمذي عن ابن مسعود ﷺ في أبواب: العلم، ب: الحثّ على تبليغ السماع، ح: (٢٦٥٧). وهو حديث روي عن نحو تسعة عشر صحابيًّا. انظر «نظم المتناثر» (١/ ٣٣).

(٤) ما بين القوسين مأخوذ من (ق).

وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ.

وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَتِهِمْ.

= كانوا يتبعون النبيَّ، أم كان النبي يتبع أولياءه؟ والأصل المتبوع يكون أفضل من الفرع التابع له طبعًا.

وأيضًا النبوة وهبية وانتخاب من الله، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، والولاية كسبية وإنابة من العبد إلى الله، يهدي إليه من ينيب لمن يشاء، والاجتباءُ من الله أفضلُ من إنابة العبد، فالنبي أفضل من الولي.

وأيضًا النبوة قد ختمت، فلا يمكن أن يكون بعد الخاتم نبيّ، والولاية باقية إلى يوم القيامة، ويمكن أن يكون ألوف من الأولياء في الأمة، فما هو خاصّ لأخصّ الخواصّ لا يمكن لغيره، يكون أفضلَ مما هو عامّ يمكن لجميع الناس بعد الإيمان.

وأيضًا إن النبي واجب الاتباع، لا ينجو أحد إلا بعد اتباع النبي، والولي ليس كذلك؛ فمن كانت النجاة موقوفة عليه يكون أفضل ممن[1] ليس كذلك. وأيضًا يكون النبي معصومًا قبل النبوة وبعد النبوة، والولي ليس كذلك، لا قبل الولاية ولا بعدها، فكيف يكون غير المعصوم أفضل من المعصوم؟

وأيضًا كان أصحاب النبي كلّهم مقدّسين من حيث الطبقة بشهادة القرآن بقوة تأثير النبي في القلوب والأرواح، والولي ليس بهذه المثابة، فكيف يكون ضعيف التأثير أفضل من قوي التأثير؟

وأيضًا الولاية عامة لجميع المتقين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (الأنفال: ٣٤)، بل لجميع المؤمنين حسب درجاتهم، والنبوة بعدد خاص محدودة في أخص الخواص من البشر. فأهل الإيمان كلّهم أولياؤه حسب درجات الإيمان، وليس كلّهم أنبياء، فما هو خاص لأخص الخواص من البشر، كيف يكون مفضولا مما هو عام لجميع الناس بعد الإيمان؟ ولكلٍّ من هذه الوجوه شهادات في الكتاب والسنة، فدعوى أفضلية الولاية على النبوة لا يطابق النصوص الصريحة.

قوله: ونبيّ واحد أفضل من جميع الأولياء: لقول النبي ﷺ: «أنا أكرم الأوّلينَ والآخرينَ [ولا فخرَ]». (رواه الترمذي)[2] والأولياء كلُّهم إما في الأولينَ أو في الآخرينَ، فالنبي ﷺ أكرم وأفضل من جميع الأولياء بل من جميع الأنبياء، فدعوى المصنف رحمه الله أن نبيًّا واحدًا أفضل من جميع الأولياء، حقّ صريح ومدلول للنصوص الواضحة.

[الإيمان بكرامات الأولياء]

قوله: ونؤمن بما جاء من كراماتهم: والكرامة: خرق العادة، كما أن المعجزة من الخوارق. =

(١) في (ح): «المن»، والصحيح ما أثبت.

(٢) انظر «سنن الترمذي»، أبواب: المناقب، ب: سلوا الله لي الوسيلة، ح: (٣٦١٦). وقال: هذا حديث غريب.

....

= والمعجزة تظهر على أيدي الأنبياء، والكرامة على أيدي الأولياء، وهي كالمعجزة في كونها فعلًا من أفعال الله، لا من فعل العبد، ولا هي في اختيار الولي يُظهِرها حيث يشاء، بل يُظهِرها الله على يده إظهارًا لشرفه وفضله على الناس حسب ما يقتضي المشيئة الإلهية. فالخارق إن كان مع الدين فهو الكرامة، وإن كان مع عدمه فهو الاستدراج أو التخييل، لا قيمة لها.

فالخارق في نفسه من حيث كونه خارقًا ليس معيارًا للقبولية عند الله أو الردّ من الله؛ لأنه لا يشترط فيه الإيمان أيضًا، فأصل القبولية عند الله هو الدين والاستقامة عليه، لا الخوارق المحضة.

وبالجملة: إن الكرامة من آثار معجزات الأنبياء، كما أن علم العالم التقي من آثار علم الأنبياء، وكما أن حسن الأخلاق في أهل الخلُق فرع أخلاق الأنبياء.

والكرامات من المشاهدات، لا تحتاج إلى الدليل، أما جنسها بحقيقتها، وهي خرق العادة، فهو ثابت بالكتاب والسنّة، والمحدثون وضعوا في كتبهم باب الكرامة،[١] ورووا عن الصحابة والتابعين ومَن بعدهم من الأولياء كراماتِهم: ١- كقول عمر: «يا سارية الجبل».[٢] ٢- وإضاءة عصا أسيد بن حضير وعباد بن بشر في ليلة شديدة الظلمة،[٣] ٣- وكأضياف أبي بكر الصديق، أكلوا عنده، فلا يرفعون لقمة إلا ربتْ من أسفلها أكثر منها.[٤] ٤- وسمِعَ سعيد بن =

---

(١) كالبيهقي في «دلائل النبوة»، وأبو القاسم القشيري في «الرسالة القشيرية»، والخطيب التبريزي في «مشكاة المصابيح»، والنووي في «بستان العارفين» وفي «رياض الصالحين».

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة عن ابن عمر رضي الله عنهما ح: (٣٥٥): أن عمر بن الخطّاب بعث جيشًا، وأمّر عليهم رجلًا يُدعى «سارية». قال: فبينا عمر يخطب الناس يومًا. قال: فجعل يصيح وهو على المنبر: يا ساريَ الجبلَ، يا ساريَ الجبلَ. قال: فقدم رسول الجيش، فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدوّنا فهزمناهم، فإذا بصائح يصيح: يا ساريَ الجبلَ، يا ساريَ الجبلَ. فأسندنا ظهورنا بالجبل، فهزمهم الله. فقيل لعمر، يعني ابن الخطّاب: إنك كنت تصيح بذلك. وحسّن ابن كثير إسناده في «البداية والنهاية» (١٠/ ١٧٥).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ح: (١٢٤٠٤) و(١٢٩٨٠) و(١٣٨٧٠). وابن حبان في «صحيحه»، ح: (٢٠٣٠) و(٢٠٣٢). وصححه الحاكم في «المستدرك»، ح: (٥٢٦١). وأقرّه الذهبي.

(٤) أخرجه البخاري [في ك: الأدب، ب: قول الضيف لصاحبه: لا آكل حتى تأكل، ح: (٦١٤١)، و(٣٥٨١)] عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: جاء أبو بكر بضيف له - أو بأضياف له -، فأمسى عند النبي ﷺ، فلما جاء قالت أُمّي: احتبستَ عن ضيفك - أو أضيافك - الليلةَ. قال: ما عشّيتِهم؟ فقالت: عرضنا عليه - أو عليهم -، فأبوا، =

وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، ....

= المسيب التابعي ﷺ في أيام الحرّة، حين لم يؤذّن في مسجد النبي ﷺ ثلاثة أيام، همهمةً - أي صوتًا خفيفًا - من قبر النبي ﷺ، وبها [كان] يعرف وقت الصلاة.[1] ٥- وإن سفينة مولى رسول الله ﷺ ضلّ عن الطريق، وإذا هو بالأسد، فنادى: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ، فأرني الطريق. فالأسد مشى في جنبه وهداه إلى الطريق.[2]

وأمثالها كثيرة مروية من السلف، والكتب مملوءة منها، فنؤمن بها ونصدّق بها.

[الإيمان بأشراط الساعة]

قوله: ونؤمن بأشراط الساعة: وفيها حديث حذيفة بن أسيد: أن النبي ﷺ قال: «إنها - أي الساعة - لن تقوم حتى تَرون قبلها عشر آيات». فذكر الدُّخانَ، والدجّالَ، والدابّةَ، وطلوعَ الشمس مِن مغربها، ونزولَ عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوجَ ومأجوجَ، وثلاثةَ خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطردُ الناس إلى محشرهم. (رواه مسلم)[3]

= - أو فأبى -، فغضب أبو بكر، فسبَّ، وجدّعَ، وحلف: لا يطعَمه. فاختبأتُ أنا، فقال: يا غنثر. فحلفت المرأة: لا تطعَمه حتى يطعَمه. فحلف الضيف - أو الأضياف -: أن لا يطعَمه - أو يطعَموه - حتّى يطعَمه. فقال أبو بكر: كأن هذه من الشيطان. فدعا بالطعام، فأكل، وأكلوا، فجعلوا لا يرفعون لقمةً إلا رَبا مِن أسفلها أكثر منها، فقال: يا أخت بني فِراس، ما هذا؟ فقالت: وقرّة عيني، إنها الآنَ لأكثرُ قبل أن نأكل. فأكلوا، وبعث بها إلى النبي ﷺ، فذكر أنه أكل منها».

ومسلم في ك: الأشربة، ب: إكرام الضيف وفضل إيثاره، ح: (٥٣٦٥).

(١) أخرجه الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز، ح: (٩٣)، قال: «لـمّا كان أيامُ الحرّة لم يُؤذَّن في مسجد النبي ﷺ ثلاثًا، ولم يُقَم، ولم يبرَح سعيد بن المسيّب المسجدَ، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمةٍ يسمعها من قبر النبي ﷺ»، في ك: المقدمة، ب: ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته.

قال المناوي في «كشف المناهج» (٥/ ٢٣٦): رواه الدارمي عن مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز، وساقه بلفظه، ورجاله رجال مسلم. وله شواهد عديدة، انظر «فتح المنان» (١/ ٥٦٨).

(٢) أخرجه البغوي عن ابن المنكدر في «شرح السنة» ح: (٣٧٣٢): «أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيشَ بأرضِ الروم، أو أُسِرَ، فانطلق هاربًا يلتمس الجيش، فإذا هو بالأسد فقال: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ، كان من أمري كيتَ وكيتَ. فأقبل الأسد، له بَصْبَصَة، حتى قام إلى جنبه، كلما سمع صوتًا أهوى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبه حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسد». وصحّحه الحاكم، ح: (٤٢٣٥) و(٦٥٥٠)، وأقرّه الذهبي.

(٣) انظر «صحيح مسلم» ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح: (٧٢٨٥).

مِنْهَا خُرُوجُ الدَّجَّالِ، وَنُزُولُ عِيسَى عليه السلام مِنَ السَّمَاءِ. وَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، ....

قوله: منها خروج الدجال: لحديث ابن عمر رضي الله عنه قال: ذُكِر الدجّال عند النبي ﷺ، فقال: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، - وأشار بيده إلى عينه -، وإن المسيح الدجّال أعور العين اليمنى، كأن عينه عِنَبَة طافية». (مسلم)[١]

وفي رواية: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذّاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه: ك ف ر».[٢] وفسّره في رواية: «أي: كافر».[٣]

قوله: ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء: لقوله[٤] ﷺ: «والذي نفسي بيده: ليُوشِكنّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَمًا عَدْلًا، فيَكسرَ الصليبَ، ويقتلَ الخنزيرَ، ويضعَ الجزيةَ، ويفيضَ المالُ، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها». ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٩). فالدجال مسيح الضلالة، وعيسى ابن مريم عليه السلام مسيح الهداية يقاوم الدجال ويقتله، والمسيح ينزل من السماء في بيت المقدس.[٥]

قوله: وخروج يأجوج ومأجوج: لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦).

قوله: ونزمن بطلوع الشمس من مغربها: لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٨). والمراد من بعض الآيات: طلوع الشمس من مغربها، =

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا، في ك: التوحيد، ب: قول الله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ (طه: ٣٩)، ح: (٧٤٠٧). ولم أجده في «صحيح مسلم».

(٢) أخرجها مسلم - واللفظ له - عن أنس بن مالك، في ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ح: (٧٥٤٨). والبخاري في ك: التوحيد، ب: قول الله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ (طه: ٣٩)، ح: (٧٤٠٨).

(٣) أخرجها مسلم في ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر الدجال، ح: (٧٣٦٤).

(٤) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، في ك: أحاديث الأنبياء، ب: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ح: (٣٤٤٨)، و(٢٢٢٢)، و(٢٤٧٦). ومسلم في ك: الإيمان، ب: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام حاكمًا بشريعة سيدنا محمد ﷺ، ح: (٣٩٠).

(٥) أخرج ابن ماجه [في ك: الفتن، ب: فتنة الدجال ونزول عيسى ابن مريم، ح: (٤٠٧٧)] عن أبي أمامة في حديث طويل: فقالت أُمّ شَرِيك بنتُ أبي العَكَر: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال: «هم يومئذ قليل، وجُلُّهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدّم يصلّي بهم الصبحَ، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصُّبحَ».

وهو دليل على أن نزوله يكون ببيت المقدس، ولكن ورد في حديث أخرجه أبو داود بسنده عن النواس بن سمعان مرفوعا [في ك: الملاحم، ب: خروج الدجال، ح: (٤٣٢١)]: «ثم ينزل عيسى ابن مريم عند الـمَنارة البيضاء شَرقِيَّ دِمَشْق، فيدركه [أي الدجّالَ] عند باب لُدٍّ، فيقتله». وكذلك عند الطبراني في الكبير، ح: (٥٩٠) من حديث =

وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا بِخِلَافِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ.

= كما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في «البخاري».[1]

قوله: وخروج دابة الأرض من موضعها: لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢). وصفتها في الأحاديث مفصلة.

[لا نصدّق كاهنا ولا عرّافا ولا من يخالف الكتاب والسنة]

قوله: ولا نصدّق كاهنا ولا عرّافا: لأن كلها من التخييلات، وفنّ من الفنون، يكون فيها إخبار عن الغيب، وإنما الغيب لله. فمعيار ردّها وقبولها هو الكتاب والسنة، إن وافقتْهما فلا ننكر، وإن لم توافقهما فنردّ على الجدار، وليت شعري! كيف يلتفت إليها من عنده علم الكتاب؟ [و] لحديث النبي ﷺ: «مَن أتى كاهنًا أو عرّافًا - وفي رواية:[2] فسأله - فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزِل على محمّد ﷺ»، (مسند أحمد).[3] لأن فيها التباسا. فإذا كانت هذه حالة السائل فكيف بالمسؤول؟ قال الصحابة رضي الله عنهم في حقيقة ذلك: إنهم يحدّثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًّا. فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحقِّ، يخطفها من الجنّيّ، فيقرّها في أُذن وليّه، فيخلطون معها مائة كَذْبة».[4] =

= أوس بن أوس مرفوعًا.

قال العلامة علي القاري في «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣٦٤١): قلتُ: حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجه، وهو عندي أرجح، ولا ينافي سائر الروايات؛ لأن بيت المقدس شرقي دمشق، وهو معسكر المسلمين إذ ذاك، والأردنّ اسم الكورة كما في «الصّحاح»، وبيت المقدس داخل فيه، وإن لم يكن في بيت المقدس الآن منارة، فلا بد أن تحدث قبل نزوله، والله تعالى أعلم. (س)

(١) أخرجه البخاري [في ك: التفسير، ب: قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ (الأنعام: ١٥٨)، ح: (٤٦٣٦)]، ونصه: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعتْ ورآها الناس آمَنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها» ثم قرأ الآية. وكذلك في ك: التفسير، عقبَ ب: قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين، ح: (٦٥٠٦).

(٢) أخرجها إسحاق بن راهويه في «مسنده»، ح: (٥٠٣). وأبو يعلى في «مسنده»، ح: (٥٤٠٨).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، ح: (٩٥٣٢). وأخرجه البزار في «كشف الأستار»، ح: (٣٠٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠٢)، ح: (٨٤٨٢): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا عقبة بن سنان، وهو ثقة.

(٤) أخرجه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، في ك: الطب، ب: الكهانة، ح: (٥٧٦٢)، و(٦٢١٣)، و(٧٥٦١). ومسلم في ك: السلام، ب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ح: (٥٨١٧).

وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، ....

= فثبت أن من يَلبس الحق بالباطل، فهو باطل، ليس بشيء من الحق. وفي هذا المعنى: جميع أمثال هذه الفنون التي تكسب بالارتياضِ بالتخيّل، والاستمدادِ من الشياطين، والانهماكِ في الأوهام والخيالات. فهذه ثمرات القوة المتخيلة النفسانية، لا القوة اليقينية الروحانية الإيمانية، مثل ما تعاطاه المنجّم، وصاحب الأزلام، والضارب بالحصى، والذي يخطّ بالرمل، وهكذا الاعتماد على الأنواء بقولهم: «مُطِرنا بنوء كذا».

والطيرة ردها القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٣١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠).

وقال - جل ذكره - عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ﴾ (الصافات: ٨٨، ٨٩)، نظر إبراهيم؛ إيهامًا لهم وتوريةً لقومه؛ ليفهموا أنه يعلم قواعد النجوم، فإنهم كانوا يزعمون الكواكب متصرفة بذاتها في الحوادث، فرد عليهم بكسر الأصنام إظهارًا بأنها جامدة لا شعور لها، ولا طاقة بها، مع أنها مصنوعة بأيديكم، فقال: ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٥، ٩٦).

وبالجملة: مدار هذه الفنون ليس على اليقين، بل على التخمين أو الاعتماد على قواعد الفنّ، وهي ظنية، وأساس الدين هو اليقين. فدعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك.

أما الرُّقَى فلا بأس بها ما لم تكن شركًا واستفادةً من الجن، فقد ذمّها الله بقوله في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ (الجن: ٦)، فاستمتاع الإنسي بالجنّي في قضاء حوائجه وإخباره بشيء من المغيبات ونحو ذلك، فهو من أبواب الشرك، يجب غلقها بل سدها؛ لأنه يتطرق إلى الاعتقاد بأن في الباطن طريقًا موصلًا إلى الله غير طريقة الأنبياء، وهذا تخريب للدين القويم بالزعم السقيم، وهو من الشيطان الرجيم، يجب ردّها على المسلم السليم، والله بذات الصدور عليم، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

[الجماعة حق والفرقة زيغ]

قوله: ونرى الجماعة حقا وصوابا: لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ولقوله جلّ ذكره: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، ولقوله ﷺ: «لا إسلامَ إلا بجماعة».(١)
وذمّ الله المفرّقين الملة بقوله جلّ ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، أما الاختلاف قبل مجيء البيّنات أو قبل وضوحها، فليس من الزيغ والفرقة، بل هي من الرحمة، كاختلاف الأئمة المجتهدين =

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه الدارمي موقوفًا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في ك: المقدّمة، ب: في ذهاب العلم، ح: (٢٥١). وابن عبد البر في «جامع بيان العلم»، ح: (٣٢٦). والحديث حسن. انظر «فتح المنان شرح سنن الدارمي» (٢/ ٣٧٦).

وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

وَدِينُ اللهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

= في الفرعيات الفقهية، واختلاف المفاتي والعلماء في ترجيحاتها، فهو اختلاف مبني على الحجج القويمة من الكليات الشرعية بعد الاتحاد في الأصول والمباني، فهو الرحمة ومستثنًى عن الذم والنهي، وخلافه شقاق وفتنة ومنهي عنه؛ لقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: ١٧٦).

قوله: والفرقة زيغا وعذابا: لأن بهذا الزيغ وقعت الأمة في الفتنة؛ بغيًا بينهم، وتفرّقت على ثنتين وسبعين ملّة، كلّهم في النار إلا واحدة؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ (البقرة: ٢١٣)، وهذه البغاوة هو الزيغ. [و] لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (الأنعام: ٦٥).

[﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾]

قوله: ودين الله عَزَّوَجَلَّ في السماء والأرض واحد: لأن مالكهما وحاكمهما وخالقهما واحدٌ، له ملك السماوات والأرض، ولم يكن له شريك في الملك. فمن يكون له شريك في دِينه؟ فدين الله واحد في الأرض وفي السماء.

[خصائص دين الإسلام]

قوله: وهو دين الإسلام: أي دين الطاعة والاستسلام، فكل الخلق مسلم له بهذا الدين تكوينًا وتشريعًا، سواء كان بشرًا أو ملكًا أو جنيًّا،(١) حيوانًا كان أو نباتًا أو جمادًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران: ٨٣).

وأيضًا دين الإسلام هو العبدية المطلقة، وهي واحدة في السماء والأرض؛ لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣). فدينه الإسلام أيضًا واحد في الأرض وفي السماء، فسكّان السماء هم الملائكة، وهم عباد له مطيعون مسلمون له جلّ ذكره؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦، ٢٧)، ولقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦).

وأمّا سُكّان الأرض فأفضلُهم والمتصرّفُ في جميعهم هو البشر، فمنهم من آمن فهو مسلم له اختيارًا، ومن لم يُؤمن =

---

(١) في (ق): «وجنّيا».

وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَالْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، ....

= فهو مسلم تكوينًا، لا اختيار له[١] بالانحراف عما يقضي عليه من تكوينه.

وأيضًا دين سائر الأنبياء والمرسلين من آدم ونوح إلى سيد المرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين - هو الإسلام، كما نص عليه القرآن. فدين أممهم وأقوامهم ينبغي أن يكون الإسلامَ لا محالة؛ لأنهم تبع لرسلهم[٢] في دينهم. وأيضًا لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥). فكلمةُ «مَن» عام وشامل للكل، وهذا الحكم بعمومه وإطلاقه لا يتقوّم إلا بأن يكون الإسلام دينًا لكلِّ أمة وقوم، ولكلِّ زمان ومكان، ولكلِّ مَن هو في هذه الأمّة أو في الأمم السابقة، وهذا هو المدّعى من أنّ دين الله الإسلام واحدٌ في أرضه وسمائه.

قوله: وهو بين الغلوّ ... : لقوله تعالى ردًّا على الغلوّ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١)، ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة: ٨٧). ولما عهد بعض الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - بالغلو في الزهد، بأن لا نأكل اللحم، ولا نتزوج النساء، ولا ننام ليلًا، ولا نفطر نهارًا، وبعضهم أرادوا الاختصاء ولبسوا المُسُوح، فعاتبهم النبي ﷺ وقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنّي أصلّي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوّج النساء، فمَن رغب عن سنّتي فليس منّي».[٣]

قوله: وهو بين ... والتقصير: لقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ (الماعون: ٤ - ٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ١ - ٣)، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ (آل عمران: ١٨٠). فالإسلام ليس هو الغلوَّ ولا هو التقصيرَ والتساهلَ، بل هو دين الاعتدال بين الغلوّ والتقصير.

قوله: والتشبيه والتعطيل: لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، فالله - سبحانه - يجب أن يوصَف بما وصف به نفسَه الكريمةَ من غير تشبيه. فلا يقال: هو سميع كسمعنا، وبصير كبصرنا. [و] لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). فالله ﷻ يجب أن لا ينفى عنه ما وصف به نفسَه، أو وصفَه به أعرفُ الناس به: رسولُه ﷺ. فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ردّ على التشبيه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردّ على التعطيل.

قوله: وبين الجبر والقدر: لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦). فالعبد غير مجبور في أفعاله، =

[١] هذه الجملة تفسير لمعنى الإسلام تكوينًا، أي ذاك الكافر مستسلم لقدر الله وقضائه، لا يستطيع أن يحيدَ عنهما ويفعلَ ما شاء.

[٢] في الأصل: «يتّبعون لرسلهم»، والمثبت من (ق) هو الصحيح.

[٣] أخرجه مسلم، واللفظ له، عن أنس بن مالك مرفوعًا، في ك: النكاح، ب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ح: (٣٤٠٣). والبخاري في ك: النكاح، ب: الترغيب في النكاح، ح: (٥٠٦٣).

وَالْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ.

فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ نَبْرَأُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِمَّنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِطَةِ وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيئَةِ، كَالْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ(١) مِمَّنْ خَالَفَ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَاتَّبَعَ الْبِدْعَةَ وَالضَّلَالَةَ، ....

= بل هو كاسب باختياره. [و] لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦). فالعبد مخلوق نفسه ومخلوق أفعاله، لا هو خالق لنفسه ولا لعمله، والقدر مسبوق على الخلق، فمن لم يخلق لم يقدر شيئا. ففي الآية الأولى ردّ على الجبر، وفي هذه الآية ردّ على القدر، والإسلام بين الجبر والقدر، فالعبد مجبور في الخلق، ومختار في الكسب.

قوله: وبين الأمن والإياس: لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٩)، وهو ردّ على الأمن والرجاء المطلق. [و] لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧). وهو ردّ على الخوف واليأس المطلق. فالإسلام بين الخوف والرجاء، والأمن واليأس، وهو الاعتدال، والأمة أمة العدل والوسط؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣).

قوله: فهذا ديننا: أي كلّ ما تقدّم من أول الكتاب إلى ههنا، فهذا المجموع ديننا واعتقادنا؛ لأن كلّه من محكمات الكتاب والسنة وصريحهما، والمتوارث من سلفنا، غير منقطع سلسلةً، وسنده من أوله إلى آخره متصل.

قوله: ظاهرا وباطنا: أي علنًا وسرًّا، وظاهرًا بالإقرار باللسان والعمل بالأركان، وباطنًا بإذعان القلب وتمام الإيقان.

[البراءة من الفرق الزائغة]

قوله: ونحن برآء إلى الله ... : ذاهبين إلى الله خوفًا وطمعًا، راجين خائفين، غير آئسين ولا آمنين.

[دعاء الاستقامة على الدين، والتجنب عن الحين]

قوله: ويعصمنا من الأهواء المختلفة: إشارة إلى أن انشعابَ الفرق المتفرّقة والأحزاب المتحزّبة حَدَثَ من الأهواء والآراء والقياسات الرديئة التي نشأت من العقل السقيم بمقابلة النقل الصحيح من الوحي، وتحكيم العقل على النقل، واختراع الأصول باسم الأصول العقلية ضدّ أصول الشرع وكليات الدين، فجعلوها حجةً على الشريعة، وبدّلوا الشريعة على حسب ما اقتضت أصولهم المخترعة. فهذا هو منشأ حدوث الفرق الباطلة من المشبّهة والمعطّلة والمعتزلة والجهمية =

---

(١) في النسخة القديمة ونسخ الكتاب:

ونسأل الله ... من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، وهم عندنا ضُلال وأردياء. والله هو الموفّق [وفي نسخ الكتاب: وبالله العصمة والتوفيق]، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ.

= والجبرية والقدرية وكثير من الفرق المبتدعة منهم.

فالمشبِّهة: شبّهوا الخالق بالخلق، فسلّموا في الخالق صفات المخلوقين من الحركات الجسمانية والعواطف النفسانية، كاليهود، وقالوا: يلحقه الأمراض مثل المخلوق، ومرضتْ عينه، معاذ الله! وإن الملائكة حضروه للعيادة، وغيرها من الهفوات.

والمعتزلة: شبّهوا المخلوق بالخالق، وسلّموا في المخلوق الصفاتِ الخاصّةَ للخالق، فجعلوا المخلوق خالقًا لأفعالهم، كالنصارى شبّهوا المسيح بربّ المسيح، فجعلوه إلـهًا، على قياس الشاهد على الغائب.

والجهمية: أظهروا نفي الصفات، واعتقدوا التعطيل.

والجبريّة: جعلوا العبد جمادًا لا يعقل، وإن فعْل العبد عندهم بمنزلة طُوله ولَونه، لا اختيار له فيه. وهم عكس القدريّة، فبعضهم قاسوا الخلق على الخالق، وبعضهم قاسوا الخالق على الخلق، بعضهم في الصفات، وبعضهم في الأفعال، فغلا بعضهم في نفي القدر، وبعضهم على عكس ذلك، فكلّهم ضلّوا عن سواء السبيل بأقْيستهم المفارقةِ المخالفةِ لصريح النصوص وآثار السلف، فخالفوا السنّة والجماعة، وحالفوا الضلالة. نعوذ بالله من هذه الخرافات.

قوله: ونحن بُرآء منهم: اتباعا لسنة الأنبياء ﷺ؛ فإنهم كانوا إذا يئسوا من هداية المنكرين المصرّين على الضلال، كانوا يتبرّؤون منهم مع إعلان دينهم على رؤوس الأشهاد، كقولِه تعالى للنبي ﷺ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ۝﴾ (آل عمران: ٦٤)، وقولِه تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ۝﴾ (يونس: ٧٢)، وقولِه تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ۝ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ۝﴾ (الزخرف: ٢٦، ٢٧).

تمت التحشية بعونه – تعالى وتقدّس – لستّ خلون من ذي الحجة، سنة تسعين وثلاث مائة وألف [١٣٩٠ هـ]، وتليه تكملة متعلقة بمباني الخلافة.[1] والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد طيب (غُفِر له)

مدير دار العلوم ديوبند

(١) بفضل من الله وخالص كرمه ومحض منّته تمَّ التخريج والتعليق على هذا الكتابِ الليلة المتخللة بين السبت والأحد، على الساعة الحادية عشر وأربعة دقائق (١١:٠٤، م) لإحدى وعشرين ليلة خلتْ من ربيع الأول، عام ألف وأربع مائة وسبع وثلاثين من الهجرة النبوية الشريفة (٢١/ ٣/ ١٤٣٧هـ)، ثاني يناير، عام ألفين وستة عشر (٢/ ١/ ٢٠١٦م). وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على خاتم النبيين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى الآل والصحب والأزواج والتابعين.

التكملة المتعلقة بموضوع الخلافة

المسماة بـ



لحكيم الإسلام العلامة المقرئ محمد طيب القاسمي (١٣١٥ – ١٤٠٣ هـ)

حفيد المؤسس للجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند الإمام محمد قاسم النانوتوي

رحمهما الله تعالى رحمة واسعة

حققه وخرج أحاديثه

أحمد خورشيد الصديقي

خريج دار العلوم ديوبند

مباني الخلافةِ والسياسةِ الدينيةِ وغاياتُها(١)

ومن اقتضاء الخلافة: الاستخلافُ، وهو نصب الإمام على كل حال حسب الاستطاعة؛ لئلا يبقى القوم فوضى. وانتخابُ الأصلح بمعيار العلمِ والحفظِ.

قولي: وهو نصب الإمام: لقوله تعالى عن ملأ من بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٤٦). والـمَلَك هنا بمعنى: ذي سلطة ومنع، لا بالمعنى المعروف: مَن طلب السيادةَ على النفوس والجبرَ والتغلّبَ؛ فإنها(٢) ليست بوراثة عن أب وجد أو شعوب وقبائل، بل يستحقّها مَن يصلح لها بمعيار الدين والديانة والعلم والصيانة؛ بقرينة قوله تعالى: ﴿ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

ولقولِه ﷺ: «ومَن مات وليس في عنقه بَيعة، مات مِيتةً جاهليّةً».(٣) وسؤالِ الصحابة من النبي ﷺ: «يا رسول الله، مَن نؤمِّر بعدك؟».(٤)

قولي: وانتخابِ الأصلح: ففيها الانتخاب لا التوريث؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ (البقرة: ٢٤٧). كلمة «مَن» عامة، لا دخل فيها لتخصيص نسبٍ أو مالٍ أو قبيلةٍ أو طائفةٍ. ولقوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استُعمِل عليكم عبد حبشيّ، [كأنّ رأسه زبيبة]»،(٥) ففيها(٦) الانتخاب. ومعيار الانتخاب: هو الصلاح والصلاحية لا النسب والقبائلية.

قولي: بمعيار العلم والحفظ: ومعيار الصلاح في السياسة: العلم بالسياسة مع الديانة، وقوة الحفظ للملك، وقوة الدفاع والمنع للأعداء؛ لقوله تعالى في الطالوت على لسان داود ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ =

---

(١) [سبق من المؤلف ﷺ في ص: ١٥٠ في مبحث إثبات الخلافة: أنه يزيد آخرَ الكتاب بحثًا حول موضوع الخلافة كالتكملة على صورة المتن (والشرح)، فإلى القارئ الكريم ذلك البحثَ النافعَ. (مصحح)]

(٢) أي الخلافة.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم عن ابن عمر ﷺ مرفوعًا، في ك: الإمارة، ب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ح: (٤٧٩٣).

(٤) أخرجه أحمد، واللفظ له، ح: (٨٥٩)، وأخرجه البزار، ح: (٧٨٣)، والطبراني في «الأوسط»، ح: (٢١٦٦)، كلاهما مختصرًا. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٢١، ٣٢٢، ح: ٨٩٠٩): رواه أحمد والبزار والطبراني في «الأوسط»، ورجال البزار ثقات.

(٥) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا، في ك: الأحكام، ب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح: (٧١٤٢)، وفي ك: الأذان، ب: إمامة العبد والمولى، ح: (٦٩٣).

(٦) أي في الخلافة.

وتفويضُ الأمر إلى مَن لا يبتغيه، إلا مَن يطلبه لابتغاء مرضاة الله.

ويلزمه الشورى؛ لدفع الاستبداد، وعليه العزيمة والترجيح؛ لدفع الانتشار والفوضوية، والقانون القطعي؛ للتمسك، ....

= ﴿وَٱلْجِسْمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧)، فالأول إشارة الى علم السياسة وشعورها، والثاني إلى قوة الدفاع والمنع.

قولي: من لا يبتغيه: لقوله ﷺ: «إنّا والله لا نولّي على هذا العمل أحدًا سأله، ولا أحدًا حرص عليه».[١] (المشكاة) فإن الطلبَ من التهم، وعلامةُ أغراض النفس.

قولي: إلا من يطلبه لابتغاء مرضاة الله: كما طلب يوسف ؑ؛ لقوةِ علمه بالسياسة، وقوةِ حفظه للملك ولأبناء الملك؛ لقوله تعالى فيه: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥). والناس كانوا يعرفونه بكمال صدقه وإخلاصه، وهو النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم[٢] [عليهم أفضل الصلاة والتسليم].

قولي: ويلزمه الشورى: لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

قولي: وعليه العزيمة: لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

قولي: والقانون القطعي: وهو الكتاب والسنّة ثم التفقّه والاجتهاد بشرائطه؛ لحديث معاذ ؓ، قال له النبي ﷺ حين أرسله إلى اليمن قاضيًا: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟» قال: فبسنّة رسول الله ﷺ. قال: «فإن لم تجد في سنّة رسول الله، ولا في كتاب الله؟» قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسول الله لما يرضي رسولَ الله».[٣] (المشكاة) =

(١) أخرجه مسلم، واللفظ له، عن أبي موسى الأشعري ؓ مرفوعًا، في ك: الإمارة، ب: النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، ح: (٤٧١٧). والبخاري في ك: الأحكام، ب: ما يكره من الحرص على الإمارة، ح: (٧١٤٩).

(٢) ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن عمر ؓ مرفوعًا، [في ك: أحاديث الأنبياء، ب: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (يوسف: ٧)، ح: (٣٣٩٠)، وفي ك: التفسير، ب: قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ (يوسف: ٦)، ح: (٤٦٨٨)]: «الكريمُ ابن الكريم ابن الكريم يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ؑ».

(٣) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في ك: القضاء، ب: اجتهاد الرأي في القضاء، ح: (٣٥٩٢) و ح: (٣٥٩٣)، والترمذي في أبواب: الأحكام، ب: القاضي كيف يقضي، ح: (١٣٢٧). والحديث مع ضعف في إسناده تلقّته الأمة بالقبول. قال الخطيب ؒ في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٧١): فإن اعترض المخالف بأن قال: لا يصح هذا الخبر؛ لأنه يروى عن أناس من أهل حمص لم يسمّوا، فهم مجاهيل. فالجواب أن قول الحارث بن عمرو: «عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ» يدل على شهرة الحديث وكثرة رواته، وقد عرف فضل معاذ وزهده، والظاهرُ من حال أصحابه =

والحكم بالعدل ولو على أنفسهم. وعلى القوم السمع والطاعة على منشط ومكره، ....

= ولقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ (النساء: ٥٩). فإطاعة الله إطاعة كتابه، وإطاعة الرسول إطاعة سنّته، وإطاعة أولي الأمر إطاعة أمرهم المستنبط من الكتاب والسنة، وهذا هو القانون القطعي المنزل من الله، لا دخل فيه للرأي المجرد [و] لا لشبهة ولا شكّ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. فلا قانون إلا ما كان مبناه على اليقين، لا على الظنّ والتخمين، فالحكم به أيضًا يكون من التخيلات، لا تطمئن به القلوب، وما سواه فوسواس الشياطين.

قولي: والحكم بالعدل: لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ﴾ (النساء: ١٣٥)، ولقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ (البقرة: ٢١٣).

قولي: وعلى القوم السمع والطاعة: لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، ولقول النبي ﷺ: «أُوصِيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة [وإن عبدًا حبشيًّا]؛ فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء المهديّين الراشدين [من بعدي]،[١] تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ». الحديث.[٢]

قولي: على منشط ومكره: لقول النبي ﷺ: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبّ وكره، ما لم يُؤمَر بمعصية» [الحديث].[٣] ولأثر عبادة بن الصامت ﷺ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المَنشَط والمَكرَه، =

= الدينُ والثقةُ والزهدُ والصلاحُ. وقد قيل: إن عُبادة بن نُسَيّ رواه عن عبد الرحمن بن غَنْم عن معاذ. وهذا إسناد متصل، ورجاله معروفون بالثقة، على أن أهل العلم قد تقبّلوه واحتجّوا به.

فوقفنا بذلك على صحته عندهم، كما وقفنا على صحة قول رسول الله ﷺ: «لا وصية لوارث»، وقوله [ﷺ] في البحر: «هو الطهور ماؤه، والحلّ ميتته»، وقوله: «إذا اختلف المتبايعان في الثمن، والسلعة قائمة، تحالفا وترادّا البيع»، وقوله: «الدية على العاقلة»، وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد، لكن لما تلقتها الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها.

(١) ما بين المعكوفتين لفظ مأخوذ من «كتاب السنة» للمروزي، ح: (٦٩)، و«مسند البزار»، ح: (٤٢٠١).

(٢) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في ك: السنة، ب: في لزوم السنة، ح: (٤٦٠٧)، والترمذي في أبواب: العلم، ب: الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ح: (٢٦٧٦)، وابن ماجه في أبواب: السنة، ب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ح: (٤٢). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري - واللفظ له - في ك: الأحكام، ب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح: (٧١٤٤)، =

إذا لم يؤمروا بمعصية الخالق.

ويلزمه الإعدادُ المستطاعُ للحفظ وسدّ الثغور، والجهادُ في سبيل الله لدفع الفتنة وإعلاء كلمة الله، والتيسيرُ للهجرة لمن يهاجر في سبيل الله، ....

= وأن لا ننازع الأمرَ أهلَه». «إلا أن تروا كفرًا بَواحًا، عندكم من الله فيه برهان». (البخاري ومسلم).[1]

قولي: لحديث النبي ﷺ: «لا طاعةَ لمخلوق في معصية الخالق» (المشكاة)،[2] ولقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ (لقمان: ١٥).

قولي: لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

قولي: لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣).

قولي: لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣).

قولي: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (النساء: ١٠٠).

= ومسلم في ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ح: (٤٧٦٨).

أخرجه البخاري، واللفظ له، في ك: الأحكام، ب: كيف يبايع الإمام الناس، ح: (٧١٩٩).

جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في ك: الفتن، ب: قول النبي ﷺ: سترون بعدي أمورًا تنكرونها، ح: (٧٠٥٦)، ومسلم في ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ح: (٤٧٧١).

أخرجه البزار عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا، ح: (١٩٨٨)، والطبراني في «الكبير» عن عمران بن حصين ﷺ، ح: (٣٨١)، والبغوي في «شرح السنة» عن النواس بن سمعان ﷺ، ح:(٢٤٥٥)، واللفظ لهم. وأخرجه أحمد في «المسند» بلفظ: «في معصية الله» عن علي ﷺ، ح:(١٠٩٥)، وعن ابن مسعود ﷺ، ح: (٣٨٨٩)، وعن عمران بن حصين ﷺ، ح: (٢٠٦٥٣)، و ح: (٢٠٦٥٦).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٤٠٧، ح: ٩١٤٤): رواه البزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ورجال البزار رجال الصحيح. وللحديث شواهد، انظر «مجمع الزوائد» (ب: لا طاعة في معصية، ٥/ ٤٠٦ - ٤٠٩).

مكانيةً كانت أو معنويةً. والاحتسابُ؛ للإيقاظِ والمؤاخذةِ.

وغايتُها: إقامةُ الدين، وحفظُ الحدود في العبادات والمعاملات والمعاشرات، ونظمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامةُ الحدود والقصاص والتعزيرات؛ لإزالة المنكر، ....

قولي: مكانية كانت أو معنوية: الهجرة المكانية قد مضت في الحاشية السابقة، والمعنوية: ما بيّنها النبي ﷺ بقوله الصادق المصدوق: «والمهاجر: مَن هجر ما نهى الله عنه» الحديث.[1] أي الانتقال من موطن الطبيعة إلى موطن الشريعة.

قولي: والاحتساب: كما كان عمل النبي ﷺ، يحتسب أصحابه ويراقبهم ليلًا ونهارًا ويوقظهم ويؤاخذهم بما فاتهم.

قولي: وغايتها إقامة الدين: لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١).

قولي: وحفظ الحدود ... : وحفظ الحدود هو حفظ الفرائض والواجبات والسنن والآداب من العبادات والمعاملات والمعاشرات، كما قال - جل ذكره - في معاملة الزواج: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: ٢٢٩). وقال تعالى في الصيام: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة: ١٨٧). وقال تعالى في حدود المواريث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (النساء: ١٣).

قولي: ونظم الأمر بالمعروف ... : كما مر قوله - جل ذكره - آنفًا: ﴿وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (الحج: ٤١).

قولي: وإقامة الحدود والقصاص ... : كحد السرقة، وشرب الخمر، والزنى، والقتل، وقذف المحصنات، وغيرها؛ لقوله ﷺ: «أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم»،[2] ولقوله ﷺ: «إقامةُ حدّ من حدود الله خيرٌ من مطر أربعين ليلةً في بلاد الله عَزَّوَجَلَّ».[3] (المشكاة).

---

(١) أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، في ك: الإيمان، ب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح: (١٠)، وفي ك: الرقاق، ب: الانتهاء عن المعاصي، ح: (٦٤٨٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا، في أبواب: الحدود، ب: من لا يجب عليه الحد، ح: (٢٥٤٠). والحاكم، ح: (٢٤٠٤)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا، في أبواب: الحدود، ب: إقامة الحدود، ح: (٢٥٣٧)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، ح: (٢٥٣٨) باختلاف. والنسائي في ك: ب: الترغيب في إقامة الحد، ح: (٤٩٠٤)، وموقوفا عليه، ح: (٤٩٠٩)، وابن حبان في «صحيحه»، ح: (٤٣٩٧، ٤٣٩٨).

والرفقُ والتطييبُ؛ لترويج المعروفات. والتعميمُ للتعليم، والإكراهُ في ضروريات الدين، والتوسيعُ في التبليغ ....

قولي: والرفق والتطييب ...: لقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٤). وقال عَزَّوَجَلَّ لخاتم أنبيائه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩). ولقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩). والجمع بين الرفق والشدة على الوجه الأتمّ مقامُ خاتم الأنبياء ﷺ؛ لقوله ﷺ: «بُعثتُ مَرحَمةً ومَلحَمةً»،[1] ولقوله ﷺ: «أنا الضَّحُوكُ القَتَّال» (الحديث).[2]

قولي: والتعميم للتعليم: لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

قولي: والإكراه في ضروريات الدين: لقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (الحديث).[3] وهذا إجبار، بقوله «فريضة»، إلى حدّ ضروريات الدين، وهو فرض على الأعيان. أمّا تكميل التعليم بالمسائل والدلائل والحقائق، فهو فرض على الكفاية. ولقوله ﷺ: «مُروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعًا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا».[4]

قولي: والتوسيع في التبليغ: لقوله تعالى في شأن الأنبياء عليهم السلام: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩).

---

(١) أخرجه الأصبهاني في «حلية الأولياء» عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤/ ٧٢)، وقال: هذا حديث غريب.

(٢) هكذا نقله الإمام ابن كثير في «تفسيره» في تفسير آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]. (٤/ ٢٣٨)، وابن تيمية في «السياسة الشرعية»، في الفصل الثالث: قلة اجتماع الأمانة (ص: ٢٩)، ولم أجده في دواوين السنة. ومعنى الحديث كما قال الإمام ابن كثير: يعني: أنه ضحوك في وجه وليه، قتّال لهامة عدوه.

(٣) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، في أبواب: السنة، ب: فضل العلماء والحثّ على طلب العلم، ح: (٢٢٤). قال في «المقاصد الحسنة» (ص ٤٤٠): له شاهد عند ابن شاهين في الأفراد، ورويناه في ثاني السمعونيات من حديث موسى بن داود، حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس به، وقال ابن شاهين: إنه غريب. قلت: ورجاله ثقات، بل يروى عن نحو عشرين تابعيًّا... ومع هذا كله قال البيهقي: متنه مشهور، وإسناده ضعيف... وقال المزي: إن طرقه تبلغ به رتبة الحسن. وحسّنه السيوطي في «الدرر المنتثرة» (ص: ١٤١).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ح: (٦٦٨٩)، وأبو داود في ك: الصلاة، ب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، ح: (٤٩٥)، واللفظ لهما. صحّحه ابن الملقّن في «البدر المنير» (٣/ ٢٣٨). وأخرجه الترمذي عن سبرة الجهني في أبواب: الصلاة، ب: ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، ح: (٤٠٧)، وقال: حديث سبرة حديث حسن صحيح.

على التدريج حسب درجاته، والتنظيمُ بالاعتصام بحبل الله؛ لدفع الفُرقة وتوحيد الأمّة، وتربيةُ خلق الله على أخلاق الله.

ولخّصها النبي ﷺ في خمس، وهي مباني أصول السياسة الدينية: ١- الجماعة ٢- والسمع ......

قولي: على التدريج حسب درجاته: أي يبتدئ المبلّغ أولًا من نفسه؛ لقوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾، ثم بأهله وعياله؛ لقوله: ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ (التحريم: ٦)، ثم بعشيرته؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)، ثم بأهل بلده؛ لقوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾، ثم بما حوله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ (الشورى: ٧)، ثم بجميع الخلائق في العالم؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١). وهذا هو الترتيب الطبعي، وعمِل به النبي ﷺ في الإنذار والتبليغ.

قولي: والتنظيم بالاعتصام بحبل الله: لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣). فالقاطعُ للاختلاف والتفرق هو الاعتصامُ بحبل الله لا التنظيمات الشكلية، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦). فالتنظيم المطلوب هو ما يورثه العمل.

قولي: وتربية خلق الله على أخلاق الله: لقوله ﷺ: «إنما بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق»،[1] ولقوله ﷺ: «تخلّقوا بأخلاق الله»،[2] ولقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ (الأنعام: ١٢٠). وباطن الإثم هو الخلق السيّء، ولا يدفع إلا بالتربية والتزكية، وهو موضوع فنّ الإحسان المعروف بـ«التصوف»، ويلزم نظمه على الخلافة؛ لأنه من غاياتها وغايات البعثة.

قولي: ولخصها النبي ﷺ في خمس ... : لحديث الحارث الأشعري ﷺ مرفوعًا، ومضمونه ملخّصًا حسب ما يقتضيه المقام: «إن الله أمر يحيى بن زكريّا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها: بعبادة الله وحده لا يشركوا به شيئًا، وبالصلاة، وبالصيام، وبالصدقة، وبذكر الله كثيرا»، (وهذه أصول الديانة). ثم قال النبي ﷺ: «وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهنّ: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله».[3] رواه ابن كثير في «تفسيره» تحت آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ الآية (البقرة: ٢١). =

---

(١) أخرجه البزار، واللفظ له، عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، ح: (٨٩٤٩)، وأحمد في «المسند»، ح: (٨٩٥٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٥٧٤، ح: ١٤١٨٨): «إنما بُعثتُ لأتمّم صالح الأخلاق»، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار إلا أنه قال: «لأتمّم مكارم الأخلاق»، ورجاله كذلك، غير محمد بن رزق الله الكلوذاني، وهو ثقة.

(٢) حديث ينقله شراح الحديث والمصنفون في العقيدة، لكن لم أجده في أحد من دواوين السنّة.

(٣) أخرجه الترمذي، في أبواب: الأمثال، ب: مَثَل الصلاة والصيام والصدقة، ح: (٢٨٦٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

٣- والطاعة ٤- والهجرة ٥- والجهاد.

= لأنه لا إسلام إلا بالجماعة، ولا جماعة إلا بالإمام، ولا إمام إلا بالسمع والطاعة، ولا سمع ولا طاعة إلا بالقانون القطعي من الله، ولا قانون إلا بدفع الفتنة وقيام الأمن، وإلا فالهجرة أو الجهاد. فهذه الخمس زبدة لجميع ما في السياسة الدينية من المباني والأصول التي ذكرنا في المتن السياسي، فجمع النبي ﷺ بين الديانة والسياسة، والإسلام جامع للمقامين، وهذه كلها بالاستخلاف.

فأثبت المصنف ﷺ الخلافة في سلسلة الاعتقادات، وهذا تفصيلها بأجزائها وأركانها وآثارها ومقتضياتها التي لا تتكوّن الخلافة إلا بها، ولذا ذكرتها بمتن مستقلّ في ضمن إثبات الخلافة من المصنف، كأنه كان يقتضي هذه التفصيلات. وبالله التوفيق، وهو المستعان.

أرجو العلماء مشكورين بإطلاعي على أخطاء وزلّات إن وجدوها في الحاشية.



متن العقيدة الطحاوية

للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي المصري الطحاوي رحمه الله تعالى

ت: ٣٢١ هـ

قام بتحقيقه

الشيخ أبو سهل محمد سعد بن الشيخ رحمت الله حفظه الله تعالى

طبعة محققة على عشر من المخطوطات

شرح الرموز الواردة في تعليقات المحقق

ص: رمز نسخة من المكتبة الأزهرية.

ز: رمز نسخة أخرى من المكتبة الأزهرية.

ك: رمز نسخة المكتبة الإسكندرية.

الأصل: هو أيضًا نسخة أخرى ثالثة من المكتبة الأزهرية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَقِيهُ عَلَمُ الْأَنَامِ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ أَبُو جَعْفَرٍ الْوَرَّاقُ الطَّحَاوِيُّ الْمِصْرِيُّ:

هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ الثَّابِتِ الْكُوفِيِّ وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَيَدِينُونَ بِهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ ﷺ، وَبِهِ قَالَ صَاحِبَاهُ الْإِمَامَانِ الْمَذْكُورَانِ، رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى:[١]

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ:

١- إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

٢- وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

٣- قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ.

٤- لَا يَفْنَى، وَلَا يَبِيدُ.

٥- وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

٦- لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ.

٧- وَلَا تُشْبِهُهُ الْأَنَامُ.[٢]

٨- حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ.

٩- خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مَؤُونَةٍ.

١٠- مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

١١- مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ.

١٢- لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ.[٣]

---

[١] روي عن أحمد بن حنبل ﷺ قال: إذا كان في المسألة قول ثلاثة، لم تسع مخالفتهم. فقلت: من هم؟ فقال: أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن، رحمهم الله تعالى. (انظر «الأنساب» للسمعاني :٣\٤٨٤).

[٢] وفي نسخة (ز): «ولا يشبه»، وفي نسخة (ك) و(ص): «ولا يشبهه الأنام».

[٣] في نسخة (ك): «خاليا من صفته».

١٣- وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

١٤- لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ[1] الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِئِ.

١٥- بَلْ لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِيَّةِ[2] وَلَا مَخْلُوقَ.

١٦- وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَاهُمْ، اسْتَحَقَّ[3] هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ.

١٧- ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ[4] وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[5].

١٨- خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ.

١٩- وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا.

٢٠- وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا.

٢١- لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِهِمْ قَبْلَ أَنْ خَلَقَهُمْ،[6] وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ.

٢٢- وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

٢٣- وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدْرَتِهِ[7] وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ.

٢٤- لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

٢٥- يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي مَنْ يَشَاءُ فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي (مَنْ يَشَاءُ)[8] عَدْلًا.

٢٦- (وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ).[9]

---

(١) في نسخة (ص): «بإحداث».

(٢) في نسخة (ص) و(ز): «الخالق».

(٣) في نسخة (ز): «أحياهم حتى استحق»، وفي نسخة (ك): «بعد إحيائهم كذلك استحق».

(٤) وفي نسخة (ز): «يصير».

(٥) الشورى: ١١.

(٦) وفي نسخة (ص): «قبل خلقهم».

(٧) وفي نسخة (ز): «بقدره».

(٨) زيادة من نسخة (ك) و(ص).

(٩) ساقط من الأصل.

٢٧- وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ.

٢٨- لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ.

٢٩- آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ.

٣٠- وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى[(١)] وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى.

٣١- خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٣٢- وَكُلُّ دَعْوَةِ نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ فَغَيٌّ وَهَوًى.

٣٣- وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى، وَالْمَبْعُوثُ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى (وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ).[(٢)]

٣٤- وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ. فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَى، وَعَابَهُ، وَأَوْعَدَهُ عَذَابَهُ[(٣)] بِسَقَرَ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾.[(٤)] فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ تَعَالَى بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾،[(٥)] عَلِمْنَا[(٦)] أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُهُ قَوْلُ الْبَشَرِ.

٣٥- وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ.

٣٦- وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾،[(٧)] وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ.

---

(١) وفي نسخة (ص): «وأمينه».

(٢) زيادة من نسخة (ص).

(٣) وفي نسخة (ز): «أوعده عذابه وتواعده».

(٤) المدثر: ٢٦

(٥) المدثر: ٢٥

(٦) زاد أحد المحققين كلمة «وأيقنا» عازيًا إلى نسخة هي عندي موجودة، فما وجدت فيها.

(٧) القيامة: ٢٢، ٢٣.

٣٧- وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ - رِضْوَانُ اللهِ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ- فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا.

٣٨- فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ.

٣٩- وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ.

٤٠- فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَلَيْهِ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ، فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَ(التَّصْدِيقِ)[١] وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوَسْوِسًا تَائِهًا، شَاكًّا زَائِغًا، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا.

٤١- وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُم بِوَهْمٍ أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ، إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ تَرْكَ التَّأْوِيلِ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ، وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُرْسَلِينَ وَشَرَائِعُ النَّبِيِّينَ.[٢]

٤٢- وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ، زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ.

٤٣- فَإِنَّ رَبَّنَا - جَلَّ وَعَلَا - مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ بِمَعْنَاهُ[٣] أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ.

٤٤- تَعَالَى اللهُ عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.[٤]

٤٥- وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى.[٥]

---

(١) زيادة من (ك) و(ز).

(٢) قوله: «وشرائع النبيين» ساقط في النسخ الأخرى.

(٣) وفي (ز) و(ص): «ليس في معناه».

(٤) وفي (ص): «المبدعات».

(٥) وفي إحدى المطبوعات وجدت الآية: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ (النجم: ١١)، ولم أجده في النسخ الخطية التي عندي.

٤٦- وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ: حَقٌّ.

٤٧- وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا اللهُ لَهُمْ: حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ.

٤٨- وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ ﷺ وَذُرِّيَّتِهِ: حَقٌّ.

٤٩- وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ، عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، لَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ.

٥٠- وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُم فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَهُ.[١]

٥١- وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

٥٢- وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ.

٥٣- وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ.

٥٤- وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

٥٥- وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى[٢] عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.[٣] فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ كِتَابِ اللهِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ كِتَابِ اللهِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

٥٦- فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ.

٥٧- لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ، فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ.

٥٨- وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ.

٥٩- فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُم عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ، لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ، لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

---

[١] ورد في نسخة (ك) زيادة هذه الفقرة: «ولا بد أن يفعلوه».

[٢] وفي نسخة في (ك): «أخفى».

[٣] الأنبياء: ٢٣.

٦٠- وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَدَّرَ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ، وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ، وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا مُحَوِّلٌ، وَلَا زَائِدٌ، وَلَا نَاقِصٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، (وَلَا يَكُونُ مُكَوَّنٌ إِلَّا بِتَكْوِينِهِ، وَالتَّكْوِينُ لَا يَكُونُ إِلَّا حَسَنًا جَمِيلًا).[1]

٦١- وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ،[2] كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾،[3] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾.[4]

٦٢- فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لَهُ[5] اللهُ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا،[6] لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي مَحْضِ[7] الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

٦٣- وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ، (كَمَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ).[8]

٦٤- وَهُوَ عَزَّوَجَلَّ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ.

٦٥- مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ،[9] وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

٦٦- وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا.

٦٧- وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ.

٦٨- وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ غَيْرَ مُكَذِّبِينَ.

٦٩- وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ.

---

(١) زيادة من نسخة (ص).

(٢) وفي نسخة (ص): «بوحدانية الله وربوبيته».

(٣) الفرقان: ٢

(٤) الأحزاب: ٣٨

(٥) وفي نسخة (ك) و(ص): «صار لله في القدر».

(٦) وفي نسخة (ز): «مستقيما».

(٧) وفي نسخة (ص): «فحص».

(٨) زيادة من نسخة (ز) و(ك).

(٩) وفي نسخة (ص): «وما فوقه». وفي (ك): «محيط بكل شيء فوقه». وفي (ز): «بكل شيء فما فوقه».

٧٠- وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ،[١] وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

٧١- وَكَلَامُ اللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ.

٧٢- وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.[٢]

٧٣- وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

٧٤- (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ).[٣]

٧٥- وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِسْلَامِ[٤] ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ، وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ)،[٥][٦] وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ.

٧٦- وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنِ الْمِلَّةِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

٧٧- وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ.

٧٨- وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.[٧]

٧٩- وَإِنَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ وَجَمِيعَ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ: كُلُّهُ حَقٌّ.

٨٠- وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ (بِالْحَقِيقَةِ)[٨] وَالتَّقْوَى وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى وَ(مُلَازَمَةِ الْأَوْلَى).[٩]

٨١- وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ (عِنْدَ اللهِ)[١٠] أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.

---

(١) وقع في نسخة (ص): «لا نجادل في القرآن بأنه مخلوق حادث أو من جنس الحروف والأصوات»، ولعله من إضافات الناسخ.

(٢) وفي نسخة (ز): «بخلقه القرآن».

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) وفي نسخة (ز) و(ك): «الإيمان».

(٥) ما بين القوسين مأخوذ من نسخ الكتاب. (أحمد)

(٦) رأيت في بعض النسخ المطبوعة زيادة «ويدخلهم الجنة برحمته»، ولم أجده في النسخ الخطية التي عندي.

(٧) في نسخة (ك) و(ز): «وتصديقه المعرفة بالجنان».

(٨) زيادة من نسخة (ص) و(ز).

(٩) زيادة من نسخة (ص). (١٠) زيادة من نسخة (ص).

٨٢- وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

٨٣- وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاؤُوا بِهِ.

٨٤- وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يَخْلُدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ. وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾،[1] وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِقَدَرِ جِنَايَتِهِمْ[2] بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ.[3]

٨٥- ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ،[4] وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ.

٨٦- اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، مَسِّكْنَا بِالْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ.

٨٧- وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.

٨٨- وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُم إِلَى اللهِ تَعَالَى.

٨٩- وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

٩٠- وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ،[5] وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ[6] وَالْمُعَافَاةِ.

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) وفي نسخة (ز): «جناياتهم».

(٣) قوله: «وإن شاء عذبهم» إلى «ثم يبعثهم إلى جنته» ساقط من (ك) و(ص).

(٤) وفي نسخة (ز): «أهل طاعته».

(٥) وفي نسخة (ك) و(ز) و(ص): «ولا ندعو عليهم».

(٦) كلمة «والنجاح» ساقط في غير الأصل.

٩١- وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، (وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ).[١]

٩٢- وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.

٩٣- (وَنَقُولُ: «اللهُ أَعْلَمُ» فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ).[٢]

٩٤- وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ.

٩٥- وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ فَرْضَانِ مَاضِيَانِ، مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، (إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ)،[٣] لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا.

٩٦- وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ[٤] عَلَيْنَا حَافِظِينَ. وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ (وَنَعِيمِهِ)[٥] لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَبِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

٩٧- وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ.[٦]

٩٨- وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَبِجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ، وَالْمِيزَانِ، يُوزَنُ بِهِ أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ.[٧] وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ.

٩٩- وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ أَدْخَلَهُ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ أَدْخَلَهُ عَدْلًا مِنْهُ.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) في نسخة (ز): «جعلهما».

(٥) زيادة من نسخة (ص).

(٦) في نسخة (ز): «النيران».

(٧) قوله: «يوزن به أعمال المؤمنين من الخير والشر والطاعة والمعصية» لا يوجد في غير الأصل، وزاد بعض المحققين جملة «والبعث: هو حشر الأجساد وإحياؤهم يوم القيامة»، ولم أجده في النسخ الخطية التي عندي.

١٠٠- وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ.

١٠١- وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ.

١٠٢- وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ تَكُونُ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ[1] وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ، فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2].

١٠٣- وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هِيَ بِخَلْقِ اللهِ وَكَسْبٍ مِنَ الْعِبَادِ.

١٠٤- وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَهُ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ حَاصِلُ تَفْسِيرِ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. نَقُولُ: لَا حِيلَةَ وَلَا حَوْلَ وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ،[3] وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.

١٠٥- وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

١٠٦- غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا.

١٠٧- يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ (وَحَيْنٍ)،[4] وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[5].

١٠٨- وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ لِلْأَمْوَاتِ وَصَدَقَتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ.

١٠٩- وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ.

١١٠- وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ.

١١١- وَلَا يُسْتَغْنَى[6] عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخُسْرَانِ.[7]

---

(١) وفي نسخة (ك) و(ص): «التمكين».

(٢) البقرة: ٢٨٦

(٣) وفي (ز) و(ص): «إلا بعصمة الله».

(٤) زيادة من نسخة (ز).

(٥) الأنبياء: ٢٣

(٦) وفي نسخة (ك) و(ز): «ولا غنى».

(٧) وفي نسخة (ز): «أهل الجحيم».

١١٢- وَإِنَّ اللهَ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى.

١١٣- وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ لَا نَذْكُرُهُمْ. وَنَرَى حُبَّهُمْ دِينًا وَإِيمَانًا وَإِحْسَانًا، وَبُغْضَهُمْ كُفْرًا وَشِقَاقًا وَنِفَاقًا وَطُغْيَانًا.

١١٤- وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ؛ تَفْضِيلًا وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ، الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَكَانُوا بِهِ يَعْدِلُونَ.

١١٥- وَإِنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ [وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ]،(١) نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ كَمَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ. وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ(٢) هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

١١٦- وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

١١٧- وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ(٣) وَالْأَثَرِ وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ.

١١٨- وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ.

١١٩- وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ(٤) عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَتِهِمْ.

١٢٠- وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، مِنْهَا خُرُوجُ الدَّجَّالِ، وَنُزُولُ عِيسَى ﷺ مِنَ السَّمَاءِ. وَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

١٢١- وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا.

١٢٢- وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا بِخِلَافِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ.

(١) زيادة من نسخة (ص).

(٢) وفي نسخة (ص): «وهم أمناء».

(٣) وفي نسخة (ص) و(ز): «الخبر».

(٤) وفي نسخة (ز): «وبما صح».

١٢٣- وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

١٢٤- وَدِينُ اللهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[1] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ﴾[2] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[3].

١٢٥- وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَالْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَالْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ.

فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ نَبْرَأُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِمَّنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ. وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِطَةِ وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيئَةِ، كَالْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ خَالَفَ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَاتَّبَعَ الْبِدْعَةَ وَالضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ.

---

(١) آل عمران: ١٩

(٢) آل عمران: ٨٥

(٣) المائدة: ٣



فهرس المراجع

(أ)

- **الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**: للكنوي، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول، مكتبة الشرق الجديد بغداد.
- **الإحكام في أصول الأحكام**: لابن حزم الظاهري، ت: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- **أخبار أبي حنيفة وأصحابه**: للصيمري، عالم الكتب بيروت، ١٤٠٥هـ.
- **أخبار القضاة**: للحافظ وكيع البغدادي، ت: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
- **الأسماء والصفات**: للبيهقي، ت: عبد الله بن عامر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- **الأم**: للإمام الشافعي، ت: د رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- **إنباء الغمر**: للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت: د حسن حبشي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**: للإمام ابن عبد البر، ت: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- **الانتصار والترجيح للمذهب الصحيح**: للمحدث أبي الظفر سبط ابن الجوزي، شرح وتعليق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- **الأنساب**: للسمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(ب)

- **البداية والنهاية**: للإمام ابن كثير، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، جيزة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير**: لابن الملقن، ت: أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
- **بستان العارفين**: للنووي، دار الريان للتراث.
- **البناية شرح الهداية**: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(ت)

- **التاريخ الأوسط**: للإمام البخاري، ت: محمد بن إبراهيم الحيدان، دار الصميعي - الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية**: دار الفكر العربي، جيزة.
- **تاريخ مولد العلماء ووفياتهم**: ت: د عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- **تاريخ دمشق**: لابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- **تذكرة الحفاظ**: للإمام الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- **تفسير ابن كثير**: للحافظ عماد الدين ابن كثير، ت: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **تفسير البغوي**: لمحيي السنة البغوي، ت: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- **تفسير النسفي (مدارك التنزيل)**: للإمام النسفي، ت: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- **تفسير الطبري**: ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- **تلخيص استدراك الذهبي**: لابن الملقن، ت: عبد الله بن حمد اللحيدان، سَعد بن عبد الله بن عبد العَزيز آل حمَيِّد، دار العاصمة، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- **تنبيه القارئ لتقوية ما ضعّفه الألباني**: عبد الله الدويش، دار العليان للنشر، بريدة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- **تهذيب الكمال**: للمزي، ت: د بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- **تهذيب الأسماء واللغات**: لمحيي الدين النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **التيسير بشرح الجامع الصغير**: للشيخ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- **تبييض الصحيفة**: للشيخ جلال الدين السيوطي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، ١٤١٨هـ.

(ج)

- **الجواهر المضيئة**: لأبي محمد محيي الدين عبد القادر القرشي الحنفي، مير محمد كتب خانه كراتشي.
- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: للإمام ابن الأثير الجزري، ت: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، بالتعاون مع مكتبة دار البيان ومطبعة الملاح، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- **جامع بيان العلم وفضله**: للإمام ابن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(ح)

- **حلية الأولياء**: للحافظ الأصفهاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**: لجلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- **الحيدة**: للإمام عبد العزيز الكناني المكي، تعليق: إسماعيل الأنصاري، دار عمار، عَمّان الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(خ)

- **ختم النبوة**: للشيخ المفتي محمد شفيع العثماني، إدارة المعارف - كراتشي.
- **الخيرات الحسان**: لابن حجر الهيثمي، ت: الشيخ عاشق إلهي المدني، مكتبة الاتحاد، ديوبند.

(د)

- **الدر المختار**: لعلاء الدين الحصكفي، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**: للسيوطي، ت: الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، الرياض.
- **دلائل النبوة**: للبيهقي، ت: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- **الدعوات الكبير**: للإمام البيهقي، ت: د عبد الرؤوف الكمالي، مكتبة غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

(ر)

- **الرد على الجهمية**: للإمام الدارمي، ت: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- **رياض الصالحين**: للنووي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(س)

- **السنن الكبرى**: للنسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- **سنن الإمام أبي داود**: نسخة موسوعة الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **سنن الإمام الترمذي**: نسخة موسوعة الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **سنن الإمام النسائي**: نسخة موسوعة الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- **سنن الإمام ابن ماجه**: نسخة موسوعة الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **سنن الإمام الدارقطني**: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤.
- **سير أعلام النبلاء**: ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(ش)

- **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**: لشهاب الدين ابن العماد، ت: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- **شرح السنة**: لمحيي السنة البغوي، ت: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- **شرح الفقه الأكبر (مِنَح الروض الأزهر)**: لملا القاري، ت: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- **شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز**: ت: شعيب الأرنؤوط، عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**: للإمام هبة الله اللالكائي، ت: نشأت بن كمال المصري، دار البصيرة، الإسكندرية، دار الآثار، صنعاء.
- **شعب الإيمان**: للبيهقي، ت: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(ص)

- **صحيح البخاري**: نسخة موسوعة الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **صحيح مسلم**: نسخة موسوعة الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **صحيح ابن حبان**: ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(ط)

- **الطبقات السنية**: نسخة المكتبة الشاملة.
- **طبقات الشافعية الكبرى**: لتقي الدين السبكي، ت: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية.
- **طبقات الحفاظ**: للسيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٧هـ.
- **طبقات المفسرين**: للأدنهوي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- **طبقات الفقهاء**: لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي، ت: إحسان عباس، دار الرائد العربي بيروت، ١٩٧٠م.

- **طبقات الشافعيين**: لابن كثير، ت: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(ع)

- **العبر في خبر مَن غبر**: للإمام الذهبي، ت: أبي هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(ف)

- **الفقيه والمتفقه**: للخطيب، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة ١٤١٧هـ.
- **فضائل الصحابة**: للإمام أحمد، ت: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(ق)

- **القاموس المحيط**: لمجد الدين الفيروز آبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(ك)

- **كتاب المواقف**: لعضد الدين الإيجي، ت: د عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- **كتاب السنة**: للمروزي، ت: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**: إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **كشف الظنون**: لحاجي خليفة، ت: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **كشف الأستار عن زوائد البزار**: لنور الدين الهيثمي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح**: لأبي المعالي صدر الدين المناوي، ت: محمد إسحاق محمد إبراهيم، الدار العربية للموسوعات - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- **كنز العمال**: لعلاء الدين المتقي الهندي، بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- **الكنى والأسماء**: لأبي بشر الدولابي، ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(م)

- **مجمع الزوائد**: دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- **مجموع الفتاوى**: مجمع الملك فهد، المدينة المنوّرة، ١٤١٦هـ.
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: للعلامة ملّا علي القاري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- **المسامرة شرح المسايرة**: لكمال الدين ابن الهمام، المكتبة الأشرفية - ديوبند.
- **المستدرك على الصحيحين**: للحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- **مسند أبي يعلى الموصلي**: ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- **مسند إسحاق بن راهويه**: ت: د عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- **مسند الشافعي، بترتيب سنجر**: ت: ماهر ياسين فحل، شركة غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- **مسند الحارث (بغية الباحث)**: المؤلف: ابن أبي أسامة الحارث، المنتقي: نور الدين الهيثمي، ت: د حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- **مسند البزار**: للحافظ أبي بكر البزار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- **المعجم الأوسط**: للطبراني، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- **المعجم الكبير**: للطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- **المعجم الصغير**: للطبراني، ت: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي - بيروت، دار عمار - عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- **معرفة الثقات**: للإمام أبي الحسن العجلي الكوفي، ت: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- **معرفة السنن والآثار**: للإمام البيهقي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - القاهرة)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

- **مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار**: لبدر الدين العيني، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- **المغني عن حمل الأسفار**: للحافظ زين الدين العراقي، اعتنى به / أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- **المقاصد الحسنة**: للسخاوي، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- **مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث**: اعتنى به / عبد الفتاح أبو غدّة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤١٦هـ.
- **منازل الأئمة الأربعة**: لأبي زكريا السلماسي، ت: محمود بن عبد الرحمن قدح، الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- **مناقب الإمام الأعظم**: لموفق الدين المكي، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٢١هـ.
- **مناقب الإمام الأعظم**: للكردري، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٢١هـ.
- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: لأبي الفرج الجوزي، ت: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- **موطأ الإمام مالك**: ت: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- **الموافقات**: للإمام الشاطبي، ت: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(ن)

- **النجوم الزاهرة**: لأبي المحاسن الأتابكي، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- **النكت على كتاب ابن الصلاح**: للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت: ربيع بن هادي المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- **نيل الأوطار**: للشوكاني، ت: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(و)

- **وفيات الأعيان**: لشمس الدين ابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

* * * *

فهرس المحتويات

* * * *